

الباب الأول

المقدمة

تمهيد تاريخي واجتماعي وسياسي
المعهد المثقاني ، الثورة العربية الكبرى ، المعهد الفيضي
تأسيس الإمارة ، أنتداب واستقلال ملكة وسيادة

الباب الثاني

بواعث النهضة الأدبية في الأردن
التربية والتعلم ، الأذاعة ، التلفزيون ، الصحافة
المكتبات ، دائرة المطبوعات والنشر

الباب الثالث

الفنون الشعرية

الفصل الأول

تمهيد للحركة الأدبية قبل عام ١٩٥٠ .
أثر الطك عبد الله على الأدب في هذه الفترة .
أشهر شعراء هذه المرحلة : مصطفى وهبي التل ، صبحي أبو غنيم .

الفصل الثاني

مدرسة الشعراء المحافظين التقليديين
تمهيد ، خصائصها الفنية ، أغراضها الشعرية
أشهر أعلامها : عيسى الناعوري ، حسني فريز ، حسني الكيلاني ، كمال رشيد .

الفصل الثالث

مدرسة الشعراء المجددين
تمهيد ، خصائصها الفنية ، أغراضها الشعرية
أشهر أعلامها : عبد الرحيم عمر ، فدوى طوقان ، أمين شنار ، نزيه القسوس ،
عاهد شاكر ، أحمد أبو عرقوب ، محمد القيسي ، وليد سيف ، عز الدين الخاصرة ،
علي فودة ، خالد السباكت .

الباب الرابع

الفنون التشكيلية

تمهيد ، أقسامها ، مذاهبها الأدبية ، خصائصها ، عناصر العمل الأدبي
المذاهب الأدبية لبلاد الأردن .

الفصل الأول

مراحل تطور القصة القصيرة في الأردن

المرحلة الأولى ١٩٥٠ - ١٩٦٠ .

المرحلة الثانية ١٩٦٠ - ١٩٧٥ .

أشهر كتاب المرحلة الأولى : محمود سيف الدين الأيراني ، أمين فارس طحس ،
روكس المعريزي ، عيسى الناعوري .

الفصل الثاني

المرحلة الثانية من تطور القصة

المدارس الأدبية لهذه المرحلة : الواقعية ، الواقعية الفائقة ، الواقعية
الاشتراكية ، الواقعية الفنية ، القصة الرمزية ، القصة النفسية ، المذهب
الرومانسي .

أشهر كتاب هذه المرحلة : خليل السواحري ، بدر عبد الحق ، فخري قموار ،
مصطفى صالح ، محمود شقير ، إبراهيم المبسي ، عمر عدس ، أحمد عودة ،
فهد نحلة .

ملاحق الرسائل

الطحسق الأول

التمهيد بالأدباء المحليين الذين وردت لهم نصوص في هذه الرسالة .
إبراهيم الخطيب ، إبراهيم المبسي ، أحمد عودة ، أنور أبو مغلي ، خليل قنديل ،
روكس المعريزي ، عدنان خالد ، عزمي خميس ، عصام موسى ، عمر عدس ، محمود شقير ،

مصطفى صالح ، يوسف ضمرة ، يوسف الخنزو ، محمود الأيراني ، عيسى الناعوري ،
محمد المامري ، خليل السواحري ، بدر عبد الحق ، فخري قموار ، جمال
أبو حمدان ، نمر سرحان ، سالم النحاس ، مفيد نحلة ، مصطفى التل ، غسان
زقطان ، محمد القيسي ، أحمد أبو عرقوب ، محمد ضمرة ، محمد الظاهر ،
عز الدين الخاصرة ، محمد لافي ، مؤيد العتيلي ، حسين حسنين ،
عاهد شاكر ، جمعة السالم ، عبد الله منصور ، حسني فريز ،
كمال رشيد ، سهيل أحمد ، عبد الرحيم عمر

الطحق الثاني

مختارات شعرية ونثرية

- الشعر : فرح لا ينتهي - أمين شنار
وادي السلط - حسني زيد الكيلاني
قصر الحمراء - حسني فريز
المطارد - عبد الرحيم عمر
أخي الأنسان - عيسى الناعوري
في المدينة الهرمة - فدوى طوقان
- القصة : الجائع - بدر عبد الحق
بخار الماء الساخن - فخري قموار
رجل وأمرأة - محمود شقير
أعلان براءة - خليل السواحري
الطريق - إبراهيم العبسي .

الخاتمة

صادر ومراجع الرسالة .

المقدمة

المقدمة

أحدد في هذه المقدمة أسباب اختياري للحركة الأدبية في الأردن موضوعا لدراساتي فنيسي الجامعة، والمصاحب التي اعترضتني اثناء كتابتي للمبحث . كما أحدد المنهج الذي سرت عليه في كتابة هذه الرسالة . بينما تطور الحركة الأدبية فنيسي الاردن من شعر ونثر والمواويل التي أدت الي تطورها .

توافع الاختصاص :

لماذا أخترت الحركة الادبية في الأردن موضوعا لرسالتي ؟ :
لقد أطلعت على الادب الاردني منذ مدة طويلة ،كنت أطلع ما تكتبه المجلات الأدبية على صفحاتها ، ولا سيما المجلات التي تهتم بالأدب الأردني . ولقد واليت الاهتمام بهذا الأدب قبل دراستي الجامعية حيث كنت اكتب في مذكرات خاصة كل ما يصدر عن هؤلاء الأديباء من أدب .

وعندما تأسست رابطة الكتاب الاردنيين واتخذت عمان مقرا لها ، وبدأت أتورد على هذه الرابطة ،كني أتعرف على اعضائها ، حيث نشأت علاقة قوية بيني وبين اعضاء هذه الرابطة . وقد اهتمت بهذا الادب لانه يمثل أديبا عربيا انسانيا يساهم في الآداب الانسانية ويرفع من قيمة الانسان ليكون انسانا حرا بعيدا عن كل تعصب .

وعندما تقدمت الى الجامعة الموسوي فبدأت ، دراستي العليا فيها ، اخترت هذا الموضوع ، لكي أقدمه الى الجامعة ، ولاني اعرف ان جامعتي العربية تهتم بالأدب الانسانية السيتي تساهم في خدمة الانسان اينما كان ، بغض النظر عن اللون والعرق والدين .

لقد تناولت حياة الشعر والنثر في الأردن ، ومحددا هذه المدة بربع قرن اي من عام ١٩٥٠- ١٩٢٥ ثم مهدت للحركة الادبية قبل هذه المدة بينما أثير الطك عد الله على بحث الادب من جديد .

الشمس :

ما من شك في ان غياب الدراسات النقدية ، حول الشعر المعاصر في الأردن ، هو السبب الكامن في بقاء الحركة الشعرية - في الاردن - خافية على الازهان ، في الداخل والخارج على حد سواء . وهذا الادب - بشكل عام - لم يحظ الا بدراسة واحدة هي مجموعة من محاضرات ألقاها الدكتور ناصر الدين الاسد على طلبة الدراسات العليا بمعهد المحسوت والدراسات اللغوية في الجامعة المصرية . . . عن الشعر المعاصر في الاردن وفلسطين . . . قبل النكبة وحدها . وقد نشرت هذه المحاضرات في كتاب صدر في القاهرة عام (١٩٦٠) . ولكن هذا الكتاب لم يأت مقفعا مغنيا ، فهو عبارة عن مجموعة محاضرات اخذ الشطر الاكسبر منها شعرا ما قبل النكبية .

واستغرق الشعر العديد صفحات قليلة تضمنت تعريفا موجزا بأشهر الشعراء ، وحديثا موجزا عن بعض الدواوين الشعرية التي صدرت بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٠ . كما ان هذه الدراسة

من جهة ثانية لم تكن دراسة نقدية بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، وإنما جاءت بأسلوبها
الأكاديمي، أقرب إلى التاريخ الأدبي منها إلى النقد . .

والواقع أن الدارس المتفحص للحركة الشعرية في هذا البلد ما بين عامي ١٩٥٠ - ١٩٧٥
سوف يخرج بنتيجة غاية في الأهمية حول هذه الحركة تلك هي ان الشعر في الأردن لم
يكن متخلفاً او ضعيفاً اذا ما قيس بمعنى الاقطار العربية المجاورة .

بل ربما على العكس، تظهر هذه الحركة وكأن فيها حياة، وحيوية، أكثر مما هي في حركات
شعرية وأدبية في بعض هاتيك الاقطار، ومع ذلك فان محنة الشعر والادب في الاردن سوف
تظل طالما ان هناك صعوبات تحول دون نشر هذا الادب في الداخل والخارج بحيث يمكن
صوتاً سموعاً مندوباً في جميع الآذان .

وسوف نبرز في هذه التوطئة القصيرة كيف ان ظاهرة الحياة، والنشاط، تسكن أعماق هذ
الحركة ولا تفارقها، وكيف انها تتجلى وتتشكل من خلال الأطر، والتيارات، والاتجاهات
الفنية والأدبية والفكرية، التي تستوعب نتائج هذه الحركة الشعرية الاصيلية وأول ما يجتده
الدارس وهو يرصد هذه الحركة ذلك الهون الشاسع الذي يفرق بين معنى الشعراء على المستوى
الفني، فعندنا من المنكبين على التراث القديم، يقلدونه ويحاكونه، وعندنا من المجدد يمس
الذين يأخذون بما توصل إليه الشعر الحديث من اساليب وخصائص شعرية مبتكرة . . ترقى
بأعمالهم الى مستوى المدارس الشعرية الحديثة في العالم. وعندنا أيضاً من هو في منزلة
بين المنزلتين، فنجده يحافظ على الاشكال التقليدية الخارجية للشعر وان كان يجعل من
شعره التقليدي قالب مستودعاً للأفكار والاحاسيس والمشاعر المعاصرة، فما هي اذن أهم
اتجاهات هذه الحركة الشعرية على المستوى الفني ؟ .

والاجابة على هذا السؤال تتطلب أيضاً حقيقة هامة وهي ان الشعر بوصفه ظاهرة اجتماعية
كثيرها من ظواهر الحياة اليومية هو فن متطور كثير المرونة. فقد نجد ان شاعراً من الشعراء
تقليدياً في ديوانه الأول ومتطوراً مجدداً في ديوانه الثاني .

وهذا ما سوف نواجهه بالفعل حين ندرس اتجاهات هذا الشعر. والسمة الغالبة على شعر
اصحاب هذا الاتجاه هي التمسك بالقوالب الشعرية القديمة من اوزان صارمة تقليدية وستن
استعمال للقوافي الرنانة .

ومن حرص على حشد التراكيب القوية المتينة . والحرص على المعنى المظلم في اللفظ الفخيم .
ومن حيث الرؤيا الشعرية نجد القصيدة عندهم تبنى على الاساس التقليدي، من حيث الاعتماد
على تقديم رؤية فكرية للمواقع لا رؤية فنية له. ولذلك نجد الفكرة هي الغالبة على الصورة لا
العكس.

ونجد القصيدة أشبه ما تكون بالخطاب الحماسي او بالاعتراف الشخصي او المقال الصحفي،
ونجد الشعر الوجداني، والاشعر العائلي، ضاعين، لا يدوان الا من خلال الشعارات التي
تفقد الشعر جوهره القائم على الاداء التعبيري لا النظم التقديري .

وعند اصحاب هذا الاتجاه نجد التأثر بالتراث يصل إلى أقصى درجات حدته، بحيث نرى القصيدة وكأنها صورة من صور الموروث . وقد لا يتورع أحد شعراء هذا الطراز من ان يشبه الصدوح بالليث الفضنفر، وهو لا يدرك ان الليث هذا لم يمد في ايامنا شيئاً اكثر من أسير في حديقة الحيوان .

او يصف المعركة وما فيها من غبار النقع وكأننا نصيخ في عصر بشار بن برد ، او المتنبى . وشيئة شيئة آخر نلاحظه من شعر هؤلاء الشعراء ، وهو الحرص على المناسبات الشعرية ، مثل الفخر والهجاء والرثاء والتهاني ووصف الليعة . الى ما هنالك من موضوعات يضربها مصطلح اغراض الشعر الذي عرف في النقد العربي القديم . ولو تصفح القارىء ديواناً مثل ديوان هيس الذكريات لمحمد سليم الرشدان ، او ديوان أناشيدى . ويا اخي الانسان ، لعيسى الناعوري . . . لرأى جل هذه الدواوين ملأى بصور الشعر التقليدية . وتدل هذه الظاهرة على ان هؤلاء الشعراء يتصورون الشعر وكأنه صنعة شأنه في ذلك شأن النثر .

اما الاتجاه الثاني فيقع على نقطة التقاطع بين القديم والحديث ، وشعر هذا الاتجاه منهم من بدأ تقليدياً وتطور فيما بعد . ومنهم من جمع بين مظاهر التقليد والتجديد في الشعر ، على نحو جعل للتجربة الشعرية نوعاً من النضج والأصالة ، والخصوصية التي تميزه عن غيره . فالشاعر حسني فريز نجده يتقيد تقيداً كاملاً بالأوزان القديمة ، وينا القصيدة من الناحية العامة ، ولكنه مع ذلك يملأ هذه القصيدة بالكثير من ابداعه الخاص ونجده يصف حنينه وتعلقه بالوطن بأسلوب بعيد عن التقرير والخطابة ، كما أن تمبيراته تمتاز بالبساطة والشفافية التي تمكس الصدق ، والأصالة ، الشعرية ، ويمكننا أن نقول الشيء نفسه عن يوسف الخطيب الذي قدم لنا في ديوانه (العيون الظما للنور) وديوانه (عائدون) تجربة شعرية ناضجة . . . ونجد أيضاً ، من الشعراء من قدم لحياته الفنية بشيء تقليدي ، ثم احدث لنفسه اسلوباً خاصاً بمد ذلك .

وهنا ينطبق على راضي صدوق في ديوانه الأول (كان لي قلب) وفدوى طوقان في ديوان (وحدي مع الايام) ومنهم من جمع في ديوان واحد بين نوعين من الشعر : تقليدي وحديث كأيوب طه . في ديوانه " شتاءً ونار " .

اما الاتجاه الثالث : فهو الاتجاه الحديث في الشعر المماصر ، واعني بهذا الاصطلاح ما يعنيه الآخرون من ان الشعر الحديث هو الذي يقدم لنا رؤية حديثة للمالم والواقع .

والرؤية الحديثة للواقع هي ما يناقش شعر المناسبات اولاً ، وما يناقش الخطابة والتقرير ثانياً ، وحين نزع بأنه يناقش شعر المناسبات فان هذا يعني انه شعر مقصور على مناسبة واحدة دون غيرها وهي القضية التي تهم الشاعر بحيث يكرس لها فنه وحياته ، وحين نقول - أيضاً - انه يناقش الخطابة والتقرير فاننا نعني بذلك انه يقدم لنا رؤية فنية للواقع وليس رؤية فكرية . بمعنى ان الاراء والمفاهيم الفكرية لا تظهر الا على هيئة صورة فنية ، وفي هذه الحالة لا يمكن استخراج الفكرة بالاساليب القديمة - عن طريق الشرح والتفسير - وانما بطريقة التدقيق الحقيقي تماماً كما نتذوق السكر المذاب في كوب الشاي .

وهذا المظهر الذي يميز هذا الاتجاه من شعرنا الحديث حفظ له قيمته الفكرية والجمالية مما، ولم يدع جانب المضمون يتغلب على الشكل، أو الشكل يتغلب على المضمون. ويمكننا تبعا لما اوضحنا ان نضع ضمن هذا الاتجاه دواوين فدوى طوقان وهي على التوالي: "أعطينا حيا" و "وجدتها" و "أمام الباب المطلق" ثم "الليل والفرسان" . ولسى الخضر" الجبوسي وديوانها "المودة من النبع الحالم" . وديوان "أغنيات للصمت" لمهد الرحيم عمر . وديوان "أحزان صحراوية" لتيسير سبول .

كما نجد هذا الاتجاه شائعا عند شعراء في النصف الثاني من عقد الستينات: واصدروا شعرهم في دواوين بعد عام ١٩٦٧ مثل وليد سيف ومحمد عز الدين المناصرة ومحمد القيسي وآخرون لم ينشروا المجموعات الشعرية مثل فايز صياغ وسليم ديابنة.

وأما امين شنار فقد نشر ديوانا تقليديا في الخمسينات هو "المشعل الخالد" وهذا الديوان لا يمثل خطه الشعري وان كانت تمثله بشكل أدق قصائده المتناثرة في اعداد الافق الجديد واكسار .

والى جانب هذه الاتجاهات الفنية في شعرنا المعاصر، هنالك ايضا أطر واتجاهات فكرية ومضوية تحتوى هذه الحركة.

ويظهر في هذه الحركة اتجاه كلاسيكي وهو اتجاه تلخصه هومو بالوصف، والفضل الغرامسي، والصدق والزنا، والهجا، والفخر، كما سبق ان اوضحنا، وهذا النوع من الشعر لا نستطيع ان نمطبه اعتبارا فكريا معينا .

وخير مثال لهذا النمط الشعري ديوان "همس الذكريات" لمحمد سليم الرشدان . على أن ابرز الاتجاهات الفكرية في شعرنا الاتجاه الرومانسي، والاتجاه الواقعي، وربما جمع شاعر أو أكثر بين هذين الاتجاهين .

أما بشكل يظهر بعد الشقة بينهما . وأما بشكل جميل يشعرنا بوحدة الرؤيا التي صدر عنها الشعر.

ومن الشوراء الرومانسيين الذين ذكرناهم: فدوى طوقان، راضي صدوق، تيسير سبول، أمين شنار .

ونجد هؤلاء الشعراء مهتمين أولا وأخيرا بهمومهم الخاصة .

دون ان ينى اهتمام بالجماعة، ففدوى طوقان على سبيل المثال مشغولة منذ ديوانها الاول بقضايا الوحدة والقلق والحزن والشوق الى المجهول، والتعطش الى الحب، ثم الانشغال بالحب نفسه .

بعد ذلك البكاء على فشل هذا الحب، والمودة من ثم الى الحزن والقلق والتصوف والرشا .

وتيسير سبول أفرغ حزنه المأساوي في قصائد "أحزان صحراوية" ولم يطرق في ديوانه هذا أى موضوع اجتماعي .

وامين شنار تحدث في ديوانه الاول عن الدين، وعكمت الهمثلي ايضا تحدث عن الحزن

والسفر والضياع والسأم ، وايوب طه خصص شطرا كبيرا من صفحات ديوانه للمواطف القرامية الشخصية .

اما الاتجاه الواقعي فعلى العكس من ذلك نجد هه مهتما ، أولا ، بالقضايا الاجتماعية مثل النكبة الفلسطينية ، وقضايا الفقر والحرمان ، التي تعاني منها فئات كثيرة من أبناء المجتمع . ويوسف الخطيب في ديوانيه اللذين أشرنا اليهما في اول هذه التوطئة .
وعبد الرحيم عمر في ديوانه " أغنيات للصمت " وان لم يدخل الديوان نهائيا من القضايا السرد الرومانسية .

وفدوى طوقان في ديوانها " الليل والفرسان " وان لم يدخل هو ايضا من قصائد رومانسية . وحسن النجسي أيضا في ديوانه " كلمات فلسطينية " وقايز صياغ ، وسليم دبابنة ، وأحمد ابو عرقوب ، وسلمى الخضراء الجبوسي ، في ديوانها " العودة من النبع الحالم " وان لم يدخل هو الآخر من قصائد رومانسية قليلة . . .

القصيدة :

يمكن القول أن ظهور الحركة القصصية الأردنية جاء متأخرا اذا ما قورنت بظهورها في بعض الأقطار العربية المجاورة مثل مصر ولبنان .

ويكاد المؤرخ لحركة القصة القصيرة في الأردن وفلسطين يتبين ثلاث مراحل تحدد خط التطور لهذه الحركة . ففي المرحلة الاولى (مرحلة ما قبل الحرب العالمية الاولي وبعدها بقليل) تعتبر مرحلة النشو والتأسيس .

وقد كان " لخليل بيميس " الفضل الأكبر في نشر هذا اللون من الادب في فلسطين . متتبعا اكثر من اسلوب ، كالتريجة والتأليف والنشر . أما التريجة فيشهد الدكتور ناصر الدين الاسد بانها لم تكن تريجة سليمة ، متقيدة بالاصول النصية للمواد المترجمة ، بل كانت تريجة لا تخلو من التحوير والتفسير .

أما بالنسبة للتأليف فعسبه انه مؤلف اول مجموعة قصص قصيرة في فلسطين ، وكان عنوانها " مساح الأذهان " التي صدرت في مصر عام ١٩٢٤ . أما بالنسبة للنشر فقد افصح اوسع المجالات امام ما يمكن نشره من روايات سلسلة او قصص قصيرة ، سواء كانت موضوعة أم مترجمة ، وذلك في مجلته " النفائس " التي واظبت على الصدور مدة ليست بهوجيزة ، ومع ظهور محمود سيف الدين الابرائي بأولى مجموعاته القصصية " أول الشوط " ونجاتي صدقي ، تبدأ المرحلة الثانية التي تمتد من الحرب العالمية الثانية الى نهاية الخمسينات . وتتصف هذه المرحلة بعدة ميزات تتسجم مع الطابع العام لجيل المراحل المشابهة التي يتطلبها تأصيل نسوع جديد من الفن وتوكيده . وأولى هذه الخصائص : قلة الانتاج المنشور ، فمثلا محمود سيف الدين الابرائي لم ينشر بعد مجموعته الأولى ، وخلال هذه الحقبة الطويلة سوى مجموعته

"مع الناس" وكذلك نجاتي صدقي الذي لم ينشر إلا مجموعة "الإخوات الحزينات"، وظهرت بعض المجموعات التي لم يكن أصحابها من المنقطعين لفن القصة القصيرة كما هو الحال بالنسبة لمجموعة "شماع النور" لصاحبها محمد أديب العامري مثلا. وضآلة الانتاج التي تميزت بها هذه المرحلة في الأردن وفلسطين يقابلها عطاء جم وفير بالكثير من البلاسندان المرمية كـ "لبنان" و"مصر وسورية". وتأتي هذه الخصائص: ان القصة القصيرة لهذه الفترة كانت تمناني من مأخذ متعددة على صعيد الشكل والمضمون. فهي أميل الى الحكاية الطويلة الطخصة، وأبعد ما تكون على المواقف الشمورية التي تركز القصة المكثفة الحدث وهي فوق ذلك اميل الى الاهتمام بالأشخاص على حساب العناصر الأخرى، بحيث تبدو القصة وكأنها هي الشخصية، والشخصية هي القصة. كما ان هذه المرحلة تميزت بتأثر القصة باصناف القول الأخرى مثل الشعر التقليدي، والنثر الفني. وكثيرا ما نجد كتاب هذه المرحلة يميلون الى الأساليب الانشائية، ويفرقون انفسهم في انتقاء الألفاظ الجزلة والمبارات الفخمة، والاوصاف الطريفة، بحيث تكاد تظهر القصة وكأنها مائة مترعة بالترف اللغوي. أما بالنسبة للمضمون فتميل قصص هذه الفترة الى الموضوعات الرومانسية، معتمدة على استغلال الاحداث الغريبة، والأشخاص الظرف، أو الشاذين، والوعظ الداعي الى التماس فضيلة من الفضائل والنهي عن رذيلة من الرذائل. واذ تناولت القضايا الوطنية تناولتها بشكل عفوي مسط يعتمد بهما

عن عمق الموقف الايديولوجي وتظهر فيها النزعة الفردية ذات المحتوى التأخري الواضح.

وفي بداية الستينات بدأت مرحلة جديدة من مراحل تطور القصة القصيرة في الاردن ويرجع الفضل في ذلك الى ظهور المجلة الهامة التي كان لها الفضل في خلق التيار القصصي وأثراته. وتتميز مجراه. واعني بها مجلة "الافق الجديد" التي كان يرأس تحريرها أسين شنار.

وقد ظهر على صفحات تلك المجلة عدد متواضع من القاصين الشبان الذين ادت جهودهم الى خلق اتجاه متميز في القصة أتي ثابرة في السبعينات ومن هؤلاء القاصين محمود شقير ونور سرحان وفخري قصار وفاروق وادي وصبحي شحرور وماجد ابو شرار ووليد سيف وغيرهم كثير. وقد كانت مجلة الافق الجديد تسهم في خلق الحركة القصصية لا عن طريق النشر فقط. ولكنها لجأت الى اسلوب آخر مفيد هو تشجيع النقد الذي يتناول القصص بشكل خاص. كما عدت الى اقامة الندوات، وترجمة النصوص القصصية المشهورة، فضلا عن تعريف الكتاب والقراء، بهن القصة، اما عن طريق الابحاث المكتوبة بفضل جهود المجلة، او عن طريق عرض الكتب، على ان الحقيقة المسلم بها هي ان تيار القصة القصيرة لم يبلغ حدا من القوة والتأكيد كالذي هو عليه الآن. فقد شوهد نشاط ملحوظ في هذه المرحلة لدى الكتاب الرواد. فقد نشر محمود سيف الدين اليراني مثلا ثلاث مجموعات قصصية جيدة. ونشر عيسى الناعوري ما يقارب هذا العدد اما القاصون الشبان فانهم لم يكتفوا بالاستفادة من نتاج الرواد أسثال اليراني والناعوري وهدقي وسواهم. بل انفتحوا على انتاج القاصين الكبار

لا في العالم العربي وحده بل في العالم أجمع . كما ان ظهورهم جاء في وقت طليق
بالبهزات السياسية ، والفكرية ، ففي " السنين " و " السبعينات " تغيرت موازين الامور .
وانقلبت النظرة الى الاشياء . واصبح على الأديب سواء كان شاعراً أو قاصاً أو ناقداً أن يتخذ
لنفسه موقفاً ما يدور حوله ، ولم يعد من المأذون به للكاتب ان يحتجز ذاته بين جدران برجه
الماجي ليكتب سبها بحمد ربه الشعر ، او الهة الفن ، كما اصبح من المؤلفان ينزل الكاتب
الى مستوى الفئة الاجتماعية التي يخاطبها . ولم تعد القوالب الانشائية ، والتماثيل البشرية ،
هي المقياس الذي يحتكم اليه القارى في استحسان ما يستحسن ، واستهجان ما يستهجن .
والسؤال اذن : ما هي التوجهات المختلفة التي تميز بها الشباب من كتاب القصة القصيرة ؟

ليس من الصعوبة على القارى المتابعنتاج الشباب القصصي أن يتبين لهم بعض التوجهات
التي قد يشترك في بعضها اكثر من قاص . او قد ينفرد ببعضها قاص واحد .
ولعل أبرز هذه الاتجاهات ، الاتجاه الواقعي ، والاتجاه الرومانسي ، والاتجاه الرمزي .
كذلك نجد ان العناصر الاساسية للقصة القصيرة متوفرة في هذه المرحلة ، كذلك نرى بوضوح
وحدة الزمان والمكان وترايط الاحداث .
على نحو ما تقدم ، عرضت الحركة الأدبية في الأردن في مقدمة وارحة ابواب وملحقين
وخاتمة .

الباب الأول

تمهيد تاريخي واجتماعي وسياسي

دانت بلاد شرق الأردن^(١) للمعثانين بعد ان تمت لهم الغلبة على المالكي عام ١٥١٦ . وكان هم المعثانين في هذه البلاد - كغيرها من بلاد الشام - جمع الاموال وتجنيسه الرجال . ولم تكن بلاد شرق الأردن في نظرهم تزيد عن كونها طريقا للحجاج يمرون بها سنويا ذهابا وايابا بين دمشق و المدينة المنورة ، فالسلطان سليم الذي اطن نفسه اميرا للمؤمنين ، وخادما للحرمين الشريفين وجد نفسه مضطرا الى تأمين سلامة الحج وسهبل سفرهم وحمايتهم من اعتداءات البدو، الامر الذي حدا به الى بناء سلسلة من القلاع على طول الطريق ، وانشاء بركة او اكثر لخزن الماء ، الى جانب كل قلعة من هذه القلاع كي يتسنى للحجاج ان ينزلوا عندها في مراحل سيرهم للمراحة والتزود بالماء .

وزيادة في الاحتياطات فقد عقدت الدولة اتفاقيات مع شيوخ القبائل القوية التي كانت تقسم عادة على مقربة من طريق الحج ، كانت بموجبها تدفع لهم مبالغ من المال لكي يحافظوا على الامن ويشرفوا على مل البرك بحياه الأمطار .

ولم يذكر ان البدو نقضوا عهدهم الا عندما كان رجال الدولة ينقضون تلك الاتفاقيات فلا يدفعون الاموال المعتادة لشيوخ القبائل . ونتيجة لذلك كان البدو يهاجمون مكعب الحج ، ويفتكون برجال القوة العسكرية التي ترافقهم ، ويسلبون الحجاج انفسهم كي يجبروا رجال الدولة الالتزام والوفاء بالتزاماتهم نحوهم .

ولم تحاول الدولة المعثانية من جانبها ، تأسيس جهاز حكومي فعال في المنطقة ، وكانت تكفي احيانا بتسيير حملات عسكرية الى هذه الجهة او تلك ، فتضرب السكان فيها دونما رحمة ولا تفرق ، لتثبت هيبتها في النفوس . ولم يكن امر استتباب الامن الداخلي يلقى اى اهتمام او عناية ، لذلك كثر الحروب والغزوات بين القبائل البدوية من جهة وسكان القرى من جهة اخرى ، حتى اضطر الكثيرون من اهل القرى الى دفع ما يعنى - الخاوة - وهي اقلوة او ضريبة يحصلها البدو على شكل حبوب او ماشية او نقود من اهل القرى الذين يجاورونهم ، مقابل كفا اعتدائهم عنهم ، والسماح لهبزراعة اراضيهم .

وقد ادى هذا الى تناقص عدد السكان لسبب الهجرة او الحروب ، كما ادى الى اهمال الارغن وعدم العناية بها ، وفسس الرعب في النفوس وانتشار اللصوص وقطاع الطرق .

ونشأت من اعتداءات البدو ، ان قام سكان القرى بتشكيل وحدات متحالفة تتألف كل وحدتها من قرية او عدة قرى ، وتترعها اقوى عشيرة يهدا وكانت هذه الوحدة تحاول المحافظة على كيانها وحماية مزرعاتها وماشيتها من الاعتداءات ومواجهة الاخطار صفا واحدا .

ولكن الحياة الاجتماعية في هذه القرى ، لم تكن ديمقراطية ، فان شيخ المشيرة القوية كان يفرغ نفسه حاكما شبه مطلق على الاهلين في منطقتة ، فيقضي بينهم ويفصل في منازعاتهم ،

(١) فليب حتى - تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين . ج ٢ ترجمة كمال البارجسي

ويتبع بنفوذ قوى وسلطان كبير على الأهلين ، وكان زعما تلك النواحي ينجحون احيانا في صد غائلة عدوان القهائل البدوية ، وأحيانا لا ينجحون . وقد بلغت شدة وطأة البدو في نواحي "عجلون" خلال النصف الاخير من القرن الماضي ، ان اعتم سكان القرى في المنطقة على الهجره منها . ويبدو ان الحكومة قد شعرت بخطورة الموقف فأرسلت قوة عسكرية تماونت مع الاهلين على مهاجمة منطقة " وادي المرب " التي كان البدو يتخذون منها مقبلا لانقضائهم على القرى وارهابها . ووفقت تلك الحملة . في القضاء على افراد قبيلة " السميدى " حيث قتل عدد كبير منها .

وعلى اثر ذلك نزحت بطون " بني صخر " الى " البلقاء " في الجنوب . والى " وادي الاردن " . ويتنفس القرويون الصمدا " وازدادت ثقتهم بانفسهم .

وفي عام ١٨٥١ م قررت الحكومة المشانبة تقسيم " شرق الاردن " الى وحدات ادارية ، كسل واحدة منها تعرف باسم " سنجق " (١) . فكانت هذه التقسيمات على النحو التالي : سنجق عجلون (و سنجق الكرك) و (قضاء البلقاء) .

وكان سنجق "عجلون" ما بين نهر اليرموك شمالا ونهر الزرقا جنوبا ، ومركزه " اربسد " . وكان قضاء "البلقاء" ما بين نهر " الزرقا " شمالا ، ووادي " الموجب " جنوبا ومركزه " السلط " . اما سنجق " الكرك " فكان يشمل القسم الجنوبي من شرق الاردن الواقع بين وادي " الموجب " شمالا و " المقبة " جنوبا .

وكان يحده شرقا وادي " سرحان " وغربا نهر الأردن والبحر الميت ووادي عربة وكانتمدينة " الكرك " مركزه .

وقد حاولت الادارة المشانبة بعض المحاولات لتفادي ضعف الادارة ، وطغيان عنصر البدو ، وكان من بين هذه المحاولات ، انها اسكنت جماعة من " الشركس " عند منابع المياه من شرق الاردن نحو " جرش والزرقا " و عمان وصولح . وناحور ووادي السير . وذلك عام ١٨٢٨ م . فكان استيطان " الشركسة " عنصرا في نشر الامن في " البلقاء " وفي الاستشار النشيط في جوانب من " شرق الاردن " وكان من محاولات الادارة المشانبة كذلك ارسال قوة عسكرية الى نواحي "عجلون" للتماون مع الاهلين على صد طغيان البدو الذين كانوا يحملون سكان القرى في تلك النواحي على الهجرة وترك اراضيهم .

ولقد ساد شي " من الهدوء " والامن بعد تعلم الحكومة المشانبة ادارة البلاد مباشرة ، وخاصة في مناطق المدن والقرى ، فانتعشت الزراعة واخذ الاهلون ينشؤون قرى جديدة ويشعمرون بنعمة الاستقرار . على ان رجال الحكومة انفسهم كانوا كثيرا ما يلحقون الاذى بالاهلين ،

(١) كانت كل ولاية عثمانية مقسمة الى سنجقيات او " متصرفيات " . وكل سنجقية مقسمة الى اقضية

والاقضية الى نواحي -

دكتور محمد أنيس - الدولة المشانبة والشرق العربي ، مكتبة الانجلو مصرية . ص ٢١٩ .

ويقومون بهم شتى الظالم ، فيستفروهم للخروج عن الطاعة وحمل راية العصيان . ومن المعروف ان المواطنين والحكام والمسؤولين الذين تميمهم الحكومة لإدارة البلاد ، لم يكونوا ممن يحسنون الإدارة ويهتمون بمصلحة الأهلين ، ويقدرّون المسؤولية حق قدرها ، ويراعون عادات البلاد وتقاليدها . ولقد كان للمحسوبية والرشوة اثر كبير في التميمينات حتى كان الناس يرون من سوء تصرفات بعض المسؤولين ما يجعلهم يتوقون الى الأيام التي سبقت تركز الحكومة في بلادهم .

وفي عام ١٩١٠ م ، ثار الأهالي في " الكرك " احتجاجا على سوء الإدارة المشائية وشطط المسؤولين في محاولتهم تطبيق أنظمة وقوانين لا تتفق واحوال البلاد . وانتشرت الشسورة المحيطة بـ " الكرك " وامتدت الى " الطفيلة " و" عمان " وغيرها من المناطق الأخرى ، مما كهد الحكومة أموالا طائلة لا خمارها ، وخسائر في الأرواح كانت في غنى عنها لو انها أحسنست السياسة وراعت الحكمة والمدالسة .

ولما اعلنت الحرب العالمية الأولى في تموز ١٩١٤ م . بادرت الدولة المشائية الى اعلان النفير العام ، وطلبت من جميع طبقات المكلفين بالجنديّة ان يتقدموا للانخراط في سلك الجيش كما صادرت كافة انواع المؤن والخيول والمواد الأخرى اللازمة ، مقابل اثمان بخسة . وسيبق شأن البلاد الى ميادين القتال المختلفة حيث لقي أكثرهم حتفه ، ولحقت بالبلاد اضطراز جسيمة لا يمكن تمويضاها .

وفي التاسع من شعبان ١٣٣٤ هـ / التاسع من حزيران عام ١٩١٦ م . اعلنت الثورة المرهية الكبرى التي قام بها المرزب بزعامة " الشريف حسين بن علي " ، لتوحيد الاقطار المرهية تحت راية واحدة . ولقد كان من الطبيعي ان تشرع هذه الثورة في تحقيق تلك الاهداف ، بمقد ان تم لها توطيد مركزها وتأمين خطوط مواصلاتها والاستيلاء على معظم معاقل " الاتراك " في " الحجاز " موطن الثورة واحتل جيش الثورة التي كان يقوده الامير " فيصل بن الحسين " بلدة " الوجه " (١) على شاطئ " البحر الاحمر " يوم ٢٣ كانون الثاني عام ١٩١٧ م . وهناك اخذ الامير يتصل بزعماء القبائل البدوية التي تسيطر على البادية في شرق الاردن ويدعوهم للمشاركة في قتال " الاتراك " ورفع رايات القومية المرهية في فجرها الجديد . وكان " عودة ابوتايه " شيخ قبيلة " الحويطات " اول من لبى دعوة الامير . والحويطات اكبر القبائل التي تنزل في جنوب شرق الاردن " وتسيطر على الطريق بين " العقبة " و" عمان " و" وادي النرحان " وهي الطريق التي يتحتم على جيش الثورة المرهية ان يسير فيها للمصل طسى تحرير بلاد الشام .

وزحف " عودة ابوتايه " و " الشريف " برجالهما تساعدهم بعض القبائل الأخرى وتمكنوا من احتلال " العقبة " واصبحت " شرق الاردن " بعد ذلك مركزا للمعطيات العسكرية ضسسد

"الأتراك" والتي استمرت حتى خريف عام ١٩١٨م وعندما تم للجيش العربي احتلال مدينة "دمشق" وتحرير البلاد من ظلم "الأتراك".

ولقد خاض العرب غمار الحرب ليفوزوا باستقلالهم ، ولكن حلفاءهم اثناء الحرب قلبوا لهم ظهر المجن بعد انتهائها ، وشرعوا يفرضون سيطرتهم على البلاد بقوة جيوشهم واسلحتهم . واتفق "الانجليز" مع "الفرنسيين" على تقسيم "بلاد الشام" الى ثلاث مناطق عسكرية أطلقوا عليها اسم "بلاد العدو المحتلة" ونتيجة لهذا التقسيم ، تولت "فرنسا" ادارة المنطقة الغربية - لبنان - اما المنطقة الشرقية - سوريا الداخلية وشرق الاردن - فقد بقيت تحت قيادة الامير "فيصل" وقيمت في شرق الاردن "بعض القوات البريطانية بالاضافة الى قسوات الجيش العربي .

واصبح "شرق الاردن" بموجب هذا التقسيم تابعا للادارة العربية العسكرية التي كان الامير "فيصل" يرأسها في "دمشق" . وقسمت سوريا بموافقة الامير في تشرين ثاني عام ١٩١٩م ثمانية الوية ، شملت ثلاثة منها "شرق الاردن" وهي "لواء الكرك" ومركزه "الكرك" و"لواء الحلب" ومركزه "السلط" و"لواء حوران" ومركزه "درعا" ويتبعه في "شرق الاردن" مجلسون وجرش . وقد استماتت الحكومة بزعماء البلاد في شؤون الادارة ، وانشأت مجلسا للمشائير يعمل على حل الخلافات الناشئة بين المشائير حسب تقاليدهم التي تمارفوا عليها .

ولم تكن الحالة العامة في "شرق الاردن" اثناء الحكم "الفيصلي" على غير ما يرام حيث ان الامن لم يكن مستتباً استتبها شاملاً ، وكان دفع الضرائب مقصوراً على الحضر اجمالاً ما نتج عنه تقصير الحكومة في دفع الرواتب بانتظام لموظفيها وافراد قواتها المسلحة . وكانت القبايسل البدوية تمارس عاداتها التقليدية من غزو وسلب ونهب . وكان نفوذ الدولة يعتمد الى حد كبير على شخصية الحكام الاداريين والمسكرين ، وعلى ارتباطات رؤساء القبائل بالامير ورجالها وعلى شعور العدد القليل من المستنيرين بضرورة مؤازرة الحكومة مؤازرة كلية ، ولا سيما وهي تواجه مؤامرات المستعمرين ومكائدهم ويجب ان لا يغرب عن البال ان جهود الحكومة العربية في "دمشق" كانت موجهة بضرورة تكاد تكون شاققة الى النواحي السياسية والخارجية ، والسبب المشكلات التي كانت تثيرها "فرنسا" من جهة و"بريطانيا" من جهة اخرى . ولذلك لم تستطع التفرغ كما يجب للشؤون الداخلية ، ولم تستطع تخصيص القوة العسكرية الكافية لضرب من يستهينون بسطوتها .

وفي ايلول عام ١٩١٩م اتفقت "بريطانيا" و"فرنسا" على جلاء القوات البريطانية عسب "سوريا" واستبدالها بقوات فرنسية ، واتفقتا كذلك ان تكون "فلسطين" ومنطقة "شـرق الاردن" تحت الانتداب البريطاني وهذا الاتفاق تخلت "بريطانيا" عن حلفائها . وتصرفت ببلادهم كما يتصرف التاجر بسلمة تصرخ للبيع والشراء . وحاول الامير "فيصل" بكل مساندة من جهته ان يتوصل لا اتفاق مع الحكومتين الطامعتين بحفظ "سوريا" استقلالها ، ولكن جهوده ذهبت سدى واستمرت الاحداث تسير بسرعة الى ان زحف الفرنسيون على

"سوريا" "دمشق" واصطدمت قواتهم مع القوات العربية في "مهلون" يوم ٢٤ تموز عام ١٩٢٠م، وتلا ذلك دخول الفرنسيين "دمشق" وانذارهم "فبصل" بمغادرة البلاد .
واما "الانجليز" فلم يتعجلوا الاحداث بعد انتدابهم على المنطقة فقد كانوا منهكين في انشاء ادارتها في "فلسطين" . والواقع ان "الانجليز" لم ينسحبوا تماما من المنطقة اثنا فترة الحكم "الفيصلي" بل بقي لهم معتمدون في كل من "السلط" و"الكرك" و"عجروش" . ولم تكن لهؤلاء المعتمدين سلطة واضحة في تصريف شئون البلاد ، بل كان يغلب عليهم الانزواء وعدم التدخل المباشر ، ثم ان تلك الفترة كانت مشحونة بالاحداث السياسية والقلبي والاضطراب . وبعد "مهلون" خرج هؤلاء المعتمدون من عزلتهم ، واخذوا يدعون الاهل الى طلب المساعدة البريطانية ، ويقنعونهم ان افضل الحلول بالنسبة لهم هو التعاون مع بريطانيا . ونتيجة لذلك قام بعض الشيوخ بزيارة "الندوب السامي" في "القدس" وارسل البعض الاخر رسائل اليه ، وبعد زوال الحكومة العربية وبعد فك ارتباط المنطقة بـ "دمشق" اخذت حكومة الانتداب في "فلسطين" تعمل على بسط سلطتها المباشرة في المنطقة "ششرق الاردن" .

وفي يوم السبت ٢١ آب ١٩٢٠م ، غادر "الندوب السامي" البريطاني "القدس" قاصدا "اربعاء" ومنها الى "السلط" حيث اجتمع بعدد كبير من اعيان ووجهاء "شرق الاردن" (١) وطلب اثر هذا الاجتماع تألفت في كل من "الكرك" و"السلط" و"اربعاء" حكومات محلية يدير شؤونها احد رجال الادارة ، وبالتعاون مع مجلس استشاري اعضاؤه من وجوه المنطقة واعيانها . وكان يمثل "بريطانيا" لدى كل حكومة "معتمد بريطاني" لم تحدد صلاحياته كل التحديد في تلك الفترة القصيرة ، ولكنه كان المرجع الاعلى لتلك الحكومة .

ولم تستطع هذه الحكومات ان تفرض سلطتها . . . في المناطق الثلاث التي تألفت فيها ، فحكومة "الكرك" كانت قائمة على النفوذ الشخصي الذي كان يتمتع بها "المتصرف" و "اعضا" المجلس العالي "باعترابهم من شيوخ القبائل الكبيرة في "الكرك" وارتباط الاهل بسلطات الحكومة ، وكان ادبها معنويا اكثر منه عطيا واقميا . اضافة الى هذا حداثة عهد الناس بحكم منشق عنهم ، يمثل اشخاص من بيئتهم ، ولم يطل الامر بحكومة "الكرك" حتى ظهر ضعفها للاميان ، وذلك نتيجة لقتال وقع بين عشيرتين ولم تتمكن هذه الحكومة من ايقافه او معاقبة القائمين به .

ولم تكن حكومة "السلط" احسن حالا ، ذلك ان سلطة هذه الحكومة لم تتمتع "السلط" و"عمان" وبعض القرى المحيطة بها . اما في "لوا" "عجلون" فقد كانت الحال ادهى وأمر لا تسمع وكثرة عدد سكانه نسبي ، وتوزع فيه بين عدد من العشائر القوية . واحتفظ البدو باستقلالهم العشائري الذي كانوا يتمتعون به منذ زمن ، وازدادوا عتوا وجبروتا ، وحاولوا فرض سيطرتهم

على الفلاحين وقراهم ، وكثيرا ما حدثت الممارك الطاحنة بينهم وبين سكان القرى ، ولقد اختل الأمن اختلالا كبيرا في طول البلاد وعرضها ، ولم يكن احد يخشى ملاحقة رجال الحكومة له اذا خطر له ان يتوغل في الصحراء او ان يفر في الشجاب البعيدة عن المناطق المأهولة ، وقد شجعت هذه الفوضى الكثيرين من الاشقياء على قطع الطريق ، حتى اصبح السفر في الليل غير مأمن في اى مكان .

وفي هذه الظروف عزم الامير " عبد الله بن الحسين " على الصجى " الى شرق الاردن " ، ولا سيما وان والده " الشريف حسين " قد تلقى برقيات عديدة من " حوران " و" عمان " و" معان " يطلبون اليه ايفاد احد انجاله كي يتزعم الحركة الوطنية المناوئة للمستعمرين .

ووصل الامير " عبد الله " الى " معان " بعد اربعة اشهر من اعتداء الفرنسيين على استقلال سوريا " و" دما " الصرب في " ميسلون " لم تجف بعد ، فاستقبله حين وصوله شيخ " معان " وعدد من زعماء القبائل وشيوخ المشائخ ، ووافاه هناك بمشئ احرار السوريين الذين غادروا بلادهم بعد معركة " ميسلون " .

واضطرب الفرنسيون لقدوم الامير ، وخشوا ان يحرض عليهم سكان " شرق الاردن " وقبائل البادية ، فسارعوا الى تقوية مراكزهم الدفاعية في " جبل الدروز " و" حوران " وشحنوا تلك المراكز بالمقاتلين ، وكانوا حليفتهم " بريطانيا " للعمل على مقاومة حركات الامير وايقافه عند حده .

فعلا قام ممثلوا " بريطانيا " في " شرق الأردن " بتهديد الناس وتحذيرهم من الاتصال بالامير " عبد الله " . ولكن هذه التهديدات لم تحل دون قدومه الى " عمان " حيث استقبلته الجماهير والبشر يملو وجوهها ، والتقاؤل يعمر نفوسها ، وهكذا انتهى عهد الحكومات المحلية ، واخذت السلطة تتحرك في يديه ، وفي ٢٩ آذار عام ١٩٢١م اجتمع الامير " عبد الله " بوزير المستعمرات البريطانية " تشرشل " وتم بينهما الاتفاق على تأسيس حكومة وطنية في " شرق الاردن " برئاسة الامير ، تعمل على تنظيم مناطقه واقسامه وتوظيف الأمن فيها ، وتمت روح الطمأنينة والاستقرار بين السكان .

وقام جهاز حكومي شارك فيه عدد من الموظفين البريطانيين ومشئ ابنا " الاقطار العربية " وفتحت " نظارة المعارف " عددا من المدارس في المدن الرئيسية ومشئ القرى لتفريج كربة وموظفين ولكنها لم تحاول أن توجد اى تغيير اساسي في البلاد بخدم مصلحة الاكثريية الساحقة من الشعب . فتركت الفلاحين تحت سيطرة ورحمة عدد من الاقطاعيين بواسطبة قوانين الاراضي ، وسوت نظام الاستيراد بشكل يتيح لعدد من الدخلاء ان يسيطروا على التجارة الداخلية ويختكرونها . وكان لهذا كله نتائج بالغة الخطورة ، فالهدو الذي

اضطرب ميزان حياتهم الاقتصادي ينضمهم من الغزو ، اصبحوا يعانون مجاعة شديدة . كما ان خريجي المدارس السلطانية و " نظارة المعارف " الجديدة ، وجدوا فرص الارتقاء والتقدم قد سدت في وجوههم ، واصبحت مقصورة على البريطانيين وعلائهم . اما الفلاحون الذين سبق وقاموا بثورات دامية ايام الدولة العثمانية ، فقد ازدادت حالتهم سوءاً ، ولم يشعروا بسأى تغير وكذلك الامر بالنسبة الى الاقطاعيين الذين كانوا يتمتعون بامتيازات كثيرة في عهد الحكم العثماني فقد أحسوا بأن تطور العلاقات الجديدة في المدن ، واضطرب في المدن ، واضطراب الاحوال عامة في البلاد ، يجعلهم غير مطمئنين لمراكزهم . (١) ومن خلال هذا كله ، كان فريق من ابنا " شرق الاردن " يضيفون بسيااسة الفاصبين الجدد ، ويهيمون بأهل البلاد أن يستيقظوا وينقذوا انفسهم وعروشهم من رواسب التركية ، ويقاها الاقطاعية ، وواد رالا استثمار الذي دهاهم بالمهانة والاستغلال تحت ستار التحالف والوصاية . وكان الدور الاكبر للمثقفين ، فعاولوا الاستفادة من الثورات المحلية ، ولكن انتفاضاتهم قمت ، وصدر الامر من رئيس النظار حينذاك " حسن خالد ابو الهدى " (٢) ، بنفي عدد كبير منهم وكان من بينهم الشاعر " مصالحي وهبي التل " .

ونتيجة للاجرامات التمسفية التي اتخذت ضد هؤلاء النفر وغيرهم من ابنا البلاد ، تشكلت حركة سرية مناوئة للحكومة ، وكان شعارها " الاردن للاردنيين " . وطالبت في انها سيطرة الاحتلال البريطاني ، واجرام انتخابات حرة في البلاد .

وفي عام ١٩٢٨ م تلت هذه الفجة لحظة شديدة ، ان عقدت " المعاهدة البريطانية " المذمومة اعترف بموجبهها بشرعية الاحتلال البريطاني ، على الرغم من تسميتها " اعلان استقلال امارة شرق الاردن " ووافق عليها المجلس التشريعي ساعة عرضها .

وعقدت مؤتمرات وطنية ، واتخذت قرارات هامة ، كان اخطرها الغاء المعاهدة " البريطانية الاردنية " واجرام انتخابات حرة ، وخرجت التظاهرات الطلابية في جميع المدن الرئيسية تهتف بسقوط " الانجليز " وعلائهم ، فواجهها " البوليس " بالرصاصة والشدة .

وفي عام ١٩٣١ م وصلت البلاد الى وضع مستقر نسبياً ، فالبدو الذين اضطرت حياتهم بمدنهم من الغزو ، اوجدوا توازناً جديداً بان تحول جزء منهم الى الزراعة ، كما فتح الجيش ابوابه لهم فدخل في صفوفهم اعداد كبيرة واطمان الاقطاع كذلك الى امتيازات تيسره ،

(١) غالب هلسا - مجلة الادب ، العدد الرابع ، نيسان ١٩٥٧ .
(٢) تعد الفترة التي قضاها " حسن خالد ابو الهدى " في الحكم (١٩٢٦ - ١٩٣١) من اشد الفترات خطورة في تاريخ شرق الاردن ، ففي هذه الفترة توقيع المعاهدة البريطانية وجرت انتخابات المجلس التشريعي ومنح امتياز وتصبرغ ، واشترك المستشارون الانجليز والموظفون المستمارون في مسؤولية الحكم وادارة شؤون الدولة ، واسندت ادارة الدوائر في الحكومة الى المستشارين والموظفين المستمارين ، وخضعت جميع مرافق الدولة لتدخل المتمد البريطاني " كوكس " .

بل انه وجد في بقايا السلطة البريطانية في البلد ما يدعم نفوذه ويرعى مصالحه . ولقد ادى هذا الى نشوء مجتمع "بيروقراطي" في البلاد تسيطر فيه على الوضع الاقتصادي فئة صغيرة من كبار المستوردين ، ويسيطر فيه على جهاز الحكم زمرة ضئيلة .

وانصرف المجتمع باجمعه الى تكديس الثروة والتسابق على المناصب والبحث عن "القرش" بآلية وسيلة ، لمواجهة مطالب الحياة التي اخذت تزداد شديدة الصعوبة ، نظرا لارتفاع الاسعار وزيادة مستوى متطلبات الحياة وحاجات الفرد . وهكذا أخذ المجتمع يتطبع شيئا فشيئا بطابع التجار والفئة الدنيا من الطبقة المتوسطة .

ولم ينقطع المستعمرون عن المراوغة والمكر والمداورة ، وغل الأعداء وزادوا من سيطرتهم على البلاد ابان الحرب العالمية الثانية وعززوا نفوذهم العسكري ، وعقدوا المعاهدة طو المعاهدة مع الحكومات الاردنية ، وتبعها لصا لحهم وظروفهم . وفي الأمر كذلك حتى اعلان الملكية في البلاد بقرار من "المجلس التشريعي" الاردني في ٢٥ نيسان عام ١٩٤٦ . وفي هذه الفترة كان العدوان الصهيوني المسلح على "فلسطين" يشتد ويشتد الى ان حلت النكبة الاليمية التي هددت العالم العربي كله ، في مستهل عام ١٩٤٩ م .

الباب الثاني

بواعث النهضة الأدبية في الأردن



(1) التربية والتعليم :

لقد تجاوزت وزارة التربية والتعليم بالكم ، وأصبح اهتمامها منصرا إلى نوعيات التعلّم ، وتهيأت الأعداد الكافية من المعلمين ، والمعلمات ، القادرين على تخريج القوى البشرية المتنوعة المدربة المؤهلة . لذا فإن الأردن يشهد اليوم نهضة تربوية ، تشمل جوانب طمعية تربوية مختلفة ، هدايا ونوعا ومرافق وخدمات ، كما تشمل هذه النهضة عدد المعلمين في مجال التربية والتعليم ، وأعدادهم وتأهيلهم للقيام بمهامهم وإذا كانت التربية هي فن صناعة المواطنين القادرين الصالحين ، فإن الهدف الكبير ، الذي تضمنه الوزارة نصب عينها ، إتاحة الفرصة للتربية والتعليم أمام كل المواطنين الذين هم في سن التعليم ، ومثل هذا الهدف يتطلب السهر الدائم ومضاعفة الجهود ، حتى تتمكن الوزارة من إتاحة الفرصة التعليمية أمام من هم في السن المطلوب ، بالمدينة والريف والبادية سواً بسواً .

ويقوم هذا الهدف على مرتكزات أساسية هي :-

- ١- ربط العطية التربوية التعليمية بأهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية والحيوية
 - العطية في المملكة .
 - ٢- الالتزام بالتخطيط فيها وأسلوبها ، لمعالجة المشكلات بطريقة علمية موضوعية ، وللتمسرف إلى الحاجات التربوية والتعليمية الحاضرة والمستقبلية .
 - ٣- الزامية التعليم .
 - ٤- الاتجاه في السنوات الأخيرة ، إلى إعطاء التعليم المهني ثقلا وإهمية .
 - ٥- أعداد المعلمين علميا وسلوكيا .
 - ٦- الاستمرار في مراجعة المناهج والكتب المدرسية وتطويرها .
- واستطاعت الوزارة تحقيق الأعداد التالية :-
- أ- الطلبة في المراحل التعليمية المختلفة :-
- بلغ عدد الطلبة في المراحل التعليمية المختلفة للعام الدراسي " ١٩٧٥-١٩٧٦ " حوالي (٥٣٩٧٩٠) طالب وطالبة ، منهم (٢٣٧٩٩٠) طالبة أي بنسبة ٢٨.٦٪ من السكان .
- ٢- أعداد المعلمين علميا وسلوكيا :-
- يجري أعداد المعلمين قبل الخدمة وتأهيلهم اثنائها بالوسائل التالية :-
- أ . معاهد المعلمين : وذلك لأعداد الحاجات العطية التربوية من المعلمين قبل الخدمة . وقد تخرج من هذه المعاهد في العام الدراسي ١٩٧٤-١٩٧٥ حوالي (١١٠٠) معلم ومعلمة ، وقبيلت المعاهد للعام الدراسي ١٩٧٥-١٩٧٦ حوالي (١٧٠٠) طالب وطالبة .
 - ب. تأهيل المعلمين : انشيء معهد التأهيل التربوي ، بهدف تأهيل المعلمين في المرحلة الإلزامية اثناء الخدمة ، ومدّة الدراسة فيها سنتان .
- تخرج من هذا المعهد في العام الدراسي (١٩٧٤-١٩٧٥) حوالي (٥٥٠)

معلما ومعلمة .

هذا وقد عملت الوزارة على زيادة استيعاب المعهد ، فقبلت في المعهد للعام الدراسي (١٩٧٥-١٩٧٦) حوالي (١٠٠٠) معلم ومعلمة .

جـ . التدريب : تقوم الوزارة بمطية التدريب اثناء الخدمة ، عن طريق عقد السدورات المختلفة اثناء العام الدراسي وخلال الصيف ، ويحضر هذه الدورات معلمون من مختلف الفئات والمراحل التعليمية ، ففي صيف عام ١٩٧٥ م عقدت تسع عشر دورة مختلفة ، اشترك فيها (١٤٩٢) معلما ومعلمة ، كما شارك فيه معلمون من البلدان العربية الشقيقة .

والمعلوم ان الوزارة انشأت من اجل التوسيع في اعداد المعلمين وتأهيلهم خلال سنتي خطة التنمية الثلاثية المعاهد التالية :-

- ✳ معهد معلمات الاميرة عالية / عمان .
- ✳ معهد المعلمين والمعلمات / السلط .
- ✳ معهد المعلمين الزراعيين / الشوبك .
- ✳ قسم اعداد المعلمين الصناعيين في المعهد الفني الهندسي .

(٢) الأذاعة :-

لم يكن للأردن إذاعة مستقلة خاصة ، حتى اواخر شهر نيسان من عام ١٩٤٨ ، وعند ما تم نقل ما امكن نقله من اجهزة الاذاعة في القدس ورام الله بسبب الاضطرابات التي كانت سائدة في جهاز الحكومة على اثر انتهاء الانتداب .

ولما كانت رام الله تتمتع بالهدوء النسبي بعيدا عن ميادين القتال ، فقد اصبحت تابعية للحكومة المركزية في عمان ، واستمرت الامور على هذه الشاكلة حتى توحيد الضفتين رسميا في عام ١٩٥٠ ، فأصبحت الاذاعة تعرف في ذلك الحين باذاعة المملكة الأردنية الهاشمية (١) . وتشمل الاذاعة على الاقسام التالية :-

١- قسم البرامج : ويشمل الانتاج والاعداد والبرامج الدينية والتنسيق .

أ. الانتاج : ويشمل المخرجين والمذيعين والفروع الاجنبية والموسيقى .

ب. البرامج الدينية : يقوم بمراقبة نصوص البرامج والمواد الدينية والاشراف على القطاع الديني .

ج. التنسيق : ويشمل المكتبة الموسيقية وخريجي البرامج والنصوص والمكافآت .

٢- الأخبار : وهي دائرة تشمل تحرير النشرات الصريحة والانجليزية والرصد اللاسلكي

وتعمل هذه الدائرة على جمع الاخبار ونقلها الى المواطنين وتصريفهم

بنشاطات الدولة وسياستها في جميع المجالات ، والدعوة لخير المواطنين

في المقام الاول .

٣- الهندسة : وتشمل الاستديوهات ومحطات الارسال .

(١) كتاب الاردن السنوي - وزارة الاعلام - دائرة المطبوعات والنشر

(٣) التلفزيون (١)

إن صناعة التلفزيون حديثة العهد في الأردن ، شأنه في ذلك شأن العديد من الدول النامية ، مساوية في ذلك في حداثة الخبرات والمعارف الفنية والحرفية الأساسية اللازمة لنشوء هذه الصناعة ، فكان على مؤسسة التلفزيون ان تهاشر اعمال البث بنفس الوقت الذي تدرب فيه فنييها واجهزتها .

ولقد دخل الاردن في عصر التلفزة عام ١٩٦٨ م ، بحفل رسمي رعاه جلالة الملك الحسين ، تم افتتاح محطة التلفزيون الاردني ، وكان البث حين ذاك ، اربع ساعات في اليوم ، ثم زيد الى خمس ساعات في تشرين الاول من العام ذاته .

ان التلفزيون بحكم قانونه ، مؤسسة تلفزيونية ذات شخصية اعتبارية يتولى ادارتها مدير عام ، يرتبط بموزير الثقافة والاعلام ، ومركز المؤسسة في مدينة عمان ، ويجوز لها ان تؤسس فروعاً ومكاتب في المملكة ، وان يعين لها ممثلين في داخل الأردن وخارجها ، وللمؤسسة ميزانية خاصة ضمن الموازنة العامة للدولة .

وتتألف اجهزة مؤسسة التلفزيون من اربع دوائر رئيسية هي :-

١ . دائرة الهندسة .

٢ . دائرة البرامج .

٣ . دائرة الاخبار .

٤ . دائرة الشؤون الادارية ، وعدد من الدوائر الفرعية والاقسام التي تقوم بدورها

بتأمين الخدمات على اختلافها الى الدوائر الاربعة الرئيسية مثل : دائرة الافلام ، والمالية وشؤون الموظفين والعلاقات العامة وغيرها .

ان دائرة الهندسة تشرف على جميع الالكترونية ، والميكانيكية ومحطة الارسال والاستديوهات ، وتحفظها دوما بحالة جيدة لاستعمال المؤسسة .

اما دائرة البرامج فهي مسؤولة عن انتاج وانتقاء البرامج المحلية والاجنبية ، التي تظهر على شاشة التلفزيون وتضم اربع مراقبات للانتاج ومراقبة التنسيق والمراقبة الادارية ولجنسية للتخطيط والمتابعة وتقوم دائرة الاخبار باعداد وتقديم نشرتين مصورتين للاخبار الوطنية باللغة العربية ، والاخرى باللغة الانجليزية هذا بالإضافة الى موجز سريع يقدم قبل اختتام البث اي في حوالي الحادية عشرة من كل مساء ، وقد تم حديثا اخفاة نشرة رابعة باللغة العبرية . اما دائرة الشؤون الادارية فمهمتها ايجاد المناخ الجيد لتعاون مختلف الدوائر فيما بينها ، وتسهيل ذلك مع الاشراف المستمر على توفير جميع الخدمات الادارية والمالية وغيرها ، بمختلف الدوائر واقسام المؤسسة .

(٤) الصحافة :

يمود تاريخ الصحافة في الاردن الى اكثر من خمسين عاما ، ففي شرقي النهر صدرت عام ١٩٢٠ جريدة (الحق يملو) وكان يشرف عليها المغفور له الامير عبد الله بن الحسين ، وعمل في تحريرها (محمد الانسي ، وعبد اللطيف شاكر) وقد صدرت في معان وعمان . ثم ظهرت جريدة (الشرق العربي) عام ١٩٢٢ ، وهي الجريدة الرسمية لحكومة شرقية الاردن ، وكانت تهتم بالاضافة الى الاخبار المحلية ، بالمقالات الادبية والسياسية ، والانباء العالمية ، وكان يشرف على تحريرها (محمد الشريقي) .

اما غربي النهر فصدرت جريدة (النفير العثماني) عام ١٩٠٨ وهي اول صحيفة في ذلك العهد ، في القدس لصاحبها ابراهيم زكا ، وجريدة الكرمل في حيفا لصاحبها نجيب نصار ، ثم اصدر جورج حنانيا في نفس العام جريدة (القدس) وتلاها عام ١٩٠٩ ، (جريدة الاخبار) لصاحبها بندلي عرابي ، والنقائس (لخليل بيدس) ، التي ان صدرت عام ١٩١١ ، جريدة فلسطين لصاحبها عيسى الميسى ، ويوسف السمدي ، والتي استمرت في الصدور حتى عام ١٩٦٧م .

والصحافة في الأردن ينظم شؤونها وصدورها قانون خاص عام ١٩٥٥ ، ويصرف باسم قانسون المطبوعات رقم (١٦) ، وقد اعطي هذا القانون الحرية للصحافة وحقها في حرية التلميم والرأي ونشر الانباء ، بمختلف الوسائل ولا تقيد هذه الحرية الا في نطاق القانون .

ويشترط القانون ان يكون صاحب الصحيفة اردنيا ، واذ كان اجنبيا فيشترط وجود مسدأ المقابل بالمثل مع بلده ، كما يشترط ان يكون لكل صحيفة محرر مسؤول . ولقد كانت المؤسسات الصحفية السياسية في الأردن ملكا للافراد حتى صدر في مطلع عام ١٩٧١م ، قانون مؤسسة الصحافة الاردنية التي تأسست بموجبه جريدة الرأي التابعة لوزارة الثقافة والاعلام ، وهي صحيفة يومية تصدر على مطابع الاوقفت الحديثة .

وتعتبر الصحافة الاردنية من الصحافة العربية ذات المستوى الجيد فقد استطاعت ان تعطي القارى صحفا ملبوعة طباعة جيدة وباخراج ممتاز متضمنه آخر الاخبار والتعليقات والتحقيقات التي تبيد الاحتياج وفضول القارى .

(٥) المكتبات :

لم يتميز الأردن بثقافة خاصة به ، وثقافة جزء من الثقافة الإسلامية العربية في القرون السابقة ، وكان أول من طالب بإنشاء مكتبات عامة في الأردن المثقفون من شباب الأندلس في مدينة عمان ١٩٥٤م الذين قابلوا أحد المسؤولين في الوزارات للبحث على إنشاء مكتبات يرتادها أفراد المجتمع ، وفي عام ١٩٥٥ صدر قانون البلديات رقم (٢٩) الذي نص في أحد مواده على أن من واجبات المجالس البلدية (إنشاء المتاحف والمكتبات العامة والمدارس والنوادي الثقافية والرياضية والاجتماعية والموسيقية ومراقبتها) .

وفي هذا النص هو الأساس التشريعي الوطيد لإنشاء المكتبات العامة في الأردن ولمسدة عشرين سنة والاستناد إلى هذا النص أنشأت المكتبات العامة في بعض المدن وكانت أول مكتبة تم إنشاؤها في إربد عام ١٩٥٢ ثم تيمتها المكتبة العامة لأمانة العاصمة . ١٩٦٠ ، وبعدها أنشأت مكتبات في الكرك ومعان والزرقاء والسلط ووادي السير والمفرق بالإضافة إلى مكتبات في الضفة الغربية في كل من القدس ونابلس ورام الله والخليل وجنين .

الأهداف العامة للمكتبات المختلفة :

- ١- الحفاظ على التراث الفكري والمعرفة الإنسانية
- ٢- إتاحة الفرص الدراسية الجامعية (التعليم العالي) .
- ٣- تشجيع البحث العلمي .
- ٤- نشر الأفكار والمعرفة .
- ٥- التفاعل الإيجابي مع المجتمع .

(٦) دائرة المطبوعات والنشر :

أسست دائرة المطبوعات رقم (٦) لسنة (١٩٥٣) الصا در بمقتضى المادة (١٢) من الدستور وهي تهدف إلى :-

- ١- العمل على نشر الثقافة السلمية بين المواطنين في الأردن .
- ٢- العمل على تحقيق غايات وأهداف الاعلام الأردني .
- ٣- إيصال المواد الاعلامية إلى المواطنين ، وذلك بتوزيع الكتب والنشرات الاعلامية ، التي تبين مختلف نشاطات أجهزة الدولة ضمن الخطوط العامة للسياسة المرسومة .

وتشمل هذه الدائرة على ما يلي :-

١- قسم النشر :-

يعمل قسم النشر على إصدار الكتب والنشرات ، التي تبين معالم النهضة الحد يثة ، وهذا يتم عن طريق جمع المعلومات والبيانات والاحصاءات المتعلقة لنشاطات الأردن المتعدده ثم تنسيقها وتنسيقها وما كتاب " الأردن السنوي " وكتاب " النهضة الصناعية في الأردن " وكتاب " الفوسفات الأردني " الا مثالا على ذلك .

٢- قسم الرقابة :-

يتولى مراقبة جميع الصحف والمجلات والكتب التي ترد الى الاردن قبل توزيعها كما يقوم بايجازة المخطوطات التي تطبع داخل المملكة .

ويراقب الاشرطة الصوتية والاسطوانات التي ترسل الى الخارج .

٣- قسم الصحافة المحلية :-

انيطت به مهمة الاشراف على تطبيق احكام قانون المطبوعات رقم (٢٣) لسنة (١٩٧٢) بالنسبة الى الصحافة المحلية، ودور الطباعة والنشر، وصرف البطاقات الصحفية .

٤- قسم الصحافة الخارجية :-

يتكون من شعبتين :-

أ . شعبة الصحافة الاجنبية : تقوم بتابعة ما تنشره الصحف والمجلات الاجنبية من مواضيع عامة، وخاصة ما يتعلق بالمملكة والعالم العربي حيث تصدر نشرة مفيدة عن اهم ما تضمنته تلك الصحافة .

ب . شعبة التسهيلات الصحفية :-

تتولى هذه الشعبة تسهيل مهمة الصحفيين والمراسلين العرب والاجانب بالتنسيق مع الاجهزة المختصة في الاردن .

٥- قسم المراجع :-

يقوم بجمع المعلومات المتعلقة بالاردن، ويعمل على تصنيفها وتبويبها وحفظها، وكذلك يحفظ الصحف اليومية المحلية ومدى الصحف الاجنبية في مجلدات للرجوع اليها عند الحاجة .

٦- مجلس التنمية :-

وتصدر الدائرة مجلة شهرية هي مجلة التنمية التي تنقل اخبار المشاريع الرسمية التنموية على شكل مقالات، وذلك بالاتصال مع المختصين بشؤون الخطط التنموية في الاردن .

ولقد اثمرت هذه المواصل على الحركة الادبية في الاردن تأثيرا فعالا، فهناك الجرامم الادبية التي تذاغ من محطة الاذاعة والتلفزيون .

لقد لعبت هذه المواصل دورا كبيرا في نشر الحركة الادبية وذلك عن طريق البرامج الادبية التي تبث من الاذاعة والتلفزيون وعن طريق نشر المقالات الادبية على صفحات الجرائد والمجلات .

الباب الثالث

الفنون الشعرية

الفصل الأول

تمهيد للمحركة الأدبية قبل عام ١٩٥٠

رأينا انه قد هيمن على البلاد في جنوبي سوريا أي (فلسطين وشرقي الاردن) الاستعمار البريطاني المباشر بعد الحرب العالمية الاولى ، وان كان لشرقي الأردن وضع خاص بسبب وجود أمير عربي هو المرحوم عبد الله بن الحسين على رأس امارة شرقي الاردن . ولحظنا فيما أشرنا اليه من تطور اجتماعي ان عهد الامارة هو الذي أسعف على تهيئة المناخ لتطور اجتماعي في شرقي الاردن ، أخذ بخطوات فلسطين والبلاد العربية الساقية فسي هذا الضمار .

ومن هنا نرى ان الشعر الجديد او الشعر العربي الحديث الذي يعبر عن مطالب الطبقة المتوسطة في أوسع أبعادها ، وطنية كانت او خاصة ، فردية او ذات هموم جديدة نبتت فسي المجتمع الجديد انما أخذ ينشأ في شرقي الأردن منذ مجيء عهد الامارة ، وما لبث ان أخذ يوازي في سيره موكب الحياة الشعرية في فلسطين حتى النكبة ثم التحم الثيران بعد النكبة في المملكة الاردنية الهاشمية .

وقد التفت من حول الامير عبد الله كوكبة من الشعراء الذين جاءوا اليه من البلاد العربية بالمطامح الجديدة ، وكان الامير هو قطب حركة هؤلاء ، سواء بما كان ينظمه هو نفسه شعرا او بما كان ينظمه هؤلاء الذين ضمهم بلاط الامير ، ولعل من اشهر الشعراء الذين كانوا من حول الامير مصطفى وهبي التل والشاعر محمد صبحي ابو غنيمية وحسني زبيد الكيلاني . وكان الامير كثيرا ما يعمد الى معارضة بعض القوائد التي تقال من حوله ، ومن ذلك ما عرف بين كل من مصطفى وهبي والدكتور محمد صبحي ابو غنيمية فقد قرأ الدكتور محمد صبحي ابو غنيمية (١) في احدى الصحف عن فتاة اسمها (برفين) تتذمر من كانوا يزعجونها بالرسائل حينما ويضايقونها في الطريق حينما آخر ، فكتب الدكتور ابو غنيمية في ذلك قصيدته النونية المشهورة التي قال فيها :

ان الذين وصفتهم لم بينهم	عسا أتوا شرف يمزود يمين
هم كالكلاب فان سمعت نباحهم	فتذري بالصبر يا برفين
وكما شكوت لي الرجال فانسه	يشكو اليك من الحسان عزين
عذبتة ورميتته وهجرتسه	فحياته وحياتهن أنمين
ماذا عليك اذا أسوت جراحه	وأريته الشحان كيف يكمون

(١) الدكتور محمد صبحي ابو غنيمية طبيب وشاعر ، ورجل سياسة ، صدر له كتاب (نظيرة في أعماق الانسان) الجزء الاول وله شعر وطني ووحداني ويوميات وجانبي من مجلة القصة ، وقد صدر له ايضا كتاب (من الايام) منشورات دار الثقافة بدمشق .

الى ان يقول فيها (٢) :-

قولي لمن ظلموك - رب غلامسة

اني فتاة طهارة أفتى بها

فغدا مات (الشيخ) في اوراده

شفعت لها عند الشفيح (٣) عيون

هود (لما ساورتها ظنسون

برفين يا برفين يا برفين

وانتشرت الابهات، وكان الدكتور ابو غنيمه قد ترك عمان واستقر في دمشق بعد نظمها فكتب اليه مصطفى وهبي التل نونية مستوحاة من هذه القصيدة مطلعها :

مالي ورفين يا عشاق برفين

فعرف الامير عبد الله القصديتين ، فعارض الاولي لثما الشاعرين بنونية يخاطب فيها

مصطفى وهبي التل قائلا :-

ناديت من برفين غير سميسة

وأخوك (٤) بالشام العريقة نازل

اوحى لك التدخين ما قد قلت

هبلتك أمك كيف تصدح دميسة

فاضخ وضح ما شئت يا برفين

لك في قريضك سمف ومين

في كل حرف منه نيكوتين

برطانة ضحكت عليها الصين

فأجابه مصطفى وهبي التل بنونية أخرى قال فيها :

هلم هلم نلم شمعت قريضنا

فلقد تناولنا بلانغ تقوده

تأبى عليه شمائل قرشيسة

مولاي ان الحسن لا وطن له

والاشرفية (٥) ما علي ظبياتنا

ودع الملام فما يلين فتانتنا

برفين يا مولاي لا عثرت بكم

رعوية ومن المحاسن حسبها

لم يثنه عن ان يهيم بحبها

او بعد هذا هل علي وصاحبي

وغير دين بنى التسيب ندين

جزل الحديث أخو حجاج رصين

ان تستخف بمثلنا برفين

وحدث اخوان الصفا شجون

ان لا تكون رمالها يبرين (٦)

في حبها تمرضك الموزون

(في حلبة النظر السديد) عيون

ان الفؤاد بحسنها مفتون

عمر أقل سنه خمسون

خرج اذا ناديت يا برفين

وهكذا نجد ان عهد الامارة استطاع ان يهيئ مناخا للشعر في شرقي الاردن اخذ به من عن آمال الطبقة المتوسطة ومطامحها وهمومها .

(٢) انظر ديوان مصطفى وهبي التل (عشيات وادي الياض) ص ٨٤ وعرار شاعر الاردن ص ١٢

(٣) وهو يقصد الشيخ عودا النجار ، كان امام قصر الأمير في عمان .

(٤) اي الدكتور محمد صبحي ابو غنيمه .

(٥) حي في عمان كانت تسكن فيه برفين .

(٦) يبرين في الاحساء من شبه جزيرة العرب .

صورة من شخصية مصطفى وهبي التل وشخصه

مصطفى وهبي التل وشخصه

(عرار) (١)

حياته ونشأته :-

ولد مصطفى وهبي بن صالح المصطفى اليوسف التل في بلدة أرسد (مركز لواء عجلون في شمالي شرقي الاردن) في ٢٥ آيار سنة ١٨٩٧ (٢) وقد تلقى دراسته في المرحلة الابتدائية في ارسد ، ثم سافر الى دمشق سنة ١٩١٢ م ليتلقى دراسته الثانوية . فدخل مدرسة (عنبر) ثم ذهب الى بيروت ودخل المكتب السلطاني ، وعاد بعد ذلك الى مدرسة عنبر بدمشق . ثم اضطر الى ان يذهب الى حلب حيث انتهى دراسته الثانوية في المدرسة التجهيزية هناك نحو سنة ١٩١٧-١٩١٨ م .

ويرجع تقلبه في المدارس السابقة الى مشاركته في النشاط الوطني السياسي ضد الاتراك حين كان في مدرسة عنبر ، مما دفع السلطات آنذاك لنفيه الى بيروت ، واعادته الى دمشق ، ثم الى فصله من مدرسة عنبر والسماح له باتمام دراسته في حلب . ولعل موقفه من الاحداث الوطنية والقومية في سنة الصكرة تلك ان يكون من اعق الدلالات على شخصيته ومواقفه في حياته بعد ذلك .

وبفهم من ترجمة المحامي محمود المطلق - وهو من اقرباء الشاعر - للشاعر في مقدمة ديوانه (عشيات وادي الياض) (٣) ، وما كتبه الاستاذ يعقوب المودات (البدوي الملقب) عن الشاعر في كتاب (عرار شاعر الأردن) (٤) وما كتبه الدكتور ناصر الدين الاسد عنه في محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والاردن (٥) ان مصطفى وهبي التل كان بصرفه اللغة التركية واللغة الفرنسية ، وآداب هاتين اللغتين ، وانه كان مولعا بالفارسية خصوصا في نواحيها عن الخيام على وجه التحديد ، وانه نظم في صباه بالفارسية ، وترجم بعض الشعر عن الفارسية . اما تراثنا في العربية فكان يديم القراءة فيه اذ اذم الراسخ القدم المتمكن من نواحيه وشوارده اللغوية .

وقد اتج لشاعرنا ان يدرس القانون على نفسه دراسة خاصة ، واجتاز عام ١٩٣٠ م امتحانا في القوانين والانظمة المتبعة في شرقي الأردن ، ونال اجازة المحاماة . وقد تقلب في كثير من

(١) عرار هو اللقب الشمري المستعار لمصطفى وهبي التل ، انظر محاضرات في الشمير

الحديث في فلسطين والاردن - حاشيته ص ١٠٩ ، وحاشيته ص ١١٠ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ١٠٩ .

(٣) نشر شركة الطباعة الحديثة بعمان ١٩٥٤ م .

(٤) طبع المطبعة الوطنية ومكبتها بعمان سنة ١٩٥٨ م .

(٥) نشر معهد الدراسات العربية العالمية بالقاهرة سنة ١٩٦٠ / ١٩٦١ م .

الوظائف منذ وقت مبكر في حياته ، فقد بدأ يعلم نحو سنة ١٩١٨ في مجلة اسكيشهر ، وبعد سنة واحدة عاد الى اربند - سقط رأسه - وفي اواخر سنة ١٩٢٢ صار معلما للغة العربية في مدرسة اربند الحكومية . وفي سنة ١٩٢٣ م صار حاكما اداريا لبلدة وادي السير - غربي عمان والقرب منها - ولكنه عزل بعد اربعة اشهر ونفي الى جده بأمر من رئيس النظار (رئيس الحكومة آنذاك) وبارادة سنية من امير البلاد عبد الله بن الحسين ، ومكث في طريقه الى جده شهرا في سجن (عمان) ، وبعد وصوله جده اعتقل ثمانية اشهر ثم اطلق سراحه . وقد عين حاكما اداريا لبلدتي الشوك ووادي السير سنة ١٩٢٥ م ، غير ان عزل بعد عام

وعين بعد ذلك معلما في مدرسة عمان ، وقد فصل من عمله في مطلع عام ١٩٢٧ م واعتقل ، وفرضت عليه الإقامة الجبرية في عمان مدة أشهر . وفي السنة نفسها عين مديرا للمدرسة الابتدائية في بلدة الحصن . وحين عقدت المماهدة البريطانية الاردنية في سنة ١٩٢٨ م عارضها مصطفى وهبي التل وهرع التلاميذ على التظاهر ففصل من عمله .

وحين نال إجازة الحقوق سنة ١٩٣٠ . أشغل بالمحاماة . ثم اعتقل في سنة ١٩٣١ م بسبب مقال عزي اليه ونشرته جريدة الكرمل ، فنفي الى المقبة اشهرًا ، ثم عين معلما للغة العربية في مدرسة اربند الثانوية ، في السنة نفسها . وقد ترك مصطفى وهبي التل التعليم منذ سنة ١٩٣٣ ، ودخل المناصب القضائية في وزارة العدل ، فميين رئيسا للكتاب في محكمة اربند ومأمور اجراء بعد ذلك في عمان .

وفي اواخر عام ١٩٣٧ م عين مدعيا عاما في السلط ، ثم مساعدا للنائب العام في عمان . وفي اواخر عام ١٩٣٨ عين امينا ثانيا للامير عبد الله ، وعاد الى وزارة المعارف في سنة ١٩٣٩ ، حيث عين كبير المفتشين فيها ، ولكنه ترك هذا المنصب بعد فترة قصيرة وعاد الى المحاماة . وفي عام ١٩٤٢ رجع الى المناصب الحكومية ، فميين متصرفا للواء البلقاء * وكان مقره السلط * غير انه عزل بعد اشهر وسجن وبقى في السجن نحو سبعة ايام . ولم يعد بعد ذلك الى المناصب الحكومية ، وانما انصرف الى المحاماة وبقى فيها الى ان توفاه الله في ٢٤ آب عام ١٩٤٩ م . (انظر في هذه المملومات محاضرات في الشمر الحديث في فلسطين والأردن ص ١٠٩ - ١١١) .

وفي الملاقة بين شاعرنا من جهة وبين كل من الامير والحكومة من جهة أخرى يقول الدكتور ناصر الدين الاسد :-

* أما انه كان يتقلب من معارفي للامير والحكومة الى مؤيد او مهادن لها ، فكلام يحتاج الى توقف وتدهر ، وارجو ان اكون على صواب حين ارى ان الامير - في هذا المجال - غير الحكومة ، وان شاعرنا لم يكن محاربا للامير قط . ولم يكن مؤيدا للحكومة قط ، وان موقفة ايضا هو موقف ثابت غير متناقض ، بل اني ارى ان الامير هو الذي كان يمينه دائما في المناصب التي تولاها

على غير رضى كامل من الحكومة، وأنه كان هو الذى يسمى للافراج عنه واطلاق سراحه في كل مره . وان الحكومة هي وحدها التي كانت دائما تمزله من عمله ، وتسجنه وتنفيه ، ووطن غير رضى كامل من الامير ، وان كان يضطر الى الموافقة واصدار ارادته السنوية بذلك ليتم للحكومة ما تريد .

ان الابيات القليلة ، بل النادرة التي اشار فيها شاعرنا الى (رعدان) و (رب رعدان) لم يكن يقصد فيها شخص الامير بقدر ما كان يقصد منها رمزا مثلا للحكومة في فترات اضطرت فيها الاوضاع السياسية في بلده . بل لقد كان الامير نفسه يفهم عنه هذا ويقبله منه ولم يكن ذلك ليقطع ما بينهما من اواصر المودة ، والتقدير ولا ليمكر من صفو صلاتهما الحقيقية . ولقد كان سخط شاعرنا منصبا على حكومة الامير ومن كان يسيرها ويحركها ، ووطن بمعنى حاشية الامير ، وربما كان سخط الامير نفسه على كل ذلك مثل سخط شاعرنا ، واية مودقا وثق عن المودة التي تهمك الامير الى أن يصف شاعرنا بقوله :-

من لي اليوم بالرجال الثقات	فثقات الرجال أصل الامان
طاب في عنصر وطاب فروعها	ليس للخير ناكثا في الزمان
فانصح الناصح تدب كريم	واحمل العيب واطرح كل جان
يا (نصير الضماف) من كل حسي	بارك الله فيك من (انسان)

وقول الامير كذلك يصفه في ابيات اخرى ختمها بقوله :-

فتى التل في عمان يسمى محققا مآرب مكروب طريد فأطلقا

والشواهد على ذلك كثيرة لا تحصى ، من بينها تلك المساجلات الشعرية . بين الامير وشاعرنا ، وتسامح الامير معه حين كان يجي * اليه مثلا تفوح منه رائحة الخمر ، وتهدو منه بمعنى الهدوات ، فيداعه الامير بشعر من مثل قوله :-

أشرب فشربك هذا اليوم تحليل	وانفي الهموم فقد وافاك اهلـول
أما ترى الشمس وسط الكأس طالمة	منيرة ، ونطاق البدر محلـول
وفي المكان طيح القد ماكسة	مالت ذوائبه والثغر مصـول
يوليك ما شئت من ضم ومن قبل	وحسبنا نعمة ضم وتقبيـل
وان تضع فرص اللذات سانحة	فقد حرمت ، ومعنى العيش تنويـل

واشارات عرار للامير في معنى ابياته (٦) وتناوؤه عليه وتمجيده له بل دفاعه عن معنى مواقفه السياسية ، وتأليفه كراسيته (الاثمة في قریش) و (ظلال) ، كل ذلك وغيره عميق الدلالة على حقيقة الصلة الثابتة بين شاعرنا والامير . (٧)

(٦) انظر ديوان الشاعر (عشيات وادي اليابس) الذي جمعه بعد وفاته ابنه مريود ونشرته (شركة الطباعة الحديثة بعمان سنة ١٩٥٤) ، وقدم له الصحافي محمود المطلق .

(٧) محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والاردن ص ١٤١ .

وقد تمددت ان انقل هذا النص الطويل برمته لانه يلقي ضوءاً ساطعاً على علاقة من اهمهم العلاقات التي لمبت دوراً كبيراً في شعر مصطفى وهبي التل بينه وبين مجتمعه وبيئته، ولان في هذا النص ما يوسع الدلالة لا مورا بارزة في حياة مصطفى وهبي التل .
ولعل كل هذا الذي اوردناه أن يكون مقدمة لشخصية مصطفى وهبي التل الشعرية الفذة في تاريخ الشعر العربي قديمه وحديثه، وربما كان الخصب في ابعاد هذه الشخصية يكمن في مدى اندغام مواقفه من نفسه ومن بيئته القريضة من جهة بمواقفه من بيئته الواسعة ومجتمعه العربي القريب والبعيد من جهة ثانية . ولقد كان هذا الاندغام في ارفع الدرجات واشدها حرارة واوسعها استفراقاً لكل ما في نفس الشاعر من قوى وحركات وآمال ولحوم ورغبات، وذلك كله في الوان من الرومانسية الحديثة، سواءً بشعوره بقومه وتلمس جوانب شخصياتهم الاجتماعية الحديثة او بمقاومته النفاق والدجل واستغلال مجتمعه وظلمهم، او بمقاومة المستعمر الدخيل الذي كاد ان يكتم انفاس الناس في مجتمعه، والذي كان يسير بهذا المجتمع في طرق الظلم والتدخل الصهيوني، وسلب الكرامة والحريات او برؤيته النفاذ لجوهر الانسان من حيث هو انسان وان كانت المظاهر الاجتماعية تكاد تغدع الناس عن هذا الجوهر .

والذي تتجشع شعر مصطفى وهبي التل يجد هذه الاضواء الرومانسية الحديثة التي اشرنا اليها جوانب منها في صورة رفيعة من الفن المصفي الخصب الابعاد، وهي صور تكاد تغدع النقد الدقيق عما فيها من اتقان بعد عميق يكاد يخيل للمرء ان ليس هناك صنعة شعرية متقنة، وانما هي عقوبة التمييز الحار الجميل وحسب، فالادارة الفنية مطواعة بين يدي شاعرنا .

ولعل التمدليل على ما نقول بشي من شعره ان يجعل رأي القاري ورأي الكاتب اقرب الي التلاقي قال في موقفه من نفسه وشعوره بشخصيته في رثاء ابن عمه فؤاد التل : (٨)

أفؤاد جئتك للسلام فحسيني	واجتج حدود الرمن ان تك ساممي
انا مصطفى وهبي اتعرف من انا	انا شاعر الاردن غير مدافع
قد جئت استجد بك رد تحييتي	رد التحية بل ردك نافمي

وهو الذي يقول في تلمسه لشخصية بيئته الجغرافية : (٩)

يا أردنيات إن أوديت مغترباً	فانسجنها بابي انتن اكفانسي
وقلن للصحب، واروا بعني اعظمه	في تل (اريد) أو في سفح شبحان (١٠)

(٨) الديوان ص ١٢٥

(٩) الديوان ص ١٨٩

(١٠) شبحان : جبل الكرك حيث يقع في جنوب الأردن .

قولوا : قضى ومضى وهبى لطيفته
تفمدت زوجه رحمت رحمان
عسى وعل به يوما مكحلته
تمر تلو عليه حرب قرآن

وربما كان اجمل ما في شعر مصطفى وهبى التل وشخصيته هذه المواقف الرائعة التي وقفها وهو يحسانه يمثل مجتمعا كاملا بوقفته . يصبر عن همومه من خلال هموم الجماعة ، ومن هذا قصيدته في مخاطبة رئيس النور (الفجر) واسمه (هجر) وقد ورد على لسان الشاعر كثيرا في شعره (١١) .

يا هجرى ففر كفرك للاباء وللمحمية
اولا تراني قد شمت على حساب الاكثرية
واكلت بسكوتا وهذا الشعب لا يجد القليلة (١٢)
ولستان قومي عراة غير ما نسجت يد يسة
لما رأيت الكذب سر تفوق الفئة السرية
ورأيت كيف الصدق يذهب من يقول به ضحية
ونظرت احلاس الوظائف سادة بين البرية
اهنت ان اللمية في ازراء اللمية

وربما كان من ابلغ الدلالات على سمات مجتمع الطبقة المتوسطة الحدیثة قوله :

كم فارس هو في الحقيقة عند راتيه مطيية
ودجج قاد السرية وهو قواد السرية
هات اسقني ما للحياة بغير عريدة مزيية
واسبا لنا ان الزقاق مائة الام السبيية

وما أحب ان يغيب عن هذا اللون من الشرب الذي كان يتخذه مصطفى وهبى التل مطيية للوصول الى الاشراق الجميلة في فضح ما حوله من عيوب في ايجابية متدفقة تكاد توهبهم بانسيابها بأنها سلبية ، وانظر الى البيتين السابقين لتجد هذا الذي نشير اليه ومعه سخرية عميقة تستقر في اعماق المظالم ، وكذلك انظر الى البيتين التاليين لتجد تمام الصورة التي نشير اليها :

واشرب على نمطي كما تأتم بالشيخ المعية
ترك التقى خير بملم الله من نسك التقية

(١١) الديوان ٦٣-٦٧
(١٢) القليلة : قليل من القمح يحمصه الجائع ليستد به جوعه .

وشرب مصطفى وهبي التل لم يكن تميرا عن موقف فردي سلبي معتزل للحياة وآية ذلك

ما نراه في حاشيته المشهورة التالية : (١٢)

والندى يخل والجود يشح
قلت عني : حيثينحو الحب انحو
انها حسان والحسان وسندح
مطافات بني الأردن - نجح
عبرة خرساء هيهات تسح
وهي اعيانا جوى يشجي وروح
عربنا تتضحك الثكنى وروح
جاءكم عني عما بيبي نندح
حسبه الله فالسكير اصح

ولعل جرأته هذه في مواقفه التي كان يندمج فيها موقفه الخاص بموقف الجماعة التي جعلته

يخاطب الامير عبد الله قائلا :

من كان يحسب ان العرب يخذعهم
ابا طلال وانت اليوم رائدنا
انا اتيناك من بدو ومن حضير
ان الوفود التي منوا وما صدقوا
فحسبنا من وعود القوم ما دغلو
مذى الربوع ليوم الفضل ناظرة

من هذه المواقف التي تشير اليها موقفه الذي ضمنه ابياته التالية في مخاطبة الامير عبد الله

اليكها عن ابي وصفي (١٥) مجلة
هلا رعيت رعاك الله حرمتنا
مولاي شميك مكموم الحشا ووه
وليس ترياقه يا سيدي واخي
مولاي ان المطايا لا تصير السى

(١٢) الديوان ص ١٠٥-١٠٦

(١٤) الديوان ص ١٨١

(١٥) الديوان ص ١٨٤، ووصفي هو ابنه الاكبر واحد رؤساء الوزارات الأردنية .

وموقف مصطفى وهبي التل من نواب البلاد وخضوعهم للمستعمرين أبرز المواقف التي نشير إليها كذلك، وفي هذه الأبيات التالية يتضح كيف كان مصطفى يحمل هموم أمته قال (١٦) مخاطباً صديقه الشيخ عود النجار وكان امام القصر الاموي :-

بالنفس يا شيخ من تقواك اشياء	خاقت بها من فسيح الصدر أرجيا
أكل يومين ترميني بموعظة	فضاضة ، نسجها فقه وافتيا
عود يا شيخ اني لم اعد غرضيا	للناس يرمونه بالمبث ما شاءوا
يا شيخ ما العلم ؟ حسب المرء معرفة	ان الشفاء بوادي السير لمييا
وان للجهل فضلا لست صاحبه	بالعلم والعلم في عمان ازيا
وان آذان نواب البلاد سوي	عن الذي يقتضيه العلاج صيا
لو ان (برنيطة) كانت عما تمكم	لو ظفوها ولم يخطئك اثرا
مصائب الدهر انواع منوعه	وشرما : ان شر (الست) سودا
وان ينير سهيل العلم امعنه	وان ترك سوي النهج عجميا
لا وجه للمدل والانصاف في بلد	كل ابن انشى به أمار نهيا
والعلم كالجهل ، اني قد شططت وقد	نسيت ان في في من راتبي مسا
ولعل ما يكمل الصورة السابقة صورته الرائعة	في ابياته الرائية التاليه : (١٧)
وصاحب من بني النجار عنته	كأنا هي باراشوت طيار
يرى مواعظه وقفا على انسي	وان رأس التقى زجري وانذاري
وكان عمان لم تعرف اخا طرب	غيري يحج الي حانوت خمار
يا شيخ حسيك ، ادنى الاثم منزلة	من رحمة الله ما تدعوه اوزاري
بين الخرابيش لا عد ولا امة	ولا ارقاء في ازيا احرار
ولا جناة ولا ارض يضر جهها	دم زكي ولا أخسان بالثيار
الكل (زط) مساواة محققة	تنفي الفوارق بين الجار والجار
الناس ؟ ما الناس عدان القوي بهم	ما بالمظية من مهماز مفرار
يزجون من سامهم غسفا وارهمهم	عسفا تحيات اجلال واكبرار
ويضفرون بأيد بهم لقاطعها	حرصا على البقي الكليلين من غار
ويشمخون بأناف مروضه	على التمرغ في اعتاب جبار
بين الخرابيش لا كذب ولا طوق	ولا وشاة ولا رواد أخبار
بين الخرابيش لا حبر ولا ورق	ولا يراع ولا تدوين اسفار

(١٦) الديوان ص ٩٤-٩٦

(١٧) الديوان ص ٨٦-٨٨

أرأيت كيف تمتق مصطفى وهبي التل في ابعاد الحياة الاجتماعية حياة الطبقة المتوسطة في جمال شمري لافت ، ورأى اي لون من ألوان المدل الذي يتوق اليه ويتوق مجتمعه اليه من حوله ولعل هذا هو الذي حطه على ان يقول في احدى زائحاته عن النور :-

وتعال عند المنثشين بطبهم
الطامعين ، وليس من أمل لهم
الاخذ بين من الحياة بصفوها
(نور) نسميهم ونحن بعرفهم
من حان الحان الربابة نسميهم
القائلين وكلهم مستبشرون
والتاركين لنيرهم ما يكسرون
نور وفي عين الحقيقة أنسور

أما نونية مصطفى وهبي التل المشهورة التالية نظمها في سنة ١٩٣٢م فمن أبرز الدلالات على اندغام موقفه بموقف أمته العربية في ديارها القريبة وفي ديارها البعيدة معا ، قال (١٨) :
ان الزمان ولا اقول زماني
واحال لذاتي وساوس حاسبي
فانظر الى الندمان كيف تفرقوا
والى قريني كيف اصبح تافها
والى اماني المذاب يسومها
قانون (مهر) (٢٠) حال يملق قرينه
فاستكتبوا قسوار (٢١) نص تميمية
وتشد ازرهوا جس شمريية
وتعد احلام الشباب ضحوكية
يا اختوار (٢٢) قد دعوتك باسمه
بين ديارها القريبة وفي ديارها البعيدة معا ، قال (١٨) :
بين الطوابع والرسوم (١٩) ومانسي
يهدي يضرب ثلاثة بتمساني
بعدي وكيف علا الغبار دنانسي
والى بليغ القول كيف عمانسي
سوط (الحساب) مهانة المبدان
دون القريحي ودون كل بيسان
غراء تذهب عقدة بلساني
من كل فاكهة بها زوجان
كالزهر يسم في سهول (عمان)
وله نسبت تبركا - ديوانسي

(١٨) الديوان ص ٤٧-٤٨

(١٩) كتاب الشاعر حين نظم نونيته هذه مأمور اجراء يعمل في تحصيل الرسوم واوراق
الدمغة (الطوابع) .

(٢٠) مهر : هو مستشار المدلية آنذاك وكان بريطانيا ، وكانت القوانين في شرقي الاردن
توضع بمشورته . وفي البيت اشارة الى ما قاله عميد بن الابرص الشاعر الجاهلي
حين قدم على النعمان في يوم يؤسه فأمر النعمان بقتله . وقد طلب منسه
النعمان ان يقول الشعر قبل ان يقتله ، فقال عميد : (حال الجريحي)
دون القريحي) .

(٢١) قسوار : تاجر خمور في شرقي الاردن .

(٢٢) اي وادي الهابس الذي كان في شمال بلدة عجلون والذي كانت فيه بعض جماعات
النور التي اهتدى الي احدى فتياتها هذه القصيدة ، وهذا الوادي هو الذي
باسمه سمي ديواته (عشيات وادي الهابس) رغم انه طبع بعد وفاته .

معنى الخمية ، كفتنا مسيزان
في عرف (بيك) (٢٣) وجيشه سينان
فيها ، وفي هذا القوام البانسي
صدرى وصدها صداك اغاني
تكي ، ويفرق دمعيها احزاني
الا استننت بشجوها الحانسي
وقرات فوق اطارها عنوانسي
ومن الصغارة والهوان هوانسي
تشرى ، وهاع بنواي اوطانسي
وانا كذلك حارسسي سجانسي
للاشتهاء بان طرفك جانسي
عينان - واقليباه - سوداوان
من سحرهن ولا (طلال) حمانسي
ولع القضاة براحة الوجسدان
سكر يحيل النائبات امانسي
ما تنزل الرحمن من سلطان
نصي واذ نوب الحياة اغانسي
(عود) اوصده على الغفران
غمز بوصف الراحم الرحمن
طيش الشيوخ وخفة الشبان
من زمرة الاذان (٢٦) والفلمبان
لا عن تقي - بحماية الايمان
كم سلما يلقى وكم نصرانسي

قومي وقومك في الصفار وجهلهم
وانا وانت على اختلاف قبيلنا
فادني كؤوسك ان بمعنى عزائنا
وهذه الزفرات وقع لحنها
يا اخت سلمى (٢٤) في غناك عذوة
ما شمت وضي الياس في نسراتها
ورأيت في مرآة بؤسك صورتسي
وعرفت فيما انت فيه من الاذى
اهلوك قد جعلوا جمالك سلمة
وذووك قد منصوك كل كرامة
يا بنت في اسبال جفك (محمل)
وان هذا القلب (عات بامنسه)
لا (مدعي عام) اللوا اجازتسي
يا بنت تحقيق المدالة ركنه
ولمي بكأس في ارتشاف حقيقه
وبريك فقه الشيخ (٢٥) اقوالا بها
فاذا جهنم جنة واذا الاسى
واذا بمفوا الله يفتح مطلقا
يا شيخ قولك : (ما اشد عقابه)
لله قومي ! كيف عكر صفوفهم
وتحول المتزعمين حقوقهم
وتظاهر المتصدرين لبيعهم
يا رب ان يلفور انفذ وعنده

-
- (٢٣) هو فردريك بيك باشا ، ضابط بريطاني خلفه على قيادة الجيش والشرطة
الفريق جلوب باشا .
(٢٤) في شرقي الاردن يطلقون على النور (أغوة سلمى) .
(٢٥) اى الشيخ عمود النجار ، صديق الشاعر .
(٢٦) الاذان جمع آذن وهو الحاجب او الساعي او الخادم .

وكيان مسجد قريتي من ذا الذي
وكنيسة العذراء أين مكانها
هات اسقني (قموار) ليس يهمني
فالكأس لولا اليأس ما هضت له
والخمر لولا الشمرا أتت بها
يبقى عليه إذا أزيل كيانسي ؟
سيكون ان بعث اليهود مكانسي
قول الوشاة عرار سكرانسان
كهد ولا حديث عليه يمدان
شفة الأديب وريشة الفنسان

ونكتفي بهذا القدر من شعر مصطفى وهبي التل ، فهو قادر فيما أحسب على التدليل
على شخصية الشاعر التي الصمنا لأبرز سماتها .

الباب الثالث

الفصل الثاني

مدرسة الشمر* المحافظين التقليديين

تحدثنا في الفصل السابق عن الشعر الأردني ، وكان قالب هذا الشعر قالها تقليدياً بحسبها ولم نراى لون من ألوان التجدد فيه .

ولم يطرأ على الشعراى تغيير ، بل كان مقلداً كسابقه ، يعتمد على عمود الشعر القديم فى القافية والبحر ووحدة البيت والموضوع ونستطيع ان نضيف الشعر من عام ١٩٥٠ وحتى عام ١٩٧٥ الى مدرستين المدرسة الاولى : مدرسة الشعراء المحافظين التقليدية .

المدرسة الثانية : مدرسة الشعراء الصجددين .

فمدرسة الشعراء المحافظين كانت ترى فى عمود الشعر القديم خطأ لا ينفى الابعاد عنه وينهى السير بحقته .

لذلك جاءت اشعارهم تقليدية محافظة وفى الاغراض التقليدية من غزل ومدح وراثاً ووصف وغيرها من ألوان الشعر القديم وكانت ترى هذه المدرسة ضرورة المحافظة على وحدة القافية والموضوع والتقيد ببحور الشعر وعدم الخروج عنها .

ولم نلمس اى جديد لهذه المدرسة ، وكانت تهتم بالصياغة الشعرية والالفاظ الجزلة ومن اشهر رواد هذه المدرسة :

حسنى فرىز ، عيسى الناعورى ، حسنى زبد الكيلانى ، كمال عبد الرحيم رشيد .

خصائص مدرسة الشعراء التقليدية :-

١ = شعر هذه المدرسة فى عمومه امتداد للشعر العربي القديم .

٢ = المحافظة على وحدة القافية والوزن والموضوع فى القصيدة .

٣ = لغة شعر هذه المدرسة لغة سهلة وسلسة خالية من الغرابة والتمقيد اللفظى .

٤ = الوضوح والبساطة وعدم التعميق فشعر هذه المدرسة كله واضح لا غموض فيه ولا تعقيد .

٥ = الصدق وعدم التلق ، لانهم صادقون فى مدحهم وامرائهم ، لان الشاعر فى

هذه المدرسة يعبر عن نفسه واحساسه وخلجات صدره .

٦ = صدق العاطفة .

٧ = السطحية فى التعبير وعدم العمق .

أعلام المدرسة التقليدية :-

حسني فريز (١)

قدم لنا حسني فريز، حتى الان، مجموعتين من شعره : الأولى " هياكل الحب" والثانية " بلادي". وتمثل كل مجموعة منهما مرحلة من مراحل تطوره الفني والفكري. وقد فطن الشاعر نفسه لذلك وأشار اليه في مقدمة الطبعة الثانية من " هياكل الحب" فوصف شعره في هذه المجموعة بأن شعره " تضرّم الشباب وجنون الفتوة ثم بسط رأيه في قوله انه قدم " هذا الكتاب للناس في تضرّم الشباب وانطلاق الامال، ايام توقد الماطفة واشتعال القلب" وانه كان حينئذ " لا يقيم الا للشعر والمالفة وزنا... يكّد قلبه وذممه ورا" الهسة المشرقة واللفتنة البارعة في الطبيعة او في العيابة".

أما في المرحلة الثانية فقد صار يحاول ان يتصرف الى " ذلك الشعر الذي توارى ولم يبق منه الا بقايا قليلة لا تكاد تدل عليه". ولذلك قال عن شعر المرحلة الاولى وما صار اليه في المرحلة الثانية " الفت هذه الصور الضاحكة والفت معها الصور الهاكية. فذلك الذي يهت الشعر الحار المتدفق لم يمد يثير ما اثار، واخيانا لا يحرك جز" مما كان يثقل ويزلزل، لقد كان عقلي ينتقد الى مثلان الشعر ومثار الخيال، والان عقلي يقيد وعاطفتي تتقيد، لان منطلق العقل قد غلب منطلق الماطفة او كاد... فتلك الجمرات الملتهبة اصحمت تستقر تحت الرماد، وقّل ان تذرو. الماصفة ذلك الرماد!".

اما مذهبه في الشعر: من حيث اسلوبه ومضمونه، فقد بسطه لنا كذلك في هذه المقدمة، قال :-

" مذهبي في الشعر غير جديد من حيث ان الشعر ما من معروف على اراز خاص وغير جسدي بالقياس الى المعاني، واذا اردت الحق فاني لم اقصد ان ابتدع، لكنني سلكت سبيلا قل ان استقام لمن يترسون بالقوافي. فقد تركت لماطفتي ان تتطلق في فسون القول وان ترقس مع الخيال كيف تريد وكيف يحلو لها. وقد قيدتها او قيدني الواقع. اذا راق لك بالحرمان، فجا الشعر في عرفي بليلا بالشوق ربان بالوجد، مترفعا عن خصام الامتلاك... ولا بسند

(١) حياة ونشأته: ولد في مدينة السلط سنة (١٩٠٢م) تلقى علومه الابتدائية فيها ثم اكمل دراسته الثانوية، ارسلته الحكومة الاردنية الى الجامعة الامريكية في بيروت على نفقتها الخاصة، وكان أول طالب يمنح بحثة من الحكومة.

تخصص في دراسة الادب والتاريخ وتخرج من الجامعة سنة (١٩٣٢م) قبل ذهابه للجامعة من اجل الدراسة، كان قد تشقّف ثقافة دينية خاصة في بيته، حيث تأثر اسلوبه بالقرآن الكريم. اضطلع على الادب الانجليزي واعجب بمؤلفات شكسبير، شغل عدة مناصب في الدولة سيما في وزارة التربية والتعليم حيث رقي الى اطي المناصب فيها.

للشاعر من ثقافة تمدده بالصور وتدفعه الى الاغراق في الخيال بمعنى الاحيان ، ولا بد لهذه الثقافة ان تفتح عينيه على المحسوس وغير المحسوس ، فيمسك بيده الواقع وتتعلق الاخرى بعالم الاحلام . . . يهمني ان ارى العاطفة في الشعر المعاصر فقد عنينا بالقوالب ننسجها ونزركشها ونأتي بالاستعارات المفردة التي تتعلق بالا وهام ، فاذا جاء الشعر جها كآبني النور ، بعيدا عن ملاهسات الحياة قيل لنا هذا أدب الرموز ، وأدب العصر الذي هو فسوق الواقع . اما انا فأفهم الواقع وشيئا احبه لو وقع وقبضت عليه بالانامل ، او قل انني احب الواقع وما يزينه من الصور التي نرغب (وتحقق على الارض) .

واوضح خصائص حسني فريز في شعره ثلاث :-

١- انه ، في الفاظه واسلوبه وفي صورته ومعانيه ، ينفع من ذات نفسه في اصالة وصدق ، ولا يستعير ممن سبقه بعض الصور والتمبيرات المحفوظة المكررة .

٢- تشيع في شعره عامة ، وفي شعره المسرحي خاصة ، ثقافة ادبية وتاريخية ، تدلح القارى في اكثر ابياته فتحمله على شي من التأملي والتأمل حتى يتمثل الصورة البهانية جليلة .

٣- انه من الشعراء القليلين الذين حاولوا نظم المسرحية الشعرية .

ومن شعره الذي يتضح فيه الصفتان الاوليتان هذه النماذج :

عينين وشفتين (١)

ربدأئاه والاضواء	غسلت مقلتكم آلهة الفج
رونها من فائن الاغراء	سكبت فيهما شعاعا من السحر
وسلاما ونعمة من ضيما	ثم قالت: كونا هياما وشوقا
يا وحباً مفجر الاحياء	فتنة للسما قبل بتي الدنس

شفتين :

ن الشفاة الخضيلة اللميا	كيف ضاعت الهة البحر مرجنا
فتنتها بالبسة الزهرا	لا تسلّمها ، انماعات السّرلما
لا تسل عن ضراعتي وكائني	لا تلمني ان لج في غرامني
قد اذل الجبار من كبرياتي	ان سرا تحير الحب فيسه

أحبك (٢)

والا يحسا والشمر	(م)	احبك ، انت معنى الحب
لقد آمنت بالسحر		احبك ، كيف ؟ لا ادري
وفوق غوامض السمر		فسحرك فوق احلامي

(١) هياكل الحب (الطبعة الثانية) : (١) .

وانت نضارة الممر
 ارتق سنى من الفجر
 ب تطرب ساجع الميري
 مذومة من السحير
 ل في صرح وفي سكر
 يضل بفهمها فكيري
 وهل في العجب من نكرا؟
 كيف! حبي فوق ما أدري
 فما لي فيه من عذر
 لتوقظ هاجع الجمر
 واشجانا من الهجر
 غفوقا دائم الاسر
 وما بمنك من أميري
 واوهامي مدى الممر

أنا (١)

وصال علي بالخطب الجسيم
 وصيرني الى عظم رميم
 بهوم في ضلوع من حميم
 رجعت الى الحياة . الى النميم

ومن شعره ، في غير النزل ، قصيدة عن آثار جرش * بدأها بقوله :

فتأمل في الآية الفسراة
 هي احرى بالدمعة الحمراة
 ان تكن شامتا باهل الفسراة
 او بناها " اسكندر " بدمراة
 لسياط مريمسة نكسراة
 من وهدت من عزمهم والمضراة
 واذابت انينهم في الفسراة
 تتلوى من جور ذاك القضاء
 من أنين ولوعة وكسراة

فانت تجي آمالي
 وانت الفجر ميتسما
 وانت بصمك الغملا
 ففي شفقتك انسيام
 وفي قسماك الامسا
 وفي عينك احلام
 أحبك ، كيف؟ لا أدري
 أحبك ، لا تقل لي :
 فان يكن الهوى ذنبا
 وان يك فتنة تمردو
 وتمت في الامسا
 وتجميل قلبي المضني
 فما غيرك تمد يسبي
 فدعني في خيالاتي

انما ما الدهر امن في عدائي
 واوقد لي الضنى حريا ضرورسا
 وجافاني الشباب وات قلبي
 ومرت راحتك على جبي

هذه آية الزمان تبسدي
 قف بها وقفة الجزوع طيبسا
 لا تسل مني اولا كيف اطلسى
 لا تسلي ان كان " خوفو " بناها
 ليس خوفو وقبصر غير رمس
 الهبت كالعريق جلد الساكيس
 واراقت دموعهم ودسا
 جثة فون جثة عند أغسرى
 هكذا كانت البنات تعلسى

أما مجموعته الثانية "بلادى" فتضم قصائد قالها في مناسبات وطنية مختلفة واخرى تصور فيها جوانب من حالة بلاده الاجتماعية واخلاق الناس من حوله .
 واما شعره المسرحي فيتمثل في مسرحيتين : الاولى ذات فصلين عنوانها "الطوفان" مستمدة من الاساطير الهلنمية ، وقد ضمنها الى قصائده في ديوانه الاول "هياكل الحب" ، والثانية ذات ثلاثة فصول عنوانها "مع الالهة على الكرهول" مستمدة من الاساطير اليونانية ، وهي القسم الاخير من مجموعته "بلادى" .

ولما كنا لا نستطيع - في هذا المجال - ان نعرض لهاتين المسرحيتين بالتفصيل ، فحسبنا ان نورد نموذجا من المسرحية الاولى ، وهو مطلعها الذي يتمثل في حوار بين "انليل" "الهالهوا" والسحب ورئيس الالهة في باهل و "اينو" ممشوقة "انليل" التي تحب "ايا" اله الحكمة واعاق البحار ؛
 انليل ؛

نظير يا "أين" في آفاق اجوائي
 والبحر رهوا ولم اعمم باي سدا
 "انليل" يجعلها بحرامن الماء
 لا ترهقيني فاني غير بكاء
 بيت في جنتي في بحر الاثني
 ومن ضيا البدر اثوابا بلا لا

هاتي يدك فاني الحاكم الطاغسي
 اذا رضيت جعلت الريح ساكنة
 هاك انظري ان في الافاق زهفة
 لا تقطعي جبل ود كنت واصله
 اذا رضيت ملكت الجو اجمعه
 سائظم النجم تيجانا لما لكنتي
 اينو:

من المواصف والانوا والشهب
 ولم تكن هذه "انليل" من اربي
 "انليل" اشفق على قلبي من العطب
 وعش عظيمها اله الريح والسحب

"انليل" اقصر فاني غير خائفة
 ولا اريد جنانا انت تسكنها
 اني احب "ايا" هبا برى جسدي
 وغل عني ، ودعني غير خالدة
 انليل ؛

ليس في نكح الوجود جيش كجيشي
 وستلتف من صفار بصرشي
 وسأجزى "شعمار" طيشا بطيشي (١)
 قضي الامرفاشهدي الأن بطوشي

قضي الامرفاشهدي الان بطوشي
 ستطير الارباب من كبل فسج
 وسأقني "شاروك" من اجل "اينو"
 لن تنالي يوما من العيش حلوا

(١) شاروك : اسم مدينة
 شمعار : بلاد السومريين .

حسني زيد الكيلاني (١)

جمع حسني زيد بمعنى شعره في مجموعة "أطيار وأغاريد"، ورتب شعره على أربعة ابواب :
أولها : الهاشميات : وهي قصائده التي مدح بها الطك عبد الله بن الحسين والقاهما حسين
يديه في إحدى المناسبات .

ثانيها : الاجتماعيات : ولا يهبط بين قصائد هذا الباب موضوع واحد ولا موضوعات متقاربة .
فمنها قصيدة في وصف الفلاح ، وأخرى في وصف شجرة الزيتون ، وثلاث قصائد في وصف حاله
وشقائه ، وقصيدتان وطنيتان عن فلسطين ووعده بلفسور ، وقصيدتان في تكريم بعض أصدقائه ،
وهكذا .

وثالثها : المراثيات : وهي ست قصائد جاءت السادسة في رثاء نفسه .

ورابعها : الغزليات : وهي أكبر هذه الابواب وتبلغ قصائدها نحو ثلث المجموعة كلها :
وشعر هذه المجموعة يدل على موهبة شعرية واضحة لا شك فيها ، ويدل أيضا على اطلاع واسع
على شعرنا العربي القديم وكثرة محفوظ شاعرنا منه . والاتلاع الواسع والم محفوظ الكثير هما من
روافد الموهبة الشعرية ومن عوامل إخصابها وتنميتها وصقلها حين ينطلق الشاعر في جسوه
الخاص ، يندفع يغني احساسه ، ويوقع انعام وجدانه ، ولكن الاتلاع الواسع والم محفوظ الكثير
قد يكونان قيما أسرا يخل من الموهبة الشعرية ، ويدفع الشاعر إلى التردّي في مهاوي المحاكاة
وتكرار العبارات المحفوظة ، والاساليب المعادة والصور البيانية والتقليدية ، وأوضح ما يظهر
ذلك في الباب الأول من مجموعة شاعرنا ، فانت حينما تقرأ قصائده الأولى وتحس كأنما تقرأ
لشعراء مختلفين من العصر الأموي والعصر المباسي سواء كان ذلك في النفس الشعرى العام
أم في تركيب العبارات والاساليب والصور البيانية فهو يبدأ قصيدته الأولى بقوله :

الصبح من نور هذا الوجه يتسّم
وتفتدى من نداء الجود والكرم (٢)
تبارك الله وجه ضاحك طليق
إذا تجهم وجه الدهر يتسّم

(١) حسني زيد الكيلاني :

ولد في مدينة السلط عام ١٩١٧ م ومدينة السلط مدينة مشرّفة بمناخها الجميل
ومناظرها الطبيعية الجذابة ، تتقّف بثقافة عصره ، وكان مولما بنظم الشعر منذ
طفولته ، تقلّب في وظائف عدة في الدوائر الحكومية أصدر ديوانا من الشعر
باسم "أطيار وأغاريد" .

(٢) ديوانه : أطيار وأغاريد ص ٥

ثم بعضي في القصيدة ويحشر فيها كثيرا من الصور المكررة والاوصاف المحفوظة مثل قوله "وقسي
عزينة شم" وتحت اخمصه الايام تزدحم " وانه لا يرنو لمكرمة الا وراحت عليها الزهر تختصم
وانه السيد العلم وهكذا .

وكذلك يبدأ قصيدة اخرى بقوله : (١)

فوق الممالك والتيجان والسرر
وما بنيت لنا من سؤد فغشم
أشرق على الملك حفت فيك حالته
كما تحف نجوم الليل بالقمر

وهذا الضرب من شعر شاعرنا انما هو " أساليب " محفوظة تمشي في عقل الشاعر فينظمها
شعرا ، ولكن الشاعر لم يستطع ان يحس بها في الواقع فيتمثلها وجدانه وتجليش بها نفسه ،
فتنتلق من اعماقه شعرا صادقا اصيلا .

ومع هذا فشاعرنا يكاد يعتقد نفسه من هذا الرق حين ينتلق مع ذاته ، في موضوعات لا يتقيد
فيها بمناسبة ، ويتضح ذلك في بعض قصائد القسم الاول من شعره ففي القصيدة الثالثة
يصف مفاتن الطبيعة في الغور وقد القاها بين يدي صاحب الجلالة ان يقول :

ولقد هبطت أصيل يوم ساحر
والدر اكليل لسندس عشيـــــــــــــــــه
والنفمة السكرى على اغصانـــــــــــــــــه
تلقاك بالريحان روح نسيـــــــــــــــــه
والنجم في اطراقه وصــــــــــــــــوتـــــــــــــــــه
حتى إذا ما الليل لم نجوســـــــــــــــــه
رقت كانباس الطيبك رياضـــــــــــــــــه
والغور حيث النبت في اطلاقـــــــــــــــــه (٢)
والتبر منساب على رقراقـــــــــــــــــه
ليهبها ما شاء من اشواقـــــــــــــــــه
كلقا من تهوى بمد فراقـــــــــــــــــه
وغرائب الاسرار في اطراقـــــــــــــــــه
والفجر كاد ينم عن اشراقـــــــــــــــــه
وسرى الارجح بهن عن اخلاقـــــــــــــــــه

وانا اكان لا عجب في ان تتكشف جوانب من اصالة الشاعر وذاتيته في هذه الابيات الرقيقة ،
لانه اني معتق من اصل المناسبة الطزمة وانطلق فيها مع نفسه فان العجيب ان يصف الشاعر
روضة بهذه الابيات

بروحي رياض ما تنسمت عطرها
يداعب فيها النور احلام جسدول
وداخلني ريب باني في سكر (٣)
غفا مثل اغفا المشوق على الهجر

(١) الديوان : اطياف واغاريد ، ص ١١

(٢) الديوان : اطياف واغاريد ، ص ١٥

(٣) الديوان : اطياف واغاريد ، ص ٨٠

كأن لجين الماء والشمس فوقه
واعجب من تلك الخمائل في الضحى
كأن يبتانيرا من الشمس القميت

ثريا من البلور تسطح كالزهر
وما برزت فيه من الفن والسحر
عليها ولكن لا تصاد من الفجر

فيجني بكلام مرصوف، جميل الصلح ولكن مجذب المعنى، والا فما الذى يريد ان يقوله فسي
البيت الاول والرابع، واى شعر هذا؟ وما هي الصورة البيانية في البيت الثاني، وهل يففو
المشوق على الهجر؟ والبيت الثالث: اى سطوع بهر بصر شاعرنا في الزهر حتى يشبه به
تلالاً اتوار الثريا من البلور، كما تال؟ وكيف اجترأ شاعرنا على ابي الطيب في البيت الخامس حتى
اصحنا نرى ابا الطيب يطل علينا بلحمه ودمه وشبابه من ثنايا ذلك البيت!
وانظر اليه كيف يخرج به الافعال الشمورى الى الغلو الذى يأباه حتى ممدوحه وذلك فسي
مثل قوله: (١)

العبقري الفذ في عصره
ومن مضاً السيف من عزمته
ترتاع أسد الخاب من بأسه
لا يعرف التاريخ فتى مضى

فلم تقع عين على نده
ومن غضم الجود من رفته
وتهتدي الاقمار من رشده
عهدا أشد اليوم من عهدته

وحياة شاعرنا حياة بؤس وفاقه وتشرد، ومثل هذه الحياة التى اضطرب فيها حسني زيد كانت
جديرة ان تفجر في النفس الشاعرة اغوارا عميقة وتفتح امامه افاقا فسيحة فيطلق فيها حرا متحررا
من القيود. التي تغل غيره ولكن هذه الحياة لم تزده عن ان حدث من انطلاق شاعرنا وجملته
يدور في حلقة ضيقة لا يتجاوزها، بل ربما كان من الصواب ان تقول انها دمرت بمدى جوانب
نفسه. وقد وصف لنا حياته في قصائد من هذا الديوان كقصيدته "أنا والشتاء" يقول فيها (٢)

صفح الدهر هامتي، فحياتي
جئت من عالم الوجود لأحيها

حسرات تهربني وسسلا
وحياتي عني الهلى والفناء

ويصفها كذلك في قصيدة اخرى بقوله: (٣)

ما على من كان مثلي
فهو في لبح حياصة

لورأى الهيداء بحرا
تنحسر المسكين نحرا

فترى صفما وقهنرا
تصرخ الفاقصة فيهبها

(١) الديوان، الطياف واغاريد ص: ٩

(٢) الديوان، الطياف واغاريد ص: ٢٢

(٣) الديوان، الطياف واغاريد ص: ٢٢

وكل ما استطاع ان يرد به على حاله تلك هو قوله : (١)

كم غسني من دم الشمس	جابتني الدور وأثري
مد كالطاووس عنقها	وهو بالصفحة أحسري
فإذا اتخيم بطنها	وانتشى في الحان سكرها
لمن الفقر واهليها	به وجر الذيل جسرنا

ولعله اراد ان يملل بؤسه و "سلبته" باختلال موازين مجتمعه وفساد انظمته في قوله (٢) :

والعيش فن فان اتقنته نصبت	لك الموائد اكبارا وتفضيلا
وقدمتك سراة القوم وانسطت	لك الا سارير ترحيبا وتأهيبا
وصرت فيهم اديبا عالما لسنا	وان تكن في بطون الكتب مجهولا
فابن القصور وانشي من حدائقها	ظلا باندا هذا العيش مظلولا
في "بهلوانية" والحان يقفزها	من مد حبال الى الجوزا مفتولا

ومع ذلك ففي شعر حسني ، عامة ، قوة في النسيج ، ومثانة في البناء ، مع رقة وعذوبة وخاصة في شعره الوجداني الذي ينفعل بموضوعه انفصالا صادقا اصيلا .

مختارات من شعره :

الفلاح (٣)

نبيك الشحرور في وكبره	يا انبل الناس على فقيره
تقلب الارض ولا تأتلي	كراهب يبحث في سفيره
تمشي على كنز الدنيا متعبها	وانت محسود على تبره
ان لم تهش الناس في وجهه	هن له العشب بمقبره
الا تراه حول اقدامه	في عفة الحسن وفي طهره
يعني قصور الناس من كوخه	ولا ينال البعث من أجره
فلا حنا ائمن كثر لنا	فكل ما نجنيه من خيره

الزيتونة الخضراء (٤)

حملت من الاثمار حب زهرجد	فانظر بدائع صنع ربك واشهد
طوت السنين كما ترى وتخلفت	عنها بقلب الواله المتوجد
قد عاصرت موسى الكليم وخادنت	عيسى الظهور وأمنت بمحمد

(١) الديوان ، اطيفاف واغاريد ، ص : ٦٢

(٢) الديوان ، اطيفاف واغاريد ، ص : ٢٥

(٣) الديوان ، ص : ٢٠

(٤) الديوان ، ص : ٢١-٢٢

وهو المضي بلا سنى وتوقد
تشجي المفرد فوق غصن اميد
في كل فصل غاب عن مترسيد

واتى الكتاب محدثا عن زيتيها
شاغت وما برحت وضاعة حسنها
محسودة ابداء على اوراقها

.....

لائنه من قلبها لم يولسد
لكتبت الف مجتسد ومجلسد
انهاؤه ما غاب عن وعي الفسد
مشوا اليه فكان اروع مشهد
من تاج كسرى بل وارفغ سؤود
في روحها رمز السلام الأيسد

في عضنها ولد الجلال وانسي
لو حدثتك وفي السكوت بلاغفة
كم تلافق ناد الجيوش وروعست
صنموا له الاكليل من زيتونة
فاعجب لاكليل اعز جلاله
ولذاك مجدت العصور واركبت

عيسى الناعوري (١)

أديب زو نشاط ادبي متعدد الجوانب فقد صدرت له بضعة كتب عن شعر المهجر وشعرائه ، وطبعت له مجموعتان قصصيتان تضمان طائفة من قصصه ، (٢) ونشر كثيرا من الابحاث والمقالات والقصص ، وله ديوان شعر مطبوع يشتمل على بعض ما نظم ، وانشأ مجلة ادبية هي "القلم الجديد" كان لها اثرها في الحياة الادبية في الأردن وعضو البلاد العربية ظلت تصدر عاما (٣) ثم احتجبت ، وشارك في الحياة التعليمية : معلما ومؤلفا لبعض الكتب المدرسية ثم موظفا في وزارة المعارف .

(١) عيسى الناعوري :

ولد في بلدة ناعور سنة ١٩١٨م كان مولعا بالادب محبا له ، تتقن بثقافة عصره في ذلك الوقت ، ولكنه في الواقع انكب يدرس الادب بنفسه واضطلع على معظم الادب الذي عاصره وللشاعر هواية خاصة في اللغات الاجنبية ، حيث يجيد اللغة الايطالية ويكتسب في الادب الايطالي .

وقد منحه احدى الجامعات الايطالية درجة الدكتوراة الفخرية ، وذلك تقديرا لجهوده العظيمة في الادب الايطالي .

ويجيد الناعوري اللغة الانجليزية ، ويكتب ويترجم عن الادب الانجليزي . ونستطيع القول ان الناعوري لم يقصر جهوده على انتاج واحد من الادب بل نظم في الشعر ، وكتب القصة والرواية ، فيكون قد بعثر جهوده بين الشعر والقصة والمقالة والتراجم .

(٢) انظر الاتجاهات الادبية الحديثة في فلسطين والأردن : ٧٠ ، ١٠٢ ، ١٠٤

١٣٤-١٣٥

(٣) من ايلول ١٩٥٢ حتى آب ١٩٥٣ .

والشعر اقل بخرافة الناعوري ، وهكذا بيد ولنا من نتاجه المطبوع مجموعته الشعرية
" أناشيدى " (١) تشتمل على احدى وثلاثين قصيدة .

وعلى قلة هذا الشعر فان فيه اقباسا فنية اصيلة تيد و خالها طاقا شاعرنا الاستهامية . و صفا
روحه ، ورقة حسه ، و تفتح نفسه للاستيعا من كل شي * مهما كان صغيرا وقد يراه غيره فلا يثير
في نفسه الا مشاعر عابرة .

فهو يرى صورة فتاة يهودية مجندة تحمل بندقيتها على رأس رابية ، ومن خلفها احدى
المستعمرات اليهودية) فيقف امامها طويلا و تجيش نفسه بما تحمله الصورة من معان ،
فيذكر حال امته و تخاذل " رجالها " امام " بنات " العدو ، و يتلهف على الوطن السليب ،
ويختتمها بقوله : (٢)

هوا* فرد وسنا الجميل
وظل اشجاره الظليل
وصدح امواجه الحبيب
جميعها في يد المدي
اسيرة تطلب الفدي
كم استجارت ولا مجيب
فهل يا ترى لفننا السري
ام اثقلت سمعنا الخطوب؟

ويرى صورة " ندا " الصولية " لاحد الرسامين ، فتوحى له القصيدة " عودة الالجي " .
فيقول (٣) :

من ذلك الرائع في صمته	على حدود الوطن الغالي
يرنو الى الغرب وفي قلبه	وناظريه عزم رهيب
اشاعر ، غياله يجتلي	سحر الدنيا خلف الشيوم الرقاق
ام عاشق : لم يسل محبوبه	رغم المدي ورغم طول الفراق
كلاهما . . فشاعر صامت	والشعر في لهفة وجدان
وعاشق . . في قلبه لوعة	محرقه من فقد اوطان

(١) منشورات الرايد العربي بحماة سنة ١٩٥٦ .

(٢) ص : ١٢-١٥ .

(٣) ص : ١٧-٢١ .

ثم يمضي مع ذكرياته عن فلسطين ، وعن مفاتن الطبيعة فيها الى ان يتحدث عن الفلسطيني الالاجي فيقول :

في كل فصل همسة حلوة
من كل شهر دعوة عذبة
وغلغله . . ماذا ترى خلفه
ولقمة الاحسان جادت بها
ويقرأ في الصحف ان ضابطا فلسطينيا بكى في إحدى المناسبات ، فيشير الموقف شاعرنا وينظم قصيدة طويلة يقول في مستهلها : (١)

يا دمة الاخلاص لا تنضب
الحب والثورة قد جمعنا
كم دمة مذك قد اهرقت

انت بقايا العزة الضائعة
فكوناك جسرة لاذعة
من مقله مقروحة جازعة

.....

وكم معان فيك مكتومة
ما كنت للابطال مخلوقة
لكنها الايام - يا مؤهبا !

يا دمة من بطول ثائر
فالدمع للمستضعف الحائر
ساوتهم في حكمها الجائر

.....

وان النفس الشاعرة وحدها هي التي تقف هذه الوقفات المتأنية العميقة امام مثل هذه الاشياء الصغيرة في ظاهرها ، وتفخوس في اعماقها وتمتد مع ابعادها ، في انفعال صادق وتجارب مخلص ، حتى تستشف منها هذه " الدلالات الكبيرة " ثم تؤدي هذا المضمون النفسي باداء فني يتفق مع المضمون في صدقه وحرارته وعمقه و" بساطته " .

حتى هذه " المناسبات الكبيرة " التي تستوقف الشعراء عادة ، فينظمون فيها كلاما طويلا اكثره استجابة للدواعي الخارجية التي تقتضيها المناسبة ، فيحفل كلهم بالاساليب المستعمارة والمبارات المكررة والاحاسيس المفتعلة ، حتى هذه المناسبات يقف امامها شاعرنا الناعوري ووقفته الاصلية التي تتفق مع طبيعة نفسه وخصائص فنه فلا ينظم لمجرد " المناسبة " نفسها بل لأنه " انفعل " بها انفعالا صادقا ، ولذلك يجي " تعبيره عن انفعاله بعيدا عن الخطابية الزائفة والتقريرات الجازمة والتهويلات والمبالغية ، استمع اليه يقول من قصيدة " عيد الأمل " وقد

نظمها بمناسبة عيد الميلاد سنة ١٩٥٤ : (٢)

نماود اعهد لنا كل حين
ونحن نعانى صنوف المحنين

(١) ص : ٦٩ - ٧٠
(٢) اناشيد : ٣٦ - ٤١

وفي كل قلب جناح الحنين
يرف ويخفق نحو الوطن
ولسنا نرى من جديد بأيماننا
فهمتاهم تحقق القيود باقدا مننا؟
سنذخر افراح اعيادنا
الى يوم عودتنا للديار
واذ ذاك نشدو بأمجادنا
ونعلاء ايماننا بالفخار
وفي كل صبح جديد سيشرق عيد
ويطلع يوم سعيد فيحلو الفخار

وشاعرنا شديد النقمة على تخاذل امته . ولكن نقمته ابعده ما تكون عن اليأس والاستسلام
وانما هي نقمة الساخط على الواقع المر الذي يسمى الى تغييره بأثارة عزائم قومه . قال من
قصيدة بعنوان " ثورة روح " نظمها بعد ست سنوات من النكبة (١)

دعني من الاحلام يا صاحبي
وأمل الثارات والنصر
فليس في قومي ذو عزة
تدفمه العزة للشأر

قادتنا ثاراتهم بينهم
فان دعوا الجند لساحاته
ليس لهم عند العدى ثار
كلهم يوم الوغى العار

نحن ؟ ومن نحن سوام
ندرك معنى العزة السامية
نشغول راعينا وجسارنا
بنفمة واحبادة رامية

الوعي . . وكل الشعب . كذب فبا
نجد الطافي ونمنوا اذا
في شعبنا وعي واحرار
ما ساقنا للذل سمنار

سنة اعوام تقضت على
مأساتنا الكسرى وتشريدنا
لا " اللد " و " الرملة " قد عادتنا
لتسمننا وقع اغاريدنا

ولا ضواحي القدم من عادات لنسا
والكرمل الغالسي وعكنا
وشط يا فا لم يمسد عهد
فما يحييننا به المنا
خيامننا تملأ رعب الفضنا
وتوتنا لقمة احسان
اذلية نحن ، واوطاننا
يمرح فيها خصنا الجانسي
دعني من الاحلام يا صاحبي
وأمل العودة للندار
ما دام يرعى امرنا قيادة
تمشق قيد السؤل والمبار

إن شعر الناعوري في جملته ، هو شعر النفحة المصيقة الصادقة ، ولذلك نحب به يتسلل
الى نفوسنا تسللا هائسا هادئا دون ان يقرع آذاننا بعظمته وصخبته ،

كيال عبد الرحيم رشيد (١)

نماذج من شعره :

من قصيدة له بعنوان " الكيون والانسان " (٢)

يا من بكيت على الحياة طويلا	وقمدت تشكو اهلها والجيلنا
لا تقطع العمر القصير تأويا	لا تقفر عيشك في الحياة علمنا
قل ما تشاء عن الحياة واهلها	كل الذي ستقوله قد قيلنا
كم فيها سيد ذو حعدة	ولكم اقامت خاملا وذليلا
لكما طيب الحيا قمرها	وكثيرها فيما يكسون قليمنا
قم وانظر الى الدنيا بقلب مؤمن	تجد الوجود لدى الجميل جميلنا
فالشمس والقمر المنير حوليه	الافلاك تجرى لا تطيق ملولنا
والطير فوق الفصن يبعث صوته	لحنه ندا بكبرة واصيلنا
والروح في الانسان تزخر بالمن	ترتاد كوننا رائعا مجهولنا

(١) كمال عبد الرحيم رشيد :

ولد في قرية الخيرية عام ١٩٤١ م ، اكمل دراسته الثانوية والجامعية ، وتخرج من جامعة
دمشق - كلية الاداب - وكان له ميول من سنة الطفولة الى نظم الشعر حتى تسبغ فيه ،
عمل الشاعر في التربية والتعليم ، ثم في قسم المناهج والكتيب المدرسية ثم عمل في
قسم الاناعة المدرسية وله نشاط ادبي في الصحافة والاناعة مؤلفاته : ديوان
شعر مطبوع " شيدو الفريسا " .

(٢) ديوان أغار رشيد ، ص ٤٠٠ .

هذا للمري بمشي ما وهب الذي
 فالله ابداع صنمه فيما ترى
 يا روعة الكون العظيم وحسنه
 كوني لروحي هاديا ودليلا
 صنع الوجود وأحكم التزيلا
 واراد منك الود والتأملا
 في هذه الابيات التي يدعوها الشاعر الانسان الى التغافل وترك التشاؤم ونبذهُ . نراه
 في قصيدته يقلد الشاعر ايليا ابو ماضي في قصيدته :

كيف تفدوا اذا غدوت عيلا (١)

ايهذا الشاكي وما بك داء

ومن قصيدة بعنوان " يا ايها الانسان " (٢)

وتنى الفؤاد كل الاماني
 يستحف الابداع في الحسيان
 سطرته اصابع الرحمن
 فاقد الرأي ضائع الوجدان
 واخترع وكاشف الاكسوان
 وحياة تجبر للخسيران
 خائبات وكم تخيب الاماني
 الابناء والمال والوجود الحسان
 دون نهج مثبت الاركان
 تتحقق كرامة الانسان
 وشفيقا كسمة الوليدان
 هي روح في عالم الايمان

يا أخي في الوجود فيما تمناني
 وتظن الحياة عيلا طويلا
 انت حرف من الحروف اللواتي
 غير اني اصحت اراك نهبا
 فيم يشكو وانيت بالسخ عليم
 فهم تسمى الى انتمار وقتيل
 ضائع الروح خاويا والاماني
 لم تمنحك ما بلغيت ممن
 يا صديقي لا تستقيم حياة
 اي عيش يلحق بالمرء ان لم
 نرفب الميش تغيب لطيفا
 " تعب كلها الحياة ولكن

في هذه القصيدة صحيحة من الشاعر الى بني الانسان يدعو فيه الى ترك سبيل الشر
 وانتهاج طرق الخير والدعوة الى السلام ، ونلاحظ ان الشاعر في شعره الفلسفي يتأثر
 بشعراي العلاء الممرى .

(١) ديوان ايليا ابو ماضي .
 (٢) ديوان الشاعر : " شند والقربا " .

الباب الثالث

الفصل الثالث

مدرسة الشعراء المجهدين

مدرسة الشعراء المجددين

تكلنا في الفصل الاول في هذا الباب عن مدرسة الشعراء التقليدية، وذكرت خصائص هذه المدرسة ثم بينت اغراض شعرها، وترجمة لحياة اشهر اعلامها مع ذكر نموذج من اشعارهم. اما في هذا الفصل فسوف نتحدث عن المدرسة المجددة، والتي تارت على عمود الشعر القديم ومزقته، ثم حطمت الاوزان والقوافي مطالبة بالتححرر من كل قديم والتحرر من القيود والشكل للقصيدة العربية القديمة .

ومن خلال الاحداث التي تدور في مجتمعنا العربي، نستطيع ان نعرف سبب ثورة هذا الجيل الفاضل والرافض لكل تقليد .

وكما نستطيع ان نطلق على شعراء المنتصف الاخير من هذا القرن شعراء النكبة لانهم عاشوا احداث النكبة وسجلوا تاريخها بدمائهم ودماء اباؤهم واجدادهم .

فهم مشردون ونازحون ولا جئون كما يطلق الناس عليهم من تسميات سخيفة، خرجوا من ارض اباؤهم واجدادهم من قصورهم الشاهقة، وساتينهم من جنات الخلد، ليمشوا في الصحارى القاحلة، يفتشون الارض ويلتحفون السماء ويلتهمون التراب .

خرجوا واخرجتهم يد الانسان الطاغية، لتقيم على ارضهم وطن المفتصين، سلبهم الحرية والكرامة باسم الانسانية، تراهم معذبين في سائر الارض يسعون من اجل الحصول على الرغيف الاسود .

لماذا هجروا التربة التي حررها اجدادهم الفاتحون بدمائهم ؟

كل هذه التساؤلات التي يلقيها الابناء على الاباء، فمن هنا نرى ثورة الشباب العارضة، وعمروا عن هذه الثورة باشعارهم الوطنية الصادقة، لانهم جعل الحروب، جيل النكبة، جيل النكبة .

نشاهد ثورتهم بلتهبة لتعبر عن سخطها الشديد واستنكارها لما حصل بامتهم من قهر وذل . وظلمة وبأس .

نلاحظ هذه الضجة الشعرية تنبع من الارض المحتلة، والتي تشمل بشعراء الارض المحتلة (١) والذين اطنوا حربا باشعارهم وبدون استسلام، عندما فشلت جهود الأمة العربية من تحقيق اعلامهم .

لذلك نشاهد على اشعار هذا الجيل الصيغة الوطنية الصادقة وكثيرا ما نشاهد استعمال شعراء هذه المدرسة الشعر الرمزى للتعبير عن خلجات نفوسهم .

(١) ادب المقاومة للدكتور عبد الرحمن ياغي . يتحدث فيه عن شعراء المقاومة في الارض المحتلة منهم محمود درويش، سمح القاسم، توفيق زياد، فدوى طوقان، وغيرهم .

فهذا الشاعر علي البتيري في ديوانه لوحات تحت المطر (١) يفتي اغنية حبيبتة فقة غزيرة
للوطن المحتل ، الذي اغتصبه الاعداء فهو يرمز لهذا الوطن برموز مختلفة .

فلتقرأ ابياته لتتعرف على هذه الثورة :-

قالوا بانك في الخليل حبيبتي

زيتونة حقا دائمة الفروع

يا بهجة الحب الدفين

بقيت منقاة الشمسوع

الاغراض الشعرية :-

ان شعراء هذه المدرسة عاصروا نكبة فلسطين وكانوا ضحيتها ، وشربوا كووس الموت ، وعاشوا
مشردين ، فكان شعرهم صوراً لا حوالهم البائسة .

فكثرت الشعر الوطني ، والشعر الفخائي ، والشعر المسرحي ، والشعر القصصي .

ومن الاغراض الشعرية لهذه المدرسة :-

الشعر الوطني

يقول عبد الرحيم عمر في قصيدته لمن تفرغ الاجراس (٢) :-

وتفرغ الاجراس امام البوابة (٣)

وتبدأ الحكاية الجديدة

ويصعد الدعاء للسما

وتصلاً المدينة السعيدة

اغنية قديمة قديمة

ظلت في شفاها بتيمة

تشيع كالسما

يجل المسارب الحديدية

المجد في الملا !

يا واهب الاعياد والهناء !

يا خالق الامجاد في الملا !

انا هنا في كل عام نقرع الاجراس

وندفع النذور والصلاة

(١) ديوان لوحات تحت المطر .

(٢) اغنيات للصمت ، ص : ١١٣ .

(٣) بوابة في القدس المحتلة ، كانت تفتح في اعياد الميلاد ، لتصل الناس بذويهم فسي
القدس الصليبية قبل احتلالها .

وليس من جديد
فاسكتوا الأجراس.

اما الشاعر نزيه القسوس فهو يصف اليوم الخاص من حزيران بأنه يوم مشؤوم لطلخ جبين المرء
بالعار ويقول في قصيدته :-

وقيننا..... (١)

نمضفها الكلمات

ببلادي

نمضفها الكلمات

نحترقشور النظريات

لنسبني

ابراجا عاجية

ونخون حررها وهمية

يسوف الشمر الخشبية

نتساقى القهوة العربية

وسجائر كيف

تركية

ونبيذا

مشهور النكهة

يسري

برؤوس منتشية

بمصور الفتح الاموية

الخامس عشر من حزيران

رقم محفور في الوجدان

ببلادي

يحترق الانسان

للذكرى المرة... للخذلان

يا عام السابع والستين (٢)

(١) د. بنوان يوميات حزيران ص ١٥

(٢) نفس المرجع ص ١٦

لوحت شهيدا . . . فلسطين

تسينا

انا مهزومون

في المقعد الرابع للعشرين

" يا قرنا أسود في التقويم "

ولقلنا

كان ويا ما كان

واقينا من خلف الجدران

نستعطي من جهيد الرحمن

نقتل

ألف الانذال

بسيوف الشمر الخشبية

ويشب بلا أرضي

اطفال

بخيام سيظل الاطفال

لكن السابع والمستين

منقوش فوق الطين

عمان

اعيشي اشماري

بفداد

هبيني افكاري

يا مصر

سلام الاحرار

يا تونس ام الابطال

يا سوريا

بلد الثوار

يا ارضي محمد

اما الشاعر عاهد شاكر يصف لنا ثورة الاحرار المتأججة في كافة اقطار العالم في القدس

وفي المرقوب ، في اريتريا في كل مكان .

يا قلب ايا وطن الجراح . . . (١)

اليوم . . ماذا بعد ؟

(١) قصائد منشورات رابطة الكتاب الاردنيين ص ٤٧ .

لماذا "الاشهر" المأفون .. يا وطني ؟
يطوف حول كمبتنا
وفي القدس المتيقة في شوارع السمرة
يهدم ما يشاء من البيوت
وفي القدس بيت حزين
وطفل حزين
واسمرة الموت والدم
في القدس كل المصافير كانت تبدل اصواتها
واز يهتز الرصاص
صدمة وارتطام
نقرة في جدار
اصبح .. اصبح من خوفاي ومن المي
يا اخوتي العرب ناديتكم
ناديتاه .. بح صوتي
ولا مجيب
والان في المرقوب في "اريتريا"
هل تسمعون الجلجلة
في العراق والشام
.....
في ارض يثرب ضجة صحراء
آه واحملوا بارودتي
ظلم ابنا العمومة يدركون النار
اما الشاعر عبد الله الشحام فينظم قصيدته بعنوان
"معلقة الدم والرصاص والمطر" (١) ويهددها الى شهداء العرب في كل مكان في هذه
الابيات:

في ذلك المساء ...
انتفضي النهر مع النهور
وفنت الرصاص
وهلل البارود .. للبارود
مهلا بالشوق والشرر

والنور والندى
لنحمي حوافر الفزاة
من رجمة الرشاش . . . والصلاة
مخضبا بالندم والسواد
حط على المقابر الصهجرة
فحام في حمى الفضول والظلام هاجما .
إن القليل في عزيمة الأخير
كا لمعزون قد أصابه الدوار
و حين طار
اخضرت جدائل الليمون والتفاح
شح وجه النار
برعت زنودهم
وفتحت نوارس الرضى .

لقد عرضنا عدة قصائد لمجموعة من الشعراء ، لمسنا في هذه القصائد الروح الوطنية لدى هؤلاء الشعراء ولقد اطلق عليهم لقب شعراء النكبة ، لأنهم عاشوا النكبة ورضوا بها وعبروا عنها باشعارهم لذلك نرى الشعر الوطني المعبّر عن غضبة الجماهير هو الفرع الذي طرّقه الشعراء سيما بعد نكبة حزيران .
الشعر القصصي :

نلاحظ هذا اللون من الشعر عند بعض الشعراء فالشاعر عبد الرحيم عمر ينظم لنا قصيدة بعنوان " من حكايها سندباد " : (١)

كانت الامهين ترنو
ما الذي عاد به يوم المعاد . . . ؟
من كنوز الارض هذا السندباد ؟
وتهادى الرخ فوق الافق مزمو الجناح
ساخرا من عزة الجو ، ومن هوج الرياح
ثم اهوى بجناحية ، والقي بهقايا سندباد
كان مشدودا المعيا
مثل قديس يماني رعب رؤيا
يتلوى تحت اسواط السؤال
اترى ما كان كسان

الشعر الغنائي

قليل من الشعراء طرقت هذا الباب من الشعر ، لانهم يعيشون في محنة وشقاء ، فجاء شعرهم صورة صادقة معبرة عن حياتهم بحياة التشرد والضياع .

فكان الشعر الوطني هو المادة الوحيدة التي يجربها الشاعر عن احساسه وعواطفه الملتهبة وتصوير مأساته .

وقليل من الشعراء من نظم في هذا الفرع فالشاعر حيدر محمود ينظم قصيدته بعنوان " الحب يبدأ من أول السطر " .

الحب

يبدأ من أول السطر

بيننا خطوتان

آه يا لحظة الوصول آه

والهوى . . . منذ كان

هجمة القلب في القلب . مثل هجوع الحمامة في عشها

والهديل صلاة

والهوى - منذ كان

فروح الروح . ان تلتقي - بعد غربتها - بالامان

بيننا خطوتان

آه يا رفة العين ان يفجأ النور بؤؤوها

تنظفي لحظة وتضي *

تنظفي * . . . وتضي *

والذي لم يكن ممكنا ان تراه - تراه

والهوى . . منذ كان

أسر واسير

يستوى وجع القيد عندها - فرح وحبور

والهوى قدر النفس لتصبح مثل عزيز

يا حبيبي انا الان عندك لفظ يعانق ممناه في اول السطر :-

اول كل الحروف انا ، وانا الاخر

وانا العشق والمعاشق ، والشعر والشاعر

وحبيبي له في الحمى ، منزل عامر

يا حبيبي انا وانت ، وجدنا الحب ، وهي وروحك

يا اسرى توأمان

والهوى - منذ كان

هجمة في حياك

كهجج الحماسة في عشا

وأنا الآن عندك ، تعلم ان في النفس الاهوال

يا حبيتي ، تعلم ان لم تضم الحنايا سواك .

فيما سبق تعرضنا لاشهر الاغراض الشعرية التي نظمها الشعراء من شعر قصصي وشعبي و
وطني ، ورأينا ان الشعر الوطني احتل المرتبة الاولى لدى الشعراء المجددين لانهم
تأثروا بنكسة فلسطين وعاصروا احداثها .

اشهر شعرا هذه المرحلة

سوف نتناول بالدراسة والتحليل اشهر شعراء هذه المرحلة ونذكر اهم خصائص هؤلاء

الشعراء :

عبد الرحيم عمير

صورة من شخصية عبد الرحيم عمير في شعره (١)

في شعر عبد الرحيم عمير تلتقي مدرستان من مدارس الشعر الحديثة : المدرسة الرومانسية
والمدرسة الواقعية الجديدة ، تلتقيان منفصلتين انا بحيث تستأثر كل مدرسة بمجموعة من هذه
القصائد كما في (ليالي بنيلوب ، من حكايا سندباد ، وانتظار ، ورسالة الى صديقه
مجهولة ، وعائدون يا تشرين ، واغنيات للصمت ، واني صافرة ، وعلى سفينة نوح ، وضائع
على الدرب ، وهارب من حلمه ، والى عمان ، وشيخان) فهذه اثنتا عشرة قصيدة من
المدرسة الواقعية الجديدة ، في حين ترى الرومانسية تنتظم قصائد (زائر في العيد ، وفي
الليل ، ومد اعوام ، والشاعر) . ونرى هاتين المدرستين تقتربان انا اخر بحيث تمتازان في
اللقاء ، امتزاجا يكاد يكون متكافئا ، ولكنه شبه على اي حال في بعض هذه القصائد كما في
(الرحيل ، لمن تدق الاجراس ، وفرار ، ولن يجي) ففيها تمتاز الرومانسية بالواقعية
الجديدة ، وهما يتحان لنفسيهما بان تستأثر احدهما ببعض مقطوعات هذه المجموعة ، لكن
في استعانة بقليل من رذائ تستطرحه من الاخرى كما في (رؤيا ، ودون جدوى) فهما من
الواقعية الجديدة مع رذائ من رومانسية .

ومن هنا كان مولد هذه المجموعة طريفا ، وطريفا بهذا اللقاء بألوانه الثلاثة المشار اليها قبل .

(١) ولد في قرية جيوس عام ١٩٢٩ م ، انهى دراسته الثانوية والجامعية شغل عدة مناصب
في الدولة في وزارة التربية والتعليم ، والاذاعة أصدر ديوانه الاول اغنيات للصمت
ثم أصدر ديوانه الثاني من قبل ومن بعد .

قليل ، وطريقا باستكمال المدرسة الواقعية الجديدة فيها : الكثير من خصائص المافية والحياة الجميلة ، وهي بهذا الاستكمال تنضم الى هذه المجموعات القليلة الشعرية ، التي استطاعت في السنوات القريبة الماضية ان تثقف وضاة الجبين ، ناصعة الملامح ، وتملن في صدق ، واصالة مولد مدرسة جديدة من المدارس الشعرية الحديثة في عالمنا الاديبي الاردني .

ولعل هذا التمايز بين هاتين المدرستين بالشكل الذي اشيرت اليه اشارة خاطفة سابقة ، هو الذي لعب دورا هاما في تصوير المرأة هذه الصور التي نراها في هذه المجموعة الشعرية . فبعض اذا استثنينا اولا هذه الاشارات الخاطفة التي تشير الى صور عامة في نفس الشاعر لامة في قصيدة بعنوان " ضائع على الدرب " وابنته أمل في قصيدة " هارب من حلمه " دون ان ترسم لهن صورا خاصة تميزهن عن سائر الامهات والبنات ، واذا استثنينا ثانية هذه الايماءات لا رتقاب فتاة فلسطينية فيالقي القرسان الذين سيعيدون ياقا والفرديوس المفقود ، دونما تصوير للملامح هذه الفتاة وشخصيتها في قصيدة " عائدون يا تشرين " ، اذا استثنينا هذا وذاك فاننا سنمضي الى بعض صور المرأة في شعر هذه المجموعة الشعرية وموقف الشاعر منها .

واول ما نلاحظه ان الشاعر ينجح في بعض الاحيان الى مجرد مناداة المرأة ، وتسميتها بعد ذلك ما يود ان يقوله من شعره كانما ليس لديه الصبر على رسم صورة المرأة رسما يؤدي بطريق غير مباشر الى الذي يود ان يقوله في شعره ، ويسمعه من فم المرأة كما في قصائد " الرحيل ، ورؤيا ، ورسالة الى صديقة مجهولة " . غير اننا بعد هذا كله ، نجد للمرأة صورا في هذه المجموعة الشعرية ، وصورها في القصائد التي جاءت من نطاق المدرسة الواقعية الجديدة صور كبيرة الى حد ما وفيها من الخصب والمظنة قدر لا فت . وهذه صورته بنلوب مثل هي رائع خصب على وفاء الزوجة ، وحبها ، واخلاصها ، ومثابرتها ، وقدرة الامل العظيم في نفسها على مصارعة الحوادث والخطوب وكائد الكائدين وحبائل الخادعين .

أترى يمسود ؟

بحارك المعبود مرفوع الجبين

ام لا يمسود ؟

اتراه يأتي في الظلام

ولا يضل طريقه عبر البحار ؟

هو في الطريق الى يالهي الطويل

اني اكاد أرى محياه الجميل

قد اعجز الانواء والموج المشار

واطل يهيم في انتصار

وكذلك نجد صورة المرأة في قصيدة : (على سفينة نوح) صورته غنية الدلالات كريمة الاثر في

نفس الشاعر والحياة معا :

عيناك حلوتان

وكالربيع فيهما تفاؤل حبيب

وخضرة ساحرة تغيث بالحنان

.....

وانت يا رفيقتي الحزينة

تفالمين الخوف، تزرعين حولك الأمان

.....

يا حلوة العينين في

عينيك أبراق الفد الحلو النضير

والشوق والاشواق والأمان

عيناك حلوتان

وفي مثل هذه القمم التي تغيث خصبا نجد صورة صديقه الشاعر في قصيدة " هارب من حلمه " :

تلك القصيدة

تطل عليك ، تناديك ، تفرش دريك وردا

وحبا

تمنيك بالفد مستحيلا

وفي مقلتها حكاية حب من الشوق خصبه

سفحت عليها مزاميرك الشاجيات المتيقنة

اما صور المرأة في القصائد التي جاءت من دنيا المدرسة الرومانسية فصور فيها اضواء هذه

المدرسة وطموحها ، وظلالها في الوقت نفسه ، ولعل المرأة في هذه الصور تبدو اقرب

نضجا منها في تلك القصائد السابقة التي اشرنا اليها من المدرسة الواقعية الجديدة .

فهذه " زائرة الشاعر في الميد " تبدو في تردد الرومنسيات فلا تبت في مجيئها وزيارتها

في الميد للشاعر ، لان ارادتها المتأرجحة ارادة رومانسية لا تعرف الحسم والبت . وحسب

يتصورها الشاعر آتية في الطريق لا يطاوعه خياله في رسم صور حازمة لها . وانما هي خلوة

" كطائر غريب يمشي بلا دليل محيرا تقوده شوارع المدينة " في سلبية الرومانسيين المعروفة :

اما رأيت حلوتسي ؟

كطائر غريب

يمشي بلا دليل

محيرا تقوده شوارع المدينة ؟

ومرت الدقائق اللمينة

وكان ما غشيت ان يكون

وقيل لي " كمالك لن تجسي "

يا خديبة الامال في لقائنا البري !

ومع هذا الاثر العميق الذي كان في هذه المرحلة الصاخبة في نفس الشاعر، فإنه ما زال اثرها فرديا محدود النطاق لم يبلغ ذاك الذي اشرنا اليه من اثر صاحبته في قصيدة " على سفينة نوح " اما الأميرة في قصيدة " الشاعر " فلمس لها الا اسمها ، فقد اعجل الشاعر عن رسم صورة بينسة الملامح والسمات لها .

والذي يتتبع صورة المرأة في قصيدتي " الرحيل " و " لن يجي " وهما من القصائد التي امتزجت فيها المدرستان الرومانسية والواقعية الجديدة يجد ان اثر المرأة في الشاعر كبير ولكنه لا يكاد يتجاوز حدود الشاعر الا قليلا ، ويجد صورة المرأة المكابرة التي تود ان تخضع صاحبها لا رادتها ، في هذا اللون من الصراع الذي الفه الرومانسيون والرومانسيات ، يقاوم الشاعر هذه النزعة مع ما لصاحبته المترددة المكابرة عذبه ، من اثر كبير في نفسه .

واحسب ان جاءه اوان الاشارة الى جانب هام يملأ كثرة من قصائد هذه المجموعة جمالا وروعة هو جانب الرمز واستثمار القصص والاسطورة استثمارا جميلا خصبا .

وقد رافق هذه العناصر الثلاثة ، عامل الخيال المجنح الذي يرتاد ابعد الافاق واعلى القمم دون ان يفلت منه خيط الفن الشعري الجميل .

واحب ان انه الى ان الرمز هنا وسيلة ايجابية بناء قفي فن الكثير من قصائد هذه المجموعة ، وهو مخالف لرمزية المدرسة الشعرية الحديثة في الادب العالمية والادب العربي الحديث ، فالرمزية تنجح للسلبية المسرفة ، في حين ان الرمز هنا ليس الا وسيلة تعتمد الى الطريق غير المباشر ، في بناء جانب من قصائد هذه المجموعة الشعرية ، وهو الطريق الذي تميل اليه الفنون الجميلة الناجحة . حتى بعض صيور المرأة في هذه القصائد استطاع الشاعر ان يتخيف منها رمزا جميلا موقفا ، ولقد كان لا اعتماد الشاعر على الطريق الفني غير المباشر ، الاثر الكبير في الافادة القصوى من الاسطورة ومن بعض جوانب القصة واسطورة برومفيوس واسطورة بنيلوب واسطورة السندباد ، من ابرع الامثلة الحية التي استطاع الشاعر هنا ان يفيد منها .

وقد جاءت الرقعة البشرية فسيحة بل فسيحة جدا في كثرة من هذه القصائد ، واستطاع الشاعر في هذه الرقعة ان يجي بالرمز الدقيق الذي يكاد طائر الشعر المجنح ان يغير لونه واستطاع كذلك ان يجي ببعض الاضداد الوردية ، واهدا ، الاشواق والاضواء المتلألئة التي تلوح لأعين المتعجبين .

ولعل الشاعر ان يمضي في الافادة من الاسطورة والقصة اللتين ملأتا قصائده الجميلة هنا بالحركة والحيوية وينبع فيا من الجمال ، ولعله كذلك ان يتحفنا بين الحين والحين بجملته اوباقة من روائحه .

اما بعد فان من يقرأ عذبه المجموعة الشعرية الفذه ، لا بد له من ان يعني اكبر العناية بجانب الرمز والمرأة اللذين اشرت اليهما لتفتح امامه هذه الافاق الخصبة الفسيحة من خيال الشاعر المجنح الرائع الذي يجد مضامين شعرية في موسيقى نضرة غنية .

وان كنا قد حاولنا ان نلور السمة البارزة في شخصية الشعر عند مصطفى وهبي التل ، فان

السمة البارزة الساطعة في شخصية الشعر عند عبد الرحيم عمر فيها يخيل الى ان شعره يحمل هموم قومه بجميع ابعادها السارة، والثقيلة، وان صوت هذا الشعر ليس الا صوت قومه الانبيين والبعيدين !

وربما كان استغراق نفس الشاعر بجميع ابعادها واعماقها هموم قومه القريين والبعيدين، هو السبب في ورود المرأة بهذه الصور التي المحنا لها في شعره، وفي ورود الرمز كذلك بهذا الرواء والشكل، وفي غنى هذه الموسيقى المغنمية الهامسة مما يكان يجعلها نحو الصمت .

وانا كنا قد لاحظنا ان صوت الجماعة هو الذي غنى من خلاله مصالفي وهبي التل، فله صوت الجماعة الذي يفني من خلاله عبد الرحيم عمر، مع فرق واحد بينهما هو الفارق بين المدرستين الرومانسية والواقعية الجديدة .

ولعل ايراد بعض الامثلة من شعر عبد الرحيم عمر في هذه المجموعة ان يقرب بين وجهتي النظر عند الكاتب والقارى : يقول عبد الرحيم عمر في قصيدة : " من حكايها سندباد " (١)

كانت الاعمى ترنو :

ما الذي عاد به يوم المصاد

من كنوز الارض هذا السندباد ؟

وتهادى الرخ فوق الافق مزهو الجناح

ساخرا من عزة الجو، ومن هوج الرياح

ثم اهوى بجناحيه، والقى ببقايا سندباد

كان مشدود المحيا

مثل قد يس يعاني رعب رؤيا

يتلوى تحت اسواط السؤال

اترى ما كان كان

ام تراه كان مما ينسج الخيب، وما يوحي الخيال

لم يكن في جمعة العائد للصحب هدية

وتهامسنا : ترى هل خابت الرحلة، خاب السندباد

عاد لا يحمل الا ذكريات ورماد

خاب يا ضيعة، يارحلي الشؤم الشقية

وتوافدنا نحييه، طرقتنا بابيه السمع الجواد

وجلسنا صامتين

(١) اغنيات للصمت ٦٣-٦٨ ورد هذا الشعر في الرسالة وذكر في اهم الاغراض الشعرية في الشعر القصصي .

نرمق العائد باليأس من الدنيا القصيدة

صمتنا امتد صحارى بيننا

ماله؟ ويل له هل لنا؟

كل شيء من حناياه يشور

ورأينا عالما ملء حناياه يمور

فهولوا الصمت ما حب السفر

واعذرنا : اننا عشنا قرونا صامتين

ورجوناه ، فما نحن علينا

كان في جمعته دنيا حكايا وحكايا

.....

هبطت قافلة القوم على واد خصيب

ساحر الخضرة موفور العذوية

دافي الشمس ، تراه نبع خير وخصوبة

غير اننا لم نجد فيه بشير

لم يكن فيه لانسى اثر

وزرعنا ارضه حبا .. ورجنا نتغنى بالحصار

آه ايام الحصاد

.....

رب ظل الموت هذا

رب ما هذا؟ انضح ام شحوب

جلل الارض فلا نيسان نيسان

علا الجوا طيارا رهيبات تجوب؟

رب ما هذا ؟ اشد وام نصيب؟

وصعقنا حين ابصرنا السماء

تطر الوادى نصيبا ولهيب

وذعرنا ، وافترقنا ، وانطلقنا للنجاة

وجنى الايدى من الوادى لهات

واد كارات واطراف حكاية

واقلتنا دروب ودروب

واذا بي بين اسوار مدينة

كل ما فيها غريب وعجيب

ناسها بمغنى التماثيل بلا حس،

ولا رجح ارادة

كنت فيها كنبى راح وسط التيه يدعول للعبادة

وعلى اسوارها الف ضيا ، ونور

وهي لا فرق لديها بين صبح ومساء

وهي لا قيمة للاحداث فيها

كل ما كان يكون

كل ما كان سوا

قيل لي ليس هنا اي مجال للتجارة

غير اني كغريب في المدينة

سلمة مطلوبة مستلحة

ودت لي كأسرار المدينة

واذا كان الصباح

قلت قد حان الرحيل

يا بلادي ! يا مطل النور في سود الليالي

ها انا قد عدت من هول مسيرى

وعثارات الاسى تدمي مسيرى

واعلى رخ معاريج الفضا

يتهادى من سماء لسماء

.....

ويقول عبد الرحيم عمر في قصيدة (بعد اعوام) (١)

وعد لقاء اثنين مؤتلفين مهما طال بينهما البعاد

قدر على كفيهما يدعوهما

كحنين زاجلتين تحترقان شوقا للمبعاد

انا في انتظارك منذ ارضعت الحروف رحيق عمري

ووهبتها نبضات ايام اغنيات جميلة

كم مرة غنى لطيفك في الدجى قيثارة شعري

يا حبي الموعود يا زاد الطواف المر اعواما طويلة

ما زلت اذكر يوم أن ودعت أهلي من سنين

(١) أغنيات للصمت ، ص : ٩٩ - ١٠١

ووصية من والدي
" ابني عشت العمر مستورا فحاذر يا بني
النفس مطمعها عدوك يا بني
والزاد اشرفه القليل
والعيش يا ولداه ان تحيا على ذكر جميل
ما زلت اذكر كيف ودعني الجميع
ورجاء والدتي تقول مع السلامة يا بني
اذكر كلام ابيك انا بانتظار رسائك
وحملت في كفي الوصية
ودموع اخوتي الصغار
ودموع امي في مآقي السخية
لم ادرك كيف مشيت ودعت الحدود النازفة
والاهل والمأسة والموتى واشباح المنايا الزاحفة
وطويت في قلبي فجيمة جيلي المظعون كلمة
ورحلت احمل جرحنا الدامي ، ولم اصرخ
فغول الصمت قد القى على الدنيا بظلمه
ما زلت اذكر يا حبيبه
كل الذي لا قيت من قدرى العنيد
هذى يدى يا نجمتي الفراء ، يا قدرى السعيد
اترى اعود اطوف الدنيا الفريية
ام ان لي قدرا جديد ؟
من منبهي ؟ يا نجمتي الفراء ! يا قدرى السعيد !
ويقول عبد الرحيم عمر في قصيدة " لمن تقرع الاجراس " (١)
وقد اهداها الى الاخوة الذين يعبرون بوابة مندلهوم في كل عيد ميلاد :

وتقرع الاجراس
وتبدأ الحكاية الجديدة
ويصمد الدعاء للسما
مرنسا منساب

(١) أغنيات للصمت ، ص : ١١٣-١١٧ وردت هذه القصيدة في الرسالة في باب الشعر
الوطني ص :

وتنتشي القباب
وتصلأ الدينه السعيدة
اغنية قد يمة قد يمة
ظلت على شفاهنا يتيمة
تشيح كالمساء
يجلل المسارب البعيدة
(المجد في العلا)
يا واهب الاعياد والهنا
يا خالق الامجاد في العلا
انا هنا في كل عام نقرع الاجراس
ونذفع النذور والصلاة
شفاهنا تصلبت على الدعاء والرجاء
ولا نزال كل عام نعصد الاسى
كانما بحاره الجوال قد رسا
في دارنا بقية العمر
لمن تدق هذه الاجراس يا رفيق ؟
فهيتنا لا يعرف الفرح
كانما في قسوه العتيق
مآذن التتار من جماجم الرجال
ولا يزال ليله وشاعه الردى
ورهبية الاشباح لا تزال
ولا يزال ساحه ملاعب العدا
ولا يزال يا اخي . . . ولا يزال ؟
سدى تهب رنة الاجراس في مشارف الذرى
فالفارس الفيور في صحرائنا توسد الحسام
والتحف المباشرة
وراح في غفوته الهنيئة
يفط في قوافل النيام
كانما قد صدأت اجفانه من الكرى
ظلم يمسد يرى
ولم يمد يحس بالرياح
من كل صوب تلمظ المباشرة

قضى ولما تصرف الجراح
خيوله الهزليته
وراحت الذئاب والرياح
تعيث في المضارب الذليلة

.....

لمن تدق هذه الاجراس يا رفيق
وحارس البوابة اللعين احكم الرتاج
وليس من سلاحنا الا النسيج
ولم يعد يهززه النسيج
فاحكم السياج
والفارس الهمام لا يزال
يغظ في مهاجع الرمال
وطال يا رفيقي انتظارنا المنيد
وليس من جديد
فاستكوا الاجراس

ويقول عبد الرحيم عمر في قصيدة " رؤيا " : (١)

ولا حت بعيدة
تداعب أنفسنا المجهدات
فما رف جفن ، وما رق قلب
السنا اخمنا السنين ، نصارع
زل اسانا ، ونصبو
الى ضوء نجمة
لعمل بها مرفأ للحيارى
وكم لمعت نجمة خادعة
فسرنا اليها سكارى
تحت قوافلنا الخائفة
وعدنا تلوك اسى الفاجعة
فبما خيبة النفس الخائفة
فنجمتنا نيزك تائه

تألاً ثم تسواري
فيا علوتي لم اعد شاعر الابيات
انا بحرحتني المآسي رمتني وراء الحياة
ويا علوتي ان تراءت امان جديدة
وزغردت ، لكن صمت ، ووح نشيدي
وما من قصيدة
فلا تفجعي ، لم تعد تستثير الاماني
لعونسي انا للجراح ، لآلامها الكاوية
ولست نبيا
يصدق رؤيا
فيرمي باسحق للمهاوية

فدوى طوقان (١)

صدرت لفدوى مجموعتان : اولاهما بعنوان " وحدى مع الايام " (دار مصر للطباعة ، لجنة النشر للبحرانيين) (٢) ، وثانيهما بعنوان " وجدتها " (منشورات دار الآداب ببيروت) . ولعمل الشاعرة ارادت بهاتين المجموعتين ان تسجل مرحلتين مختلفتين من مراحل حياتها الوجدانية الفنية ، فرمزت الى ذلك بهذين العنوانين اللذين يمثل أولهما الوحدة والحيرة ، ويمثل ثانيهما الطمأنينة والهدوء ، بل قد أكدت اختلاف هاتين المرحلتين حين اثبتت في مجموعتها الثانية بنوع قصائد افردتها بعنوان خاص هو " قصائد من رواسب : وحدى مع الايام " . ولكننا حين نمضي مع الشاعرة في مجموعتها لا نكاد نحس بما ارادت ان توحي الينا به حين اختارت هذين العنوانين ، فالجو النفسي الذي يسود قصائد المجموعة الاولى هو نفسه الذي يسود قصائد المجموعة الثانية ، وخصائص الاداء النفسي في المجموعتين واحدة . وكل ما بينهما من فروق تنحصر في الشكل وحده ، فقد جعلت " البيت " في المجموعة الاولى وحدة متكاملة ، والتزمت

(١) فدوى طوقان : ولدت في مدينة نابلس بعد الحرب العالمية الاولى في بيت يسار وأدب وتعهدتها اخوها ابراهيم فكان لها الاخ والمعلم ، بدأت تشتهر في الاساطير الادبية حين رثت اخاها ابراهيم طوقان ، وتفتحت مواهبها بعد ذلك وتلقت في اكثر اغراض الشعر ، كالغزل والوصف والشعر الوطني ، وواصلت طريقها الى ان اعتبرت من ابرز شعراء العصر الحديث . ظهر لها من الدواوين (وحدى مع الايام ، وجدتها ، امام الباب المغلق الليل والفرسان ، واخيرا أخي ابراهيم) .
(٢) الطبعة الثانية ، اما الطبعة الاولى فقد صدرت بالقاهرة سنة ١٩٥٢ ، وانظر ما كتبت في الادبية المعروفة السيدة وداد السكاكيني عن فدوى طوقان في كتاب " نساء شهيرات من الشرق والغرب) من مطبوعات فرانكلين ، مطبعة الحلبي سنة ١٩٥٩ ، ص : ٧٣-٨٢ .

قافية واحدة او عدة قواف على نظام خاص، وجملت في المجموعة الثانية " التفعيلة " وحيدة القصيدة واختارت لكل قصيدة نظاما للقافية لا يلتزم نمطا واحدا .

أما الجو النفسي الذي يلبث المجموعتين معا ، ويسود شعر فدوى عامة ، فيتألف من عناصر متداخلة مردها الى عنصر واحد كبير، يتمثل في هذا القلق النفسي الصاخب بما يدفمه ويغذيه من جوع عاطفي وظمأ وجداني من حرمان وجفاء ، وما يواكبه من حيرة واضطراب ولهفة وتشويق ، ان هذا الصراع الذي يصرلخب في نفس فدوى وفي فكرها صراع بين أسر القيد وانطلاق الحرية . وكم من أسير مقيد لا تثور في نفسه نوازع الانطلاق والتحرر لانه لا يعي امره ، ولا يدرك أسره ولا نرى عيناه أسوار سجنه ، فيألف ما هو فيه ولا ينكر منه شيئا أما حين تتفتح النفس ، ويرهسف الحس ، وينطلق الوجدان ، ويستتير العقل ، فحينئذ تخوض النفس تجربتها الكبرى لتحقيق " انسانيته " . ومن هنا كان قلق فدوى قلقا ايجابيا سليما : تتمثل " ايجابيته " في الثورة على قيودها التي لوقها بها مجتمعها ، دون ان تتردى في مهاوى اليأس والملمات التشاؤم وكآبة الاستسلام انها تحس بما هي فيه وتحس بما تصبو اليه احساسا مدركا واعيا ، وفي هذا الاحساس المدرك الوعي تتمثل الصفة الثانية من صفتي قلقها وهي " سلامة " هذا القلق . انها تعبر عنه تعبيرا اصيلا واضحا ، لا تتوارى فيه وراء الصور البيانية المفرقة في الخيال المستغلق والودهم المستبهم ، ولا تهيل عليه عجب " الرمز " الخفي الذي يحيله خمرا من الاحاجي والالغاز ولم تحاول ان تفتعل لثورتها نظائر شكلية تحلظ في الريقها اصول الجرس وموسيقى النغم ، ان مشاعر فدوى التي تعاني من قيود مجتمعها وتقاسي من الوحدة والوحشة وتصارع الفراغ والغيباء - تتنفس في شعر فدوى تنفسا فنيا طبيعيا برىء من الانحراف وسلم من الشذوذ ، في الضمون والشكل معا .

وتكاملت لفدوى عناصر الاداء النفسي ، فكانت قصيدتها نتاج تجربة توافر لها الصدق والاخلاص الفنيان ، وجاءت الفاظها ومصورها وموسيقاها ذات ظلال والوان وايقاعات ، ذات آماذ وابعاد واعماق نفسية يعيش معها من يقرأها ، فتغمر وجدانه ، وتحمم حسه ، وتملأ نفسه ، وتدخله في جو الشاعرة ، وتجعله يخوض معها تجربتها . ان فدوى تبدأ بتصوير وحدتها وما تعاني من وحشة وما تدفعها اليه من حيرة وقلق واضطراب ، فتقول (١)

حياتي ، حياتي أسى كلها

اذا ما تلاشى غدا ظلمها

سيبقى على الارض منه صدى

يردد صوتي هنا منشدا

حياتي دموع

وقلبولوع

وشوق وديوان شعر ، وعود

وهذا شهاب

أمان كوابني

شباب ، سقاء الاسسى ورواه

اذا ما دعته اليها الحياة

واشواقها ، شدة الفغل

وطوقه الفطوق مذل

شباب عذاب

رهين اغتراب

يضيع شذاه بأسر القيود

.....

وأطرق رأسي

بوحشة ياسي

وفي الروح تصخب اشواقها

وفي النفس ترعد آفاقها

وأنزع للشعر سلوة روعي

أصور اشواق عمر ذبيح

فيهدأ حسي

وتخشع نفسي

وتسكن لهفة روعي الشرير

.....

وأجذب عودي

لقلبي الوهيد

فتخفق أوتاره باللحمون

تهدد قلبي وتجلوشجونني

بفتى وشعري والعمان عودي

أصارع الام عمر شهيد

وهذا نشيدي

نشيد وجهودي

سبيقي ورائسي صداه يعيد

حياتي دموع

وقلب ولوع

وشوق ، ود يوان شعري ، وعود

ويخيم هذا القلق على فدوى فتنفثة في كثير من قصائدها ، فتقول : (١)

الفضاء الخالد ارتد وغشاه السحاب
وينفسي ، مثله يجثم غميم وضباب
وظلال عكستها في اشباح المساء

.....

الخريف الجهم ، والريح ، واشجان الفروب
ووداع الطير للنور وللروى الكغييب
لكها تمثل في نفسي رمزا لانتهائي
رمز عمر يتهاوى غاربا نحو الفناء
فترة ، ثم تلف العمر أستار المغيب
عيرة ، عائرة كم ، غالطت لني ومجسي
عكست الوانها السود على فكري وحسي
كم تبلعت وكم ساءت : من اين ابتدائي
وكم ناديت بالغييب : الى اين انتهائي
قلن شوش في نفسي طمانينة نفسي

وهي تفهم نفسها وتحسن البيان عنها ووصفها في قولها : (٢)

هناك فون الربوة العالوية	هناك في الاصل الساجية
فتاة احلام خيالية	تسبح في اجوائها النائية
الصمت والنظل وافكارها	رفاقها والسرحة الحانية

.....

حياتها قصيدة فؤدة	منبعها الحس ونيرانه
وحلم محير تائه	من قلن اللهفة الوانسه
حياتها بحر نأ غوره	وان بدت للمين شطآنه

ولكن فيم هذه الحيره ؟ ولأى شيء هذا الشوق ؟ ان فدوى في بداية الطريق تختبي وراء
الطبيعة ، وتستتر اشواقها خلف مظاهرها الفاتنة ، فتراها في قصائدها الاولى تناجي : المروج
والخريف والمساء والفراشة ، وشجرة الزيتون ، وسنابل القمح ، وتحاول ان توهم مجتمعها ان
ما يستغرق مشاعرهما انما هو هذا الكون وسحره واسراره فتقول : (٣)

هذي فتاتك يا مروج ، فهل عرفت صدى خطاياها

(١) وحدي مع الايام ، ص : ١٢-١٦

(٢) وحدي مع الايام ، ص : ١٧

(٣) المصدر السابق : ٦-١١

عادات اليك مع الربيع الحلوى يا مشوى صباها
عادات اليك ولا رفيق على الدروب سوى رؤاها
كالاص، كالغد، شرة الاشوان . . مشيها هواها

.....

قد جئت ،ها أنا ، فافتحي القلب الرحيب وعاثقيني
قد جئت أسندهمنا رأسي الى الصدر الحسنون
وأظل انهل من ثقاء الصمت ، من نسج السكسون
فهبل بعينيك أستريح ، أغيب ، أغرق في عيني

.....

وهنا ، هنا في جوك المسحور ، جو الشاعرية
كم رعت استوحى الصفاء رؤى خيالاتي النقية
فتضمني في نفسه الالهام أجنحة خفية
تسمو بروحي فوق دنيا الناس ، فوق الادمية

.....

أواه ، لو افنى هنا في السفح ، في السفح المديد
في العشب ، في تلك الصخور البيض ، في الشفن البميد
في كوكب الراعي يشع هناك ، في القمر الوحييد
أواه ، لو افنى ، كما اشتان - في كل الوجود

وتقول : (١)

لو تأخذ الكون الى صدرها	ودت وفيها لهف كاسح
آياته الكبرى ومن سحرها	تعزته وتشبع الروح ممن
تقبل الغيوم في سيرها	تعانق الارض . . تضم السما

.....

تنهيه بالنظرة الواغلة	ودفعت بعينها في المدى
في نشوة فائضة شاملة	ما أجمل الوجود ! واستغرقت
بقلبها ، بروحها الذاهلة	تلتهم الكون باعساسها

وتعس فدوى بايامها تمر ومشباهها يهذوي ، فتشتد عليها وطأة الوحده ، وينهبش القلق نفسها
ولكنها لا تطك الشكوى الصريحة ، فتستتر كذلك وراء "الرمز" الخفي الذي يكاد يفضح مشاعرها
اكثر من التصريح ، فتوهم مجتمعا ان ما يشغل نفسها انما هو مشكلة الحياة والموت والخلود
والفناء .

فتقول : (١)

آه يا موت ! ترى ما أنت ؟ قاس أم حنون
أبشوش أنت أم جهم ؟ وفي أم خـون
يا ترى ما كنه كأس . سوف تزجيتها اليشيه
يا ترى من اي افان ستنقض عليـه
قل ، أين ، ما لونها ؟؟ ما طعمها كيف تكون

.....

ذاك جسمي تأكل الأيام منه والليالي
وغدا تلقى الى القبر بقاياي القوالي
وي ! كأني المح الدود وقد غشى رفاتـي
ساعيا فوق هطام كان يوما بعز ذاتـي
عاشا في الهيكل الناخر ، يا تعس مآلي

وتقول (٢) :

دوم اعصار بقلب الخضم
وارتمدت مرعوبة في ألسـم
الا رؤى الموت وطيف المدم
من عث الموت وطيش الفناء

واضطربت اعماقها مثلما
وانتفضت مذعورة في أسـس
فلم يكن يصدح احلامها
يا مدع الوجود ، لو صنته

وتسائل الزيتونة : (٣)

عنك يد الموت الى حفرتي
وانت تحنين على مهجتي

يا ليمت شعري ان مضتبي غدا
تراك تنسين مقامي هنا

وتتمثل خصائص هذه المرحلة الاولى من حيرتها وقلقها في قصيدتها "أشواق حائرة" ونحسب
ان نورد لها كاملة حتى تتبين لنا وحدة الجو النفسي وعناصر ادائها الفني . (٤)

(١) وحدي مع الايام ، ص : ١٤

(٢) المصدر السابق ، ص : ٢٠

(٣) وحدي مع الايام ، ص : ٢٣

(٤) المصدر السابق ، ص : ٣٢-٣٤

تريح اهوائي واشواقسي
مترافج التيار ، د فـساق
محمومة بدمي بأعراقسي
حيران يغمركل آفاقسي

ماذا أحس؟ هنا بأعما قسي
بي الف احساس يحرقني
الف انفصال ، الف عالفة
ماذا أحس؟ احرن بي لهفا

.....

بحنينها ، بغموس لهفتها
متفعما جدران عزلتها
يدعوبها في صمت وهدتها
اهي الحياة تهيب بابنتها؟
عن نفسها ، تشقى بحيرتها

نفسى موزعة ، معذبنة
شون الى المجهول يدفعها
شون الى ما لست افهمه
اهي الطبيعة صاح هاتفها
ماذا أحس؟ شعور تائهة

.....

عمقت ومدت فيه كالا مد
سحابة ، دقاقة المدد
ويئلل مرتقبا على وقد
للعب ، ممدد فيضها الابدى

قلبي تغور به الحياة وقد
فتهز أغوارى نوازعه
ويئلل منتظرا على شغف
ويود لو تمضي الحياه به

.....

شون اليها لاهف عارم
نلما الحنين بروحه الهائم
بنيابها المترجج الحالم
وتلفه بجناحها الناعم
عمق السماء ونورها الباسم

وهناك توومي لي السماء وسي
فاحس احساس النرييب طغى
وارى كواكبها تمانقني
تهمي على روحي أشغتها
فأود لو افنى وادمج فسي

.....

قلق عتى جائح الالم
في غور روحي ، في شعاب دمي
وتشد قبضتها على قدمي
بالنور فون رفارف السديم
دنيا التراب ، وهوه العدم

مالي يزعزعي ويحصف بي
تتخارب الاشواق عائرة
الارض تعلق بي وتخبرني
وهناك روحي هائم شغف
مستحقر للارض تفزععه

.....

علشا الى ينهوه السامي
صوت السماء بروحي النلامي
صوت يقيد خلو أقدامي

روحي يلوب بدار غربتته
فهناك أهداء يسلسلها
وهنا ، هنا في الارض يهتف بي

يتنازعان شرع ايامي
يلوي الوجود حينه الالامي

صورتان . . كم لجلجبتينهما
وانا كيان تائه قلبي

.....

ولكنها لا تلبث ان تضيق بأشواقها المكبوتة ومشاعرها المكتومة، ولا تلبث ان تضيق بتسآثرها وتخفيها وراء الطبيعة ومفاتها حيناً ووراء مشكلة الموت والحياء حيناً آخر، فتلقي عنها الحجب والاستار وتنطلق تعلن حقيقة اشواقها وتمرح بعد حلول الجمجمة، فاذا غوفها من الموت والفناء هو في حقيقته خوف من الحرمان والجفاف ومن الوحدة والوعشة.

قالت: (١)

وابتمت الراحب من عجبها
في غدها المحروم . . في امسها
ليل ترجى في مدى حسنها
تسيل منه في دجى ياسها
منابع الانواء من نفسها

وكأن أقسى ما شجى نفسها
تدفق اللمة في يومها
للمه عمر كل ايامه
النور اين النور؟ هل قلرة
من اين؟ والاقدار قد جففت

وانا باشواقها الى الطبيعة هي في حقيقتها اشواق الى ابن الطبيعة، الى عيب تمتيه فجسمه لها خيالها، وان عز عليها - في البدء ان تجده في الواقع، قالت: (٢)

في عالم الاشواق روح عيب
أحسه مني قريباً قريب
يغمر قلبي بالحنان الرفيع
على جناح من شعاع طليق

واها، هنا ينفو على مجلسي
لم تره عينان، لكنني
اكاد بالوعم اراه معي
يمشي به نحو السماء الهوى
ثم ما لبثت ان رأته . . . وجدته (٣)

فتك متى عبرت درب حياتي
وك؟ كيف انعمت في طرقاتي
يوقد الشوق في مسارب ذاتي
بي، ويذكي نار، ويحيى مواتي

والتقينا . . لم ادراك قوى سا
كيف كان اللقاء؟ من ذا هدن خذل
لست ادري ولكن رأيتك روحاً
ويذرى الرماد عن روعي الغفا

.....

مي ينشئ خيالها مقلتيه
رأنا خلف وعدتي الابدية

حدقت مقلتك فيّ ، والا
لست ادري ما استجلتاه ولا ما

(١) وحدي مع الايام ، ص : ٤٧

(٢) المصدر السابق ، ص : ٢٢

(٣) المصدر السابق ، ص : ٥٤-٥٧

غير اني ابصرت روحك تهتز (م) انطافا في رقعة علوية
وهنا خلقتي شعرت بسروح (م) الله رفتمن السماء عليه

.....

يا لعينيك اى نفضة بعضى
فاذا بالحياة عارمة النبسى
واذا بالجمال يعكس الواننا
واذا بي في ظل حب عظيم

.....

نظرة فتحت لقلبي ابواب
وجلت لي افقا يموج بسسه
فيه سحر الالوان فيه صدى الالح
نزلت خلف عمقها رحت استشرف

.....

ومضت بي الايام لا انا صرحت
كم وكم راح يحتويننا مكان
كم حد يث حدتني كم قصيد
وقلبي السعيد شيء كمنف ال

.....

ومضت بي الايام والزمن العجلان
وسكوني ما انفك يرخي سد ولا
وتلفت بغتة وعمقسي
واذا قلبي المرنح اشلاء

.....

وافترقنا وطنى النفس لو تدرى
وهواى الكبوت يجهر في صمت
كم شجاني وداك المركم سا
كيف كان الفراق كيف انزوى

.....

وافترقنا وبين كفي رسم
كم تلمست عن عينيك فيسه
لم يزل كل زاد روحيه المتيم
ومعيني ادمع تتضم روم

يهتك الحجب عن هواه الطثم
يترامي اليك شعرا مرنم

يا لقلبي كم راح بين يديه
اصغ تسمع عبر الصحارى صداه

وتدفق شعر فدوى في هذا الحديث، الشاعر ابن الصحارى في قريته ومعه وفي وصاله وعجره
ثم ما لبث ان غاب عنها ، ابتلعته آفة الصحراء فصار فدوى وحيدة الا من الياق الذكري
والا من صبابة انداء تريب جفاف عمرها ، فتفتنت في القول ما شاءت لها شاعريتها الخصيبة
وحدقت في عالم من الفن لا تسموا اليها غير اجنحة فدوى ، فنظمت فيه قصائدها : غب النسوى
الى صورة الممدن الباكي سمو في محراب الاشواق ، قصة موعد قلب ، يتعذب نارونا ، اندلاق ،
ثم في ديوانها الثاني قصائدها ذكريات ، وانتظرنى ، لا انفصال ، هل كان صدفة ، العودة ،
في الكون المسحور ، هل تذكر ، كلما ناديتني ، حتى اكون معه ، القيود الغاليات ، تشك
بحبي ، ساعة في الجزيرة ، انا والسر النماذج ، لن ابيع حبه ، لقد اخذ عليها هذا الحبيب
افكار نفسها ، وملاك قلبها فلم يتسع لغيره حتى انها التقت في استكهمولم بالشاعر الا يلالسي
سلفاتور كوازيمود وتودد اليها خالته بقولها :

قلت في عينيك عمق

انت حلوة

قلتها في رغبة مهموسة الجرس

فما كنا بخلوة

ومعينيك نداء

وباعماقي نشوة

انا انش فاغتر للقلب زهنوة

كلما رغدغه لمسك في عينيك عمق

انت حلوة

.....

انا يا شاعر لي في وطني الغالي

حبيب ينتظر

انه ابن بلادي لن اضيع

قلبه

انه ابن بلادي ، لن ابيع

حبه

بكنوز الأرض

بالا نجم زعرا

بالقمر

غير اني تمترى قلبي نشوة

حينما تلفوظلال العيب في عينيك

او تومض دعوة

انا انثى فاغتر للقلب زهوة

كلما دغدغة ممسك في عينيك عيق

(١)

انت حلسوه

وتدفق شعر فدوى ، وما زال القلب النفسي يهز كيان فدوى ويلف وجودها في ديوانها الثاني
- وجدتها - وما زالت الحيرة والتهيه والضحياح ، والضميت ، والفراغ ، والحرمان ، هـ
الانغام التي توقعها فدوى في ديوانها الثاني كما وقعتها في ديوانها الاول ، وان ارادت
ان توهم نفسها شأن الحائر التائه دائما انها قد فاءت الى السكينة والهدوء ، ووجدت نفسها
فقلت : (٢)

وجدتها يا عاصفات اعصفي

وتنهي بالسحب وجه السماء

ما شئت

يا ايام دوري كما

قدر لي

مشرقة ضاحكة

او جهمة حالكة

فان انوارى لا تنلني

وكل ما قد كان من ظل

يمتد مسودا على عمري

مضى ، شوى في شوة الامس

يوم امتدت نفسي الى نفسي

ولفدوى قصائد في نكبة امتها في فلسطين ، منها في ديوانها الأول : بعد الكارثة ، هـ
لا جئة في العيد ، رقيّة ، ثم قصيدتها المطولة نداء الأرض في ديوانها الثاني .

(١) وجدتها ، ص : ١٢٠ - ١٢١

(٢) وجدتها ، ص : ٤٠ - ٤١

أمين شنار (١)

يعرض أمين شنار رأيه في الشعر في مقدمته التي كتبها لمجموعته الشعرية " المشعل الخالد " (٢) فيقول : " القصيدة - او القلعة الشعرية - لوحة ينتزعها الشاعر من اعماقه ويلونها بدم قلبه فهي قطعة من ذاته ، تحمل طابع شخصيته ، منحانه قد يستوحىها من مشهد عابر او واحدة معينة ، فهو بعيد عن فكره ، يعبر عن شعوره . قيل ان يقصد محاكاة الطبيعة والنقل عن الواقع ، لانه الى النفس اقرب ، وفي التعبير عنها اصدق . " ويقول كذلك : " والشاعر فرد في امة : فلا بد له من ان يعيش في شعره قضية امته . " ثم يقول " هذا هو المضمون الشعري عندى : تصوير صادق صادق . اما الشكل وهو الاطار الفني للقصيدة - فيقوم عندى على الكلمة والسبك والموسيقى . فالكلمة الشعرية مؤثرة مشرقة ، والسبك الشعري يستمد من لاقاة اللغوية حياة وقوة . والموسيقى الشعرية هي الاحساس الذى يبنى عليه هيكل القصيدة : سواء اعتمدت هذه الموسيقى على البحور المألوفة او على وزن التفعيلة الواحدة . " ثم يخاطب القارئ بقوله " فانما عطلت هذا الرأي ، وعشت معي ، خلال قصائدى - التجربة الشعرية التي تصبورت كفاح امتي في سبيل نهضتها وعزتها ، فاني اكون قد حققت قصدي من نشر هذه المجموعة الشعرية . "

وقصائد الديوان يكاد ينظمها جميعا - على اختلافها - جو نفسي واحد تضيء جوانبه اشراقات الايمان ، وتشيع في حناياه آثار الدين ، فالقصيدة الواحدة تجمع في الغالب بين التأمل الروحي والابتدال والمناجاة ، والاعتزاز بماثر الاسلام في تاريخه الحافل منذ ان اشرى نوره فلمس ظلام الشرك وحطم الاصنام ، ثم دعوة واضحة الى ان سبيل النهوض والقوة والعزة انما هو هذا الدين . كل ذلك في لفظ مشرق محكم ، وموسيقى منغمة فجاء شعره في هذا مطابقا لما ذكر في مقدمته عن الكلمة والسبك والموسيقى .

فليلة القدر تذكرنا بخار حراء ونزول الوحي وانتشار الاسلام فيقول : (٣)

في ارتعاش الليل ، في نجوى النجوم

في سكون الفجر ، في همس النسائم

(١) ولد في مدينة رام الله سنة ١٩٣٤ ، اتم دراسته الثانوية والجامعية . عمل في وزارة التربية والتعليم والصحافة . اصدر مجلة الافق الجديد في مدينة القدس وكانت هذه المجلة تعتنى بالادب ولكن ما لبثت هذه المجلة ان توقفت في بدايتها .

اصدر ديوان شعر بعنوان المشعل الخالد

(٢) سلسلة الشرح - البيرة ، رام الله ، سنة ١٩٥٧

(٣) المشعل الخالد ، ص ٩-١٣

في فؤاد الكون ، في قلب اليتيم

في القفار

اي شوق ؟ اي تون ؟ اي شجرة
في الدجى الصادى الذى يرقب فجره
يتمنى ان يزور النور شجرة

والنهار

وينادى ، فهو يوح ، وهو دعوة
انا فجرا خالدا برجود نوة
انه ميلاد عز ونهضة

وانتصار

ليلة القدر وانوار . . تلوح
من بعيد . . ثم تغدو وتروح
في فؤاد نزه شعر طموح

مستشار

ايهذا الساهر الجائر حسبك
روح الافاق والانجم قلبك
مدك نجوى ، جاد بالرحمة ربك
ويعد ان يتدرج فيها يختصمها بقوله واصف حال امته :

ليلة القدر ، لقد عاد الظلام
يغمر الارض ، وقد عاث اللئام
في بلاد الدجى ، والموت الزؤام

والدمار

باسط فوق رؤوس الناس نلكه
ناثر في اعين الباكين ويله
وهم يدعون : يا لحرمة ليلة

في صفار

ان تكوني مشعلا للحائرينا
نعمه خيرة للظالمينا
عسى به للمؤمنين التائبينا

وانتصار

ليلة القدر باعماقي رجاء

ان يرى نورك عمي وظماء

ليسود الارض غير وهنا

وفي قصيدته الاخيرة في الديوان - وهي من مائة وخمسة وسبعين بيتا يخاطب اممة الاسلام بقوله: (١)

فلقد لاحت تهاشير الشروق
من بعيد ، صادق ، زاه ، انيق
بسناها في دجنات الطريق
حمله الجهل على الماضي السحيق

واسير الليل من ظلمته
فكرم اصلب من قوته
صوتكم يلفس على ثورته
عزما يرتد عن غايته
واشترينا الخلد في جنته

بل انه حينما يلقي فتاته لا يلقاها الا في مثل هذا الجو (٢)

عندما لاح فجره ودعانا
ا ، وايماننا ينير سرانا

تعدل العمر كله والزمنا
ضمننا الدرب ، والتقت وجهتنا

حائرات ، مصفيات ، حزاننا
وكفاح يذوب فيه هواننا
مشعل منه ترتدى مقلتنا

اممة الاسلام ، بالله افريقي

اي فجر شعشعت انواره

للمي اضواءه كي تستنيري

وانفضي عن رابع المجد ركابا

ثم يخاطب المسلمين قائلا :

انقذوا الحائر من حيرته

حلموا الشر ولا يرهيبكم

ولئن ثار عدو وفارقموا

اننا لا الهطش يثنينا ولا

في سبيل الله يمنا انفسنا

بل انه حينما يلقي فتاته لا يلقاها الا في مثل هذا الجو (٢)

في طريق الكفاح كان لقانا

فمشينا ومشعل الحق هادينا

.....

يا لها ساعة على العمر عزت

هي ميلادنا الجديد . . وفيها

.....

كنت فيما مضى حليف لينا

والتقينا على مواثيق صدق

ومضينا معا وفي خافقيننا

(١) المشعل الخالد ، ص : ٩٤-٩٥

(٢) المشعل الخالد ، ص : ٣٤-٣٥

الباب الرابع

الفنون النثرية

تمهيد

الفصل الأول

المرحلة الأولى من مراحل تطور القصة القصيرة في الأردن

الفصل الاول

الفنون النثرية المستحدثة في الأردن

تمهيد :-

كان ظهور النثر متأخرا بالنسبة للاقطار العربية الشقيقة ويرجع السبب في ذلك تخلف الاردن في الفكر والثقافة ، ولم تقم للادب قائمة الا بدخول الأمير عبد الله الى الاردن ، وكان يصطحب معه حاشيته التي تتألف من الادباء والشعراء .

بدأت الحياة الادبية تنمو في البلاد بدخول الأمير ، حيث دفع عجلة الادب الى الامام وساعد على انتشاره وسائل التعليم سواء كانت هذه الوسائل تنحصر في فتح المدارس والمكتبات العامة والمطابع وغيرها من نواحي النهضة الفكرية .

ويذكر الدكتور ناصر الدين الاسد في كتابه (١) ان الامير عبد الله اراد ان ينشأ مجتمعا لغويا ومكتبة في شرقي الاردن .

ثم اخذت الصحف في الظهور وظهرت اول صحيفة في البلاد تحمل اسم الشرق العربي سنة ١٩٢٣ ، وتبعتها في الظهور جريدة الاردن ، ثم ظهرت بعض المجلات الفكرية والادبية

كالجزيرة لصاحبها تيسير ظبيان ، والرائد لامين ابو الشعر .

فنون النثر الاردني :

- | | |
|---------------------|---------------------|
| (٢) القصة الطويلة | (١) القصة القصيرة |
| (٤) المسرحية | (٣) الخاطرة |
| (٦) البحث | (٥) الرسالة |
| (٨) المناظرة | (٧) السيرة |
| (١٠) الخطابة | (٩) المقالة |

تعريف عام لبعض الفنون النثرية :

المسرحية :-

فن يرمي الى تفسير او عرض امر من امور الحياة عن طريق ممثلين يتقمصون الشخوص .

عناصر المسرحية :

المكان ، الزمان ، الشخوص ، الحدث ، الحوار .

للمسرحية شكلان ، شكل يمثل المظاهر الجدية في الحياة ، ويعتمد على شخوص ومكانه وعلى نهاية حزينة ويسمى المأساة او (التراجيديا) والشكل الثاني يمثل الجوانب السارة التي تهدف الى نقد المجتمع عن طريق الإضحاك ، ويعتمد على شخوص عاديين وعلى نهاية سعيدة ويسمى الطهية او الكوميديا .

(١) الاتجاهات الادبية الحديثة في فلسطين والاردن . ص ٢٥٢ .

الخطبة والمقال :

الخطبة : هي التعبير عما يتحرك في القلب عند مشاهدة امر مألوف .
عناصر الخطبة : الایجاز ، والموقف ، والفكرة الدالة ، المقالة تتكون من عنصر موضوع عام ،
وعنصر ذاتي يغلب ان يكون للمقالة بداية وعرض
الرسائل :

الرسائل قسما :

(٢) رسائل اخوانية

(١) رسائل ديوانية

الرسائل الديوانية تكون بين الدول بشكل رسمي وتتسم بالایجاز والوضوح والرصانة .

الرسائل الاخوانية تكون بين الاخوان وتتسم بالبساطة وعدم التصنع .

السيرة :-

هي ترجمة لحياة شخصية انسانية مشهورة ذات ميزة وتكون سيرة ذاتية وسيرة غيرية .

الرحسث :-

هو المرثى الكتابي الواعي لموضوع ما هدفه السعي لمعرفة الحقيقة وكتابتها .

الخطابة :-

تقوم الخطابة على الخطبة والخطيب والجمهور وعناصرها الاستمالة والاقناع .

اساليب النشر :-

الاسلوب ، طريقة الكاتب الخاصة في التفكير والشعور ونقل هذا التفكير والشعور في صورة لغوية خاصة .

والاسلوب الادبي يقسم الى اسلوبيين ، الاسلوب التمييزي والتقريری .

الاسلوب التمييزی :-

يقوم على العاطفة والخيال واللفظ ذي الدلالة والتركيب الخاص الذي يلائم فن الادب .

المعنى في الاسلوب التمييزی يكون مختلفيا وراء الخيال والاسلوب التقريری : يعني هذا

الاسلوب على الفكرة والعاطفة والخيال يكونان وراء الفكرة .

الاسلوب العلمي : للاسلوب العلمي شكلان

يعتمد على الرمز

(١) الاسلوب العلمي التجريبي

يقوم على الفكرة ويخلو الاسلوب العلمي باقسامه

(٢) الاسلوب العلمي الوصفي

من العاطفة والخيال .

عناصر العمل الادبي :

١- الافكار : وهي المنصر الاساسي في العمل الادبي وقد تكون صحيحة وقد تكون

خاطئة وتكون عميقة وتكون سطحية .

٢- العاطفة : هي الاستعداد والشعور النفسي الذي يتكون عند الانسان من مجموعة

التجارب التي تعربها ، العاطفة من العناصر التي تخلد العمل الأدبي على مدى الاجيال

٣- الخيال : هو تجسيم العواطف والافكار بواسطة الصور الموحية التي تقرّبها للقارئ او الصور الادبية هي العنصر الرئيسي للخيال .

المذهب الادبية في الادب الاردني الحديث :

الكلاسيكية : يطلق هذا المصطلح على الادب الاوروبي من اواسط القرن السابع

عشر حتى اواسط القرن الثامن عشر . فمنذ مطلع النهضة الاوروبية اخذ ادباء اوروسا

يدرسون الآثار الادبية اليونانية واللاتينية ويجدون فيها نموذجاً يستحق ان يحاكي واخذوا

يننون ادبهم على نماذج تلك الآثار ويحتكمون الى النظريات اليونانية القديمة .

خصائص المذهب الكلاسيكي :

أ- التوازن بين الفكر والعاطفة ، فالأدب الجيد في هذا المذهب هو الأدب الذي تحركه

العاطفة ويمسك بزمامه العقل

ب- غلبت الخير على الشر أو الواجب على الحب أو الاخلاق على العواطف .

ج- وضوح التعبير وجودته بحيث لا يستعمل الاديب الالفاظ الفصيحة بدون تكلف او تمنع

او زخرفة في الكلام

د- اهتمام المذهب الكلاسيكي بالادب التمثيلي لانه ، يقوم على الوضوح وغلبة الارادة ،

لذلك ركز انصار هذا المذهب قواعد انطلاقهم بثلاث وحدات وهي وحدة الموضوع ووحدة المكان

ووحدة الزمان .

يكاد الادب الاردني وحتى الادب العربي يخلو من هذا المذهب لان الادب العربي متصل

الحلقات من العصر الجاهلي حتى اليوم وهذه التسمية اطلقت على الآداب اليونانية

والادب الفريية . لذا من الصعب ان نطلق على الادب العربي القديم او ادب بدء النهضة

لفظة كلاسيكية ، وان كان فيه وجه للمشابهة من خصائص هذا المذهب لان هذه المشابهة لا

تتناول جوهر الادب العربي .

المذهب الروماني :

الرومانية مشتقة من كلمة رومانوس ، هي الكلمة التي اطلقت على اللغات التي تفرعت عن اللغة

اللاتينية القديمة ، وقد قصد الرومانيون بذلك المعارضه بين لغتهم وادبهم ، وبين اللغسة

والادب اليوناني ، الذي اختاره الكلاسيكيون هادياً لهم . اي انهم قصدوا بذلك رفض القيود

التي يفرضها الادب الكلاسيكي . بحيث ينطلق الى التعبير الحر .

فاذا كانت الكلاسيكية تنظر الى الادب على انه محاكاة للحياة او التطبيقية ، فان الرومانية

تنظر اليه على انه خلق وابداع ، لا يعتمد بالدرجة الاولى على العقل وانما على الخيال .

خصائص المذهب الرومانسي :

- ١- الانصراف الى الطبقة والانصراف عن المدنية لانها رمز الشر في نظرهم .
- ٢- لم يتعدثوا عن اشياء الطبقة من الخارج وانما افاضوا عليها من مشاعرهم .
- ٣- التركيز على الفرد وعواطفه
- ٤- اظهار اللون المحلي في اعمالهم .
- ٥- الادب عندهم خلق وابداع وليس محاكاة .
- ٦- يعتبرون الخيال ركيزة اولى في انشاء الأدب الجيد .
- ٧- ركزوا اهتمامهم في مجال الشعر الغنائي وقل اهتمامهم في مجال الشعر التمثيلي

والقصصي .

- ٨- عدم تكلف الالفاظ والتعبير والصناعة الفنية .
- ٩- كانت الرومانسية ثورة على معظم القيود ، التي كانت تراها الكلاسيكية ضرورية للأدب

الجيد .

الرومانسية في الادب الاردني :

- امتد هذا المذهب من الادب الغربي الى الأدب العربي في مطلع القرن العشرين ونستطيع القول ان بداية نهضة الادب في العالم العربي اعتمدت كل الاعتماد على المذهب الرومانسي . وكان معظم الادباء في الاردن في بداية النهضة يعتمدون على المذهب الرومانسي ولا سيما الادباء الذين هم قادة الفكر في الاردن كالايراني والناعوري .

المذهب الرمزي :

- ظهر هذا المذهب كرد فعل على المذهب الرومانسي ، لان الرومانسيين حاولوا ان يصفوا العواطف الفردية كما يحسون بها بينما الرمزيون يرون ان يعبروا عن وقع هذه العواطف في النفس صونا لها من الكشف والابتدال . فالرومانسية تؤمن بالتصريح والرمزية تؤمن بالتلميح .

خصائص المذهب الرمزي :

- ١- اتخذت الرمزية الرمز وسيلة التعبير عن العالم الخارجي والداخلي .
- ٢- الاهتمام بالتعبير عن اثر الاشياء ووقعها في النفس ، لا عن صور هذه الاشياء التي لا يمكن تحديدها بدقة .
- ٣- التبادل بين معطيات الحواس في التعبير عن وقع الاشياء في النفس .
- ٤- يلجأ الرمزيون احيانا الى الرموز الغامضة التي تشبه رموز الحل ، والتي لا تقوم على منطق ظاهري .

الرمزية في الادب الاردني الحديث :-

- كثر اتباع هذا المذهب في العالم العربي وكثر انصاره لا سيما الذين ينظمون الشعر وكتبوا الشعر الرمزي على غرار الشعراء في الغرب .

وفي الادب الاردني وجد انصار لهذا المذهب منهم الكاتب اديب عاسي في كتابه عود فلطمان
والكاتب فايز محمود (المبوريدون جدوى) والكاتب جمال ابو حمدان (احزان كئيبة
وثلاثة غزلان) .

المذهب الواقعي :

ليس للواقعية مفهوم واحد تستقر عليه وانما لها عدة مفاهيم فهم رجالها يرون ان الواقعية
هي تسجيل الواقع، كما هو بخيره وشره، وكل ما في الامر هو تصوير الانسان بالواقع الذي يعيش
فيه .

ومعهم يرون ان الواقعية تقوم على استقاء مادة الأدب من حياة عامة الشعب وتبني مشكلاته
وطرحها على الجماهير .

وتهتم الواقعية بالنثر اكثر من الشعر، فجا أكثر انتاجها في مجال القصة والمسرحية .

خصائص المذهب الواقعي :

١- ليس للواقعية مفهوم واحد وانما لها عدة مفاهيم .

٢- تقوم الواقعية على استقاء مادة الادب من حياة عامة الشعب .

٣- مجال الواقعية في القصة والرواية والمسرح اكثر من مجالها في الشعر .

٤- خفت الواقعية من دور الفرد واعطت من دور الجماعة وذلك في القصة والمسرحية .

٥- لغة الادب في الواقعية تقترب من واقع الاستعمال اليومي .

الواقعية في الادب الاردني :

للواقعية في البلاد العربية دعواتها وكتابها وانصارها، بحيث تغلب هذا المذهب على معظم

الانتاج القصصي والروائي والمسرحي، خاصة في هذه الايام وفي ادب الشباب الناشئ .

اما في الاردن فهناك عدد كبير من الادباء ممن يتخذون هذا المذهب طريقا لهم سيما

الادباء في هذه الايام ومن هؤلاء الادباء : محمود شقير، نمر سرحان، خليل السواحري،

انور ابو مغلي، يوسف الفزوز، فخرى قموار، احمد عودة .

المرحلة الاولى من مراحل القصة الاردنية :

تمهيد : تعتبر هذه المرحلة مرحلة البناء والتأسيس من حياة القصة الاردنية، وقد تأثر

كتاب هذه المرحلة بمدرسة خليل بحدس القصصية . (١)

وتأثرت هذه المرحلة بالنكبة الفلسطينية، ووعت احداثها، وانعكست صورتها على الادب

العربي .

كانت القصة في هذه الفترة رومسية بحتة، وقد اتخذت من المذهب الرومانسي مذهباً لها .

(١) الدكتور عبد الرحمن ياغي، ادبنا الفلسطيني الحديث، ص : ١٥٠

وقليل من كان يكتب في الادب الرمزي والواقعي كأمين فارس ملحس ووجد لون آخر من القصة وهو يمثل الاتجاه نحو الحكم والامثال ، كما جاء في كتاب (عودة لقمان) (١) للكاتب اديب عباس ، وهذا الاديب يقلد ابن المقفع في كتابه كليله ودمنة .

وهناك من نقل قصصا عن الهداوة ، كما فعل الكاتب روكس المزيزي (٢) وقد اف كتابا بعنوان (وطنية خالدة وازاهير الصحراء) جمع في هذا الكتاب حكايات عن الهادية من حيث العادات والتقاليد ونستطيع ان نقول بان هذه المرحلة والتي تعتبر المدرسة الاولى للقصة الاردنية هي من اهم مراحل تطور القصة الاردنية .

وقد لمع عدد كبير من القصاصين في هذه الفترة منهم : محمود سيف الدين الايراني ، وروكس العزيزي ، وعيسى الناعوري ، ومحمد اديب العامري ، يوسف العظم ، اديب عباس ، امين ملحس .

هؤلاء هم رواد المرحلة الاولى للقصة الاردنية ، وهم الذين ارسوا جذور القصة الاردنية الحديثة سوف ندرس حياة هؤلاء الرواد بالتفصيل محللين ادبهم واثارهم القصصية ومدى تأثير هذه القصص في المجتمع .

المرحلة الثانية : (١٩٦٠-١٩٧٥)

بدأت هذه المرحلة بتأثير من المرحلة الاولى في بدايتها حيث كانت تتبع رواد القصة في المرحلة السابقة ، واتخذوا المذهب الرومانسي مذهباً لهم .

وبعد نكسة عام ١٩٦٧ وهزيمة العرب ، واحتلال الضفة الغربية ، لجأ قسم من ادباء الضفة الى الاردن .

واصطبغ الادب في هذه الفترة بالادب الثوري ، بصور مأساة فلسطين ، وتشريد أهلها وضياعهم وتشنتهم .

ونرى الكتاب في هذه الفترة يهتمون بالمجتمع ، يمربون عن أحوال هذا المجتمع وعن طبقات المجتمع وهمومه ومشاكله .

اما بالنسبة للمذاهب الادبية المتبعة في هذه الفترة ، فكانت مذاهب متعددة فهناك طائفة من الكتاب ساروا على نهج رواد المدرسة السابقة متخذين الطابع الرومانسي مذهباً لا ديبهم ثم هناك طائفة من الكتاب اتخذوا المذهب الرمزي مذهباً لهم في الكتابة ، ثم هناك من كتب في الادب الواقعي والواقعي الاشتراكي وغيرها من المذاهب .

ومن اشهر رواد هذه الفترة : خليل السواحري ، فخري قعوار ، جمال ابو حمدان ، محمود شقير ، احمد عودة ، خليل قنديل ، مفيد نحلة ، يوسف ضمير ، ابراهيم العيسى ، ابراهيم الخطيب ،

(١) اديب عباس : (عودة لقمان) كتاب على لسان الحيوان .

(٢) روكس المزيزي : وطنية خالدة وازاهير الصحراء .

نمر سرحان ، مصطفى صالح ، انور ابو مقلبي ، فايز محمود ، عصام موسى ، محمد عدس .
اعلام المرحلة الاولى :
(١) محمود سيف الدين الايراني : (١)
آثاره الادبية :

- ١- اول الشوط مجموعة قصصية - مطبعة الفجر - يافا .
- ٢- مع الناس ، مجموعة قصصية - نشر دار النشر والتوزيع - عمان .
- ٣- ما اقل الثمن ، مجموعة قصصية - نشر دار النشر والتوزيع - عمان .
- ٤- حتى ينتهي الليل ، مجموعة قصصية ، نشر دار الكاتب المصري .
- ٥- الاردن واليونيسكو .
- ٦- اقصي من الشر والغرير .
- ٧- اصابع في الظلام ، مجموعة قصصية .

مع الايراني في قصصه :

المجموعة الاولى من انتاجه القصصي (اول الشوط) وكانت باكورة اعماله ، تضم هذه المجموعة سبع قصص وتتسم هذه القصص بالطابع الرومانسي ، وهذه القصص هي (سحابة موت) (نداء الهدن) ، (حياة انسان) ، (احتمال الحياة) ، (جراثيم) ، (رغيف خبز) . ولطابع هذه القصص جميعها طابعه رومانسي بحيث يجنح فيها الى الافكار اكثر من جنوحه الى ابراز الشخوص واما مجموعته مع الناس فتضم اثنتي عشرة اقصوة رومانسية ومعظمها تتناول الاحداث الفلسطينية المؤلمة ومن هذه القصص (هذاؤه الحديد) (ابو جزار ورجل رهيب) (هذا) (الارض الطيبة) (الخروج من الجنة) (الظلم) (قصة لم تتم) (شعره بيضاء) (ابو خميس) ولا تختلف هذه المجموعة عن المجموعة الاولى من حيث طابعها الرومانسي من حيث اهتمامها بالافكار على حساب اظهار الشخوص .

(١) حياته ونشأته : ولد في يافا عام ١٩١٤م ، واتم تعليمه الابتدائي والثانوي في كلية الفرير ههنافا واتقن اللغة الانجليزية والفرنسية بالاضافة الى اللغة العربية .
واصدر في حياته مجلة الفجر وكانت مجلة ادبية بحثية ، ولما حدثت نكبة ١٩٤٨ هاجر مع أسرته الى عمان واقام هناك حتى توفاه الله في شهر آيار عام ١٩٧٤ .
شغل في الاردن مناصب عدة ، منها مديرا وموجها في وزارة التربية والتعليم ، ثم مديرا للتعليم الخاص في الوزارة ، ثم مديرا لليونسكو ، ثم انتقل الى وزارة الاعلام ، وترأس مجلة افكار الادبية .

اما المجموعة الثالثة (ما اقل الثمن) فتضم هذه ست عشرة قصة وهي (قطار منتصف الليل) (الحب الاول) (الاعرج) (ملك الزجاج) (نحو النور) (ما اقل الثمن) (المرأة) (انسان لا جديد له) (كانت حلم حياته) (لماذا يفضب البحر) (الحاج مصطفى) نلاحظ على هذه المجموعة نضوج الكاتب واكتماله في الفن القصصي ولكنه لم ينحرف عن المذهب الرومانسي .

اما مجموعته (حتى ينتهي الليل) القصصية فتضم ست عشرة اقصوة ، ويقول الدكتور هاشم ياغي (١) ان من يقرأ هذه المجموعة ، كمن صعد السلم الى قصر جميل ، فاول مجموعاته اول الشوئ كانت بداية السلم والمجموعة الثانية مع الناس قد صعدت من السلم درجات عدة واما المجموعة الثالثة (ما اقل الثمن) تصعد بقية الدرجات ، ومن قصص هذه المجموعة (قيود) (ضباب) (مجنون بلدنا) (شاويش حارتنا) (نذير من السماء) (حتى ينتهي الليل) (زينة) (عيد الام) (اقوى من الموت) (اضرب رصاص) (جريمة قتل) (الاعرج) (جماعة الشياطين الصغار) يكتمل نمو الكاتب القصصي ويصل في هذه المجموعة الى النضوج فتراه يتجه الى ابراز الخواطر الشخصية واحلام اليقظة في القصة .

نموذج من قصصه ، (قصة ملك الزجاج لمحمود سيف الدين الايراني :
أجير فرن . هكذا نشأ عهد المعطي اول ما نشأ ، ثقوا باني اقول الصدق . ولماذا اكذب واخفي الحقيقة ؟ ان عهد المعطي نفسه ، اذا سئل لا يمكن ان ينكر .

لقد كان اجيرا في فرن وكان زميلي . كنا نعمل معا منذ الفجر . . واحيانا قبل ان يصيح الديك . . ونظل نعمل النهار كله وبعده ساعات الليل . . واين كنا ننام ؟ في الفرن نفسه في ركن منه على قش الوقود . وهذا ايضا صحيح . لم يكن لنا مأوى في المدينة الكبيرة وكيف يكون لنا مأوى ونحن ضائعان في هذه الدنيا . . كنا نلقي بجسدنا المنهوكين على قش الوقود وسرعان ما نغفو واحيانا كنا نتحدث في الظلام . . قبل ان نستسلم لسلطان النوم .

قال لي مرة وهو يفالب النعاس : (انت احق) . . و (فاقد الهمة) وقلت انا له : وماذا يمكنني ان افعل لكي لا اكون فاقد الهمة ؟ وقال هو : (لا تعد الا رغبة كلها للمعلم) انت تحمل العجنت من بيوت الحي الى الفرن وتخبز العجنت فتعيدها الى اصحابها ، وكل بيت يعطي لك رغيفا ، وهذا الرغيف لك . . ولكنك تطيع المعلم وتمطيه الا رغبة كلها . . يكفي ان يأخذ بعضها ويعطيك بعضها . . (وقلت) : كيف يرضى المعلم ؟ (فقال) : يجب ان يرضى . . انا افعل ذلك . . اقول له نصف الا رغبة لك ونصفها لي . . هذا حق . . ويصيح المعلم . . ويلعنني ويصق في وجهي . . نار الفرن الذي يقف امام فوهته دائما تجعله يتصبب عرقا . . وتحمل دماؤه تغلي في عروقه . . ولكنني لأخاف ، ولماذا أخاف ؟ نصف الا رغبة لي . .

(١) الدكتور عبد الرحمن ياغي ، أدبنا الفلسطيني الحديث ، ص ١٦٢ .

هذا حق . . . ومرة أخذ نصف الا رغفة ، فامسح بصاقه بطرف كمي ، ومرة لا أنال شيئاً . . .
ولكني لا أترجع . . . انت أحق كما قلت لك . وفاقد الهمة . . . خذ سيكارة ، . . .
وكنت امد يدي في الظلام فأتناول السيكارة . . . وأروح أدخنها وكلمات عبد المعطي تلن فسي
أذني : (أحس . . . وفاقد الهمة) وكنت أرى في الظلام بصيص لفافتة وافزع ايما فزع ان يتوهج
هذا البصيص بقوة ، فجأة فقد كان يخيل ألي انه يستل مع انفاس سيكارتة روح المعلم صاحب
الفرن . وينفثهما مع الدخان .

وكان عبد المعطي فتى نحيل ، أعرج ، وشاحب اللون . . . ولكن عينيه كانتا تومضان لم يكن سمينا
مكتنز اللحم ، كثير الشحم كما هو الان . . . ثقوا بأني اقول الصدق . . . ولماذا أكذب واخفي الحقيقة
هل كنت اخشى عبد المعطي ؟ ربما . ولكني بكل تأكيد كنت أعجب به . لا بد اني كنت اهابه
غير اني كنت اتنى ان اكون مثله ، ذلك اني كنت احس بأني ذليل مهين وان جسدي يرتعد
وعظامي تتخلخل ولساني ينمقد في حلقي اذا انتهرني المعلم . شعرت يوما بأني مريض ،
الا تمرضون انتم ابدا ؟ انا اعرف اني مريض اذا فقدت شهيتي ورحت أتقيأ ، وناداني المعلم
وقال : (قبل ان تنام امسح القرن جيدا . . . ونظف الجورة . . . لقد آن لك ان تتعلم) وتحننت
ونظرت اليه بعينين ضارعتين وقلت : (انا مريض . . . مريض جدا) وهدجني المعلم بنظرة غاضبة
كاوية كئار الفرن ، وقال : (يا ولد . . . يا كلب يا هامل . . . متى كنت تخالفني ؟) .

واحسست الا رشي تمهد تحت قدمي ، وتصب العرق البارد من الجراحي ، وأظقرت وامتلئت لا رادته
وزهب هو . . . ومسحت انا الفرن ، ونظفت الجورة وكنت احس كأن عينه لا تزال تحمق في وجهي
وصوته الاجش يقول : يا ولد . . . يا هامل .

هذا ما حدث ، وما كان يحدث دائما . . . وترك عبد المعطي الفرن . . . وبقيت انا . . . قال لبي
وهو يلم أشياءه والظلمة البالية : (انا اعرفك . . . جيدا . . . لن تفاد هذا الفرن اللعين
ابدا ، ستميش وتموت فيه . . . لانك فاقد الهمة ، ثم مضى . وشعرت انا بالارتياح . . . شعرت كأن
شيئا ثقيلاً يهشم فون صدري قد أزيل او تلاشى . . . ولم يعد يضغط على قلبي . . . صدقوني
هذه هي الحق يقة ارجو الا يساوركم ريب في قلبي . . . اني ارى في عيونكم انكم لا تصيب قـون . . .
ولماذا ؟ ألا نبي بقيت أجير فرن . . . واصبح هو عبد المعطي ، يدعوه نفسه ، ويدعوه الناس (ملك
الزجاج) سأروي لكم قصته ، قصته وقصتي انا واحدة . وقد كان ممكنا ان اكون انا ملك الزجاج ،
ان اكون ذلك الرجل الذي يتأفف ان يسير ويضع في اصابمه الخواتم الذهبية ، ويميل طربوشه
ويحييه الناس باحترام . . . كان هذا ممكنا ، لولا اني كنت كما قال هو : (فاقد الهمة) . . .

اين ذهب عبد المعطي بعد ان ترك الفرن ؟ . . . رأيتة مرة يحمل حمالا . كان يصعد فسي
طريق الجبل وكفاه مثلتان بسلة كبيرة فيها خضر وفاكهة شتى ولحم وطبخ . وضحك ان رأيتني
وقال وعلى شفثيه ابتسامة باهته كانت تناقش توامش عينيه الغائرتين : (ما زلت أجير فرن ، انا

أعريف ذلك . . لانك فاقد الهمة) ومضى يهككه حمله الثقيل . ومرت ايام ربما كانت اسابيع او شهورا ، لا أدري ورأيتة يبيع المثلجات والمرطبات . . في الصيف . . كان يقف مزهوا السي جانب الاوعية الزجاجية الممتلئة بماء الليمون المثلوج وعصارة اللوز . . بدا لي رشيقا ، خفيف الحركة يسقي الناس وهو يضحك وخيل الي انه لم يعد أعجف نحيلًا متزايلا الخليلي ، كان جسمه قد اخذ يمتلي ، وفارقه شحوب وجهه .

ولمحتني من بعيد ، فمد ماعده وصرخ ينادي بملء فيه : (تعال . . تعال) ولم يسعني ان اتجاهل نداه . حاولت ان امضي في سبيلي . . وكأنني لم اسمعه . . ولكن صوته كان امرا ملحا وكان لا بد ان الهني نداه وما كان في مقدوري ان افعل غير ذلك فهل كنت أخشاه ؟ ربما ولكنني كنت بكل تأكيد معجبا به ، واثموني لو كنت مثله . صدقوني لا يخامرني في ذلك شك . قهرني عهد المعطي علي يدي وهزني بعنق وقال : (والله سلامات) وملاكها كاملا من عصارة اللوز البيضاء المثلوجة وقدمه لي وقال : اشرب . اشرب والله سلامات . . ما زلت في السفن انا اعرف تماما . لن تتركه . لانك فاقد الهمة وشربت عصارة اللوز ومضيت . . وبدأت احس ان عهد المعطي اني لست كما يتوهم فاقد الهمة . . وحاولت مخلصا ان اغادر الفرن . وكسان ذلك عثا وقلت في نفسي مرة اخرى : (ليذهب عهد المعطي الي جهنم) وعلى الايام اصبحت ابن صنعة . . وغدت فرانا ماهرا وأمكن للمعلم ان يستريح ، كنت اصف الرغفان على (المطرحة) الواحد وراء الاخر بسرعة وخفة والقيها في داخل الفرن المتوهج ببراعة فلا يحيد رغيف . . . ويمتلي الفرن بالرغفان صفوفا متوازية . . ويؤج اللهب ويروح ينضجها فتتنضج رويدا رويدا ثم يحمر سطحها فاسحبها بالمطرحة دائما وخفة بارعة دائما من الفجر حتى يعد الفروب ، لا استريح ابدا . اجل لم اعد اجيرا يحمل المعجنات . غدت مساعدا للمعلم وكنت اتركه في ركن ما هادئا ، يعد سماله الشديد ومصاقه الكثير ، وذات يوم ارتديت سروالي الجديد ، ووضعت طربوشي على رأسي وألمته الي اليمين قليلا وانطلقت لا رى عهد المعطي . . ولكنني لم اجده يبيع المرطبات في منطف حارة (الدباغين) وقال لي جاره الفوال : (عهد المعطي اصبح بائع زجاج في السوق الكبير ، ابحت عنه ولفه سلامي) وانطلقت الي السوق الكبير . . . ووجدت عهد المعطي . . .

كان واقفا بجانب دكانه الواسع ، وكان الزجاج من كل شكل وطراز مركوما من الارض حتى السقف وكان عهد المعطي يرتدي بدلة شمينة ، وفي اصابعه خواتم براقه من ذهب وطربوشة مائل جدا على رأسه ومند يله الحر يري الاحمر يتدلى من جيب سترته وهذاؤه اسود لامع . . وكدت انكره . كان معتلي الجسم نفرت له كرش كبرية وانتفخ خداه واستقام له شا ريان لا ينفك يرمهما باصبعيه ولما رأني مقبلا أشاح بوجهه ثم تشاغل بأمر ما بدا لي كأنه يريد ان يتجاهلني من اكسون ،

انا ؟ انني زميله القديم أجير الفرن وقد كان هو أجير ايضا ، أجير مثلي تماما . . فلماذا يشيح بوجهه عني . . لماذا يريد ان يهرب ، الا يراني ؟ غير اني تقدمت بسرعة لم اتح له فرصة الهرب . . واضطر ان يقف وان يلتفت وان يتكلم الابتسام كانت ابتسامة ثقيلة ، باردة كريهة ، وقال بلمهجة فاترة : (هذا انت الا تزال اجيرا في الفرن انك أجير ولا شك) واحسست هذه المرة انه اهانني اهانة بالغة جارحة ، اهانة بلغت قرارة نفسي ، ورحمت اتفحصه من اخمص قدميه حتى قمة رأسه ، ومن قمة رأسه حتى اخمص قدمية . . اهذا هو عبد المعالي زميلي القديم الا أجير ؟ وارتجفت . . ارتعد بدني كله . . شتان ما بيني وبينه . لقد كان اجيرا لا ريب في ذلك البتة الا انه يخيل الي ان ذلك كان في حلم ، حلم بعيد ، قديم لا أكاد اتذكره الا بجهد جهيد . . ومحركة عفوية رفعت رأسي الى السماء ولكن الالفة الحمراء التي تزين اعلى دكانه صدمت عيني . . كان الخط كبيرا ضخما اسود ، على ارضية حمراء زاهية اللقب اولاً " ملك الزجاج " ويليه الاسم : " عبد المعالي رجب " اجل هكذا بالخط العريض لا يمكن ان اخطي " وهل ممكن ان اخطي ؟ كانت الحروف المريرة ، عريضة جدا وقد استطعت ان اقرأها بسهولة وانا في العادة اقرأ الكلمات والمعانيات في كثير من العسر . . ويعود الفضل في هذه الرواسب التي لا تزال عالقة في ذهني للكتاب ، كتاب قريننا ، قراءة متمسرة كما ترون ولقد نسيت اشياء كثيرة من ذلك الزمن ، الشيخ بركات نفسه لا يلوح في خيالي الا صورة باهتة ولكني لا ازال اراه يحمل سبحته ولا ينفك يد يربها باستمرار ويسعل ثم يمد يده الى جيبيه ويخرج علبه (السعوط) ويفتحها برفق ويأخذ شيئا منها بين انملتيه ويروح ينشق في المنخر هذا مرة وفي ذلك مرة ، وبعد هذا يسوى عامته ، ويتنحج ويقول لا حدنا : " اقرأ يا ولد . . اقرأ في لوحك " هكذا دائما . . . حتى قريننا نفسها فقدت الكثير من معالمها في ذهني . . بعد ان ارتحلت الى المدينة الكبيرة ولكنني اذكر تماما حوش الدار التي كنا نسكنها . كانت جدرانها من اللبن الترابي المتداعي ، وكان الحوش موحلا دائما وفيه بضع دجاجات هزيلات قزعات وجدى مربوط الى خشبه الباب ، وحول دارنا ازقة ضيقة ودروب متعرجة وعرة تسير فيها صاعدا مرة وهابطا مرة . . وتملأ الجو روائح (الطوابين) وروث البقر واحال الأزقة . . انكم تدركون هذا تماما ، وتستطيعون ان تتصوروا الطفل الهزيل القدر الحافي القدمين الذي لا يستر جسده غير قميص مهلهل . . لقد كنت انا ذلك الطفل لا ريب في انكم تصدقون انني اقول الحقيقة كاملة لا اخفي منها شيئا . وقرأت الالفة الحمراء الضخمة ووجدتني اسير كالنائم لقد تركته ومضيت . سرت لطويلا في غسير اتجاه . سرت في الازقة والدروب والحارات والشوارع الكبيرة المائجة بالخلق . وكنت كمن يحلم . سرت وسرت ساعات لطويلا وكنت قدماى واخيرا رأيتني عند باب الفرن قد دخلت والطفأت السراج ونمت .

لقد مارس عبد المعطي تجارة الزجاج وعشر وخادع وتفاهم مع وكلاء شركة التأمين ، وكان يتقاضى مبالغ جسيمة عن خسائر وهمية من زجاج كثير يتحطم . . . وزجاج كثير يفقد . . . وكان المال ينصب في جيوبه . الناس كلها قالوا ذلك ، ألم تسمعوا انتم به ؟ وأصبح عبد المعطي معروفا ، وأصبح وجهها وصار يبدل الخواتم الذهبية على هواه ، وينقلها بين أصابع يديه الاثنتين . كل من في البلد غدا يعرف عبد المعطي ، وكل من في البلد كان يقول " ملك الزجاج " وكان هو يضحك ، يفرق في الضحك ويهتز كرشه من الضحك ثم ييرم شاربيه ، ويطلق في النهاية قهقهة طويلة ، عريضة عميقة جدا كأن لا نهاية لها . . . هل كان عبد المعطي أجير فرن . . . هل كان عبد المعطي أجيرا مثلي أنا . . . وبنام على القشر ، ويأبى الا أن ينال نصف الارغفة . . . ويصق المعلم في وجهه فيمسح البصاق بطرف كفه البالي . . الان انهم لماذا لا تصدقون . . . لماذا تنظرون أليّ بعيون ترميني بالكذب والبهتان ، وتكاد تضحك من سداحتي . . . وغفلتي . . . ولكن ثقوا بأني اقول الصدق . ولماذا أكذب واخفي الحقيقة .

مهلا بقيت حقيقة واحدة لم اقلها لكم ، وستصدقون الآن دون ريب . لقد استفتت ذات يوم فوجدتني زوجا لمحاسن ابنة المعلم . . . صاحب الفرن . . . محاسن . . . الحولاء . . . ذات الأنف الأجرد ، واللسان الذي يدور في حلقها ، ويدور دون انقطاع ، ويكاد يعريني اسام عيني ، وامام الناس لشدة غرامها بتجريحي واهانتي . . انها في ساعات غضبها الكثيرة تبصق في وجهي كما كان والدها يفعل تماما . . انها ابنته . . على كل حال هكذا كبلني المعلم الى الابد واحكم وثاقي بالفرن . . وبالبيت معا ، وغدا هو يجلس بالباب على كرسيه الصغير المصنوع سطحه من القشر المجذول ، ويدخن شيشته ، ويحدث المارة يروى فكاهات وقحة . . . ويسمل بشدة ، وأنا في الجورة وأمام وجهي فوهة الفرن ، حيث تتراقص السنة اللهب ، واتصّب عرقا يسيل من رأسي ووجهي وأطرافي ، والمطرحة بيدي . . والرغفان تدخل وتخرج ، دائما أبدا دون ونا . . صدقوني انها الحقيقة كاملة . . بجميع حذافيرها .

التحليل :

انظر في قصة الأيراني ، تجد أن خيوطها مستمدة من المجتمع ، ففي المجتمع عمال أفران وياثعون متجولون ودكاكين زجاج . وعلى الرغم من ان خيوط القصة مستمدة من المجتمع ، فان القصة في تأليفها يمكن ان تكون في المجتمع ويمكن الا تكون ، فخيال الكاتب هو الذي ربط تلك الخيوط وهو الذي ركب أحداث القصة حتى بلغت ما بلغت .

وفي القصة عاطفة ، وفيها افكار ، والم عاطفة والا فكار تتوارى وراء احداثها وخلف الحوار ،
فالكاتب لم يتخير شخصي قصته عثا ، ولم يجعل بطلها من عمال الافران عثا ، ولم يجعل عمده
المعطي متجرا في الزجاج عثا ايضا .

راوي القصة وعمد المعطي عاملان في مخبز ، وهذا يعني انهما يعملان في قوت الشعب ، وما
داما يعملان في قوت الشعب فان من حقهما ان يعيشا عيشا رضيا .
عمد المعطي يتجر في الزجاج ، والزجاج اذا ما وزن بالخبز يعد ترفا ، ومع انه يعمل في مادة
المترفين ، فانه يحيا موسعا عليه في الرزق ، هذه مفارقة .

وصاحب الفرن يحرم راوي القصة وعمد المعطي من العيش الكريم ، فيقوم صراع يمثل الصراع بين
العامل وصاحب العمل .

ويشق عمد المعطي طريقة فيصبح ملك الزجاج ، ويفتني بالغش والتحايل على شركات التأمين ،
ويظل راوي القصة مقيدا بالفرن ، ويبقى نكرة ، ولذا لم يذكر الكاتب اسمه وجعله يردد بسين
الفينة والاخرى : صدقوني : فالناس لا يصدقون الفقراء .

ويربط الكاتب بين حياة راوي القصة في القرية وحياته في المدينة ، وهو في هذا الربط يعطي
صورتين قائمتين للمدينة والقرية (العامل والفلاح) .

(ولكنني اذكر تماما حوش الدار التي كنا نسكنها ، كانت جدرانها من اللبن الترابي المتداهي
وكان الحوش موحلا دائما وفيه بنوع دجاجات هزيلات وفزعوات وجدى مربوط الى خشبة الباب ،
وحول دارنا أزقة ضيقة ودروب مفتوحة متعرجة وعرة تسير فيها صاعدا مرة وهابطا مرة
وتملأ الجورائحة الطوابين وروث البقر واوحال الازقة) .

في القرية فقر ، والفلاح فيها يعيش عيشة ضنكا . وفي المدينة فقر وصراع طبقي ، ووصولية ، والوصولية
تكون بالغش والخداع . وفي القرية والمدينة نظام رأسمالي .

فالكاتب يقول اشياء كثيرة ، وهو لا يقولها صراحة ، فالقول الصريح ليس من اسلوب القصة ، ولا
من الاسلوب التمهيدي .

وما دام شخصي القصة يتحركون في عالم الواقع ، فان اللغة التي يتخاطبون بها لا ترتفع كثيرا
عن الواقع اللغوي ، وهذه سمه اسلوبية غلبت على قصص الكاتب : فشخصي قصصه تتكلم بلغة تقترب
من لغتها في الواقع ، ويقوى القارى على قراءتها معرفة ، فصيحة دون ان يحس بنمو ويقدر
على قراءتها مسكنة عامية دون ان ينأى عن لغة التخاطب الواقعية .

وتلاحظ ان جمل القصة القصيرة تلائم الحديث المؤلف ، وتوفر للقصة حركة سريعة غير ان الحركة
التي توفرها الجمل الطوال .

وتلاحظ استفلال الكاتب لا سلوب الا يجاز بالحذف، كقوله : (نصف الا رغفة لي . . هذا حق . . ومرة آخذ نصف الا رغفة . . وامسح بصاقة بطرفي كمي . . ومرة لا انال شيئاً . . . ولكني لا اترجع . . انت احمق . .) كما قلت لك وفاقد المهمة . خذ سيكارة .
وليوان الكاتب وضع الجمل المحذوفة، فقال : ومد عبد المعطي يده في جيبه واخرج عليه السجائر، واخرج منها سيكارتين وضع احدهما بين شفتيه، ومد يده بالآخرى قائلاً : خذ سيكارة ، لضاعت المفارقة بين قوله : (انت احمق . . وفاقد المهمة، وقوله خذ سيكارة .) .

عيسى الناعوري : (١)

لقد بعثر عيسى الناعوري جهوده الادبية، فهو شاعر ينظم الشعر، وكاتب يكتب القصص وروائي يكتب الرواية، وناقد ومترجم للادب الايطالي والفرنسي والانجليزي .

ولكن لا نستطيع ان ننكر بان له الهاع الطويل في مجال القصة .

مع الناعوري في قصصه : مجموعة طريق الشوك (٢) تضم هذه المجموعة اربع عشرة قصة

اطلق على آخر واحدة منها اسم طريق الشوك وهذه المجموعة هي : (تمثال الضحية)

(طفولة معذبة) (بائع الصحف) (عيد الطفولة) (مجاهد قديم) (الشيخ سعد الله)

(يوم الوقفة) (حمال) (رسالة من بعيد) (مأتم العريس) (الشاعر الاعمى) (ليلة

في باب الحرم) (طريق الشوك) جميع هذه القصص تمالج القضية الفلسطينية ووضع

ال فلسطينيين وما حل بهم من آلام واحزان ما عدا قصة (الشاعر الاعمى) فانها تتناول احداثا

من يادية الاردن .

واما طابع الكاتب فهو رومانسي بعث .

اما مجموعته القصصية (خلي السيف يقول) (٣)

فهذه المجموعة تتألف من تسع اقصيص ومعظمها يتناول احداث النكبة الفلسطينية وهي

(فلاح القرية) (المحاضرة الاولى) (خلي السيف يقول) (اعز من حياته) (انها يهودية)

(نهاية) .

وتختلف هذه المجموعة عن سابقتها الاولى فالكاتب يكتب في الاتجاه الرومانسي كغيره من كتاب

هذه الفترة .

(١) سبقت ترجمة حياته وذكر مؤلفاته في صفحات هذه الرسالة .

(٢) مجموعة طريق الشوك ، نشر مكتبة الاستقلال - عمان .

(٣) عيسى الناعوري ، خلي السيف يقول ، نشر مكتبة الاندلس .

مجموعته (عائد الى الميدان)

تضم تسع اقصيص منها (عائد الى الميدان) (فسدوى) (مذكرات والد) (وصفة طيبة) (منصور بيك) (فارس عربي) (استغراق) (تومبولا) (سقطة في حلبة الرقص) هذه القصص متنوعة الاهداف ، منها ما يخص النكبة الفلسطينية ، ومنها القضايا العربية المعاصرة ، ومنها قضايا انسانية ، وكانت هذه كغيرها من المجموعات الاولى رومانسية بحتة .

حكاي جديدة - وتتألف من القصص التالية :

الى آخر العمر - ليلة العيد - المخمن - أقزام - ليالي الهياذر - الحطب الا دمي - الحقل القاتل - اليتيم - المعلم المدني - الجنينة - معمر بوابير الكاز - غدوة القم - اكبر ممن الالم - كريستينا - كأمى الثبيذ - المرضة - في المستشفى - ثورة مفاجئة - جمال تحسنت الا نقاي - القرية الصامتة ،

مختارات من قصصه " أكبر من الألسم "

سأحكي لك الحكاية كما وقعت : لا أزر الحوادث ولا اخترعها ولماذا بالله ازر واخترع ، وفي الحقيقة احيانا ، ما هو اقوى من الخيال واروع من كل اختراع ؟ !

المراسلات بين لمياء وصد يقتها السويدية برتنيغر متواصلة منذ مدة طويلة ، في كل شهر تتلقى رسالتين او اكثر من الاخرى ومع الرسائل تتبادلان الهدايا الصغيرة بالبريد ، ولم يتح لهما ان تتلاقيا ، فاحداهما في عمان والثانية في السويد ، انها صداقة قلم ، وقد جاءت صدفة برتنيغر بعثت رسالة من السويد الى احد البنوك المحلية تبحث عن فتاة او فتى من الاردن لمراسلتها . علمت لمياء بالا من احدى موظفات البنك فاخذت العنوان واجابت عليه . شيئا فشيئا تطورت المراسلة الطارئة ، وتحولت الى ثقة متبادلة ، محمودة ، استمرت تنمو مع استمرار المراسلة .

سنتان او نحو ذلك مرتا على بدء المراسلة . ثم فجأة انقطعت رسائل برتنيغر دون سبب تعرفه لمياء . وكتبت اليها لمياء اربع رسائل خلال ثلاثة اشهر ، فلم يصل اليها اى جواب .

عجيب : ايكون في احدى رسائل لمياء ما ساء صد يقتها السويدية دون ان تعلم ؟ ام ترى الصديقة غادرت السويد في جولة طويلة لم تصدقها بعد ؟ .

ولكن حتى لو صح الامر الثاني ، فليس في السفر ما يمنع من ان تبحث ببطاقة من احد الاماكن التي تزورها : اشارة قصيرة تنهي بانها في رحلة . ان الاسفار فرصة ممتازة لمواصلة ارسال البطاقات الجميلة من اماكن متعددة تحمل عبارة تحية ، او تعبير عن الغبطة برؤية اماكن جديدة ، او بالا خلال الى الراحة في مصيف جميل او مشى بهيج .

لم يحدث شي من هذا . فداخل لمياء القلق الذى لا تعرف له تفسيراً ، انها تود ان تعرف

السبب في انقطاع رسائل ضد يقتها :- قد تكون مريضة . . . ولكن المرض ليس عائقا من كتابة
سطرين على بطاقة ، الا ان يكون . . . لا سمح الله
وفجأة بعد اكثر من ثلاثة اشهر ، تلقت لميا طردا صغيرا بالبريد انه من السويد ، مسن
برتينغر . . . فأسرعت تفتحه قبل ان تنادى مكتب الطرود وكانت دهشتها كبيرة حين رأته في
داخلة شريطا صغيرا فقط ، ليس معه اي كلمة مكتومة تدل على ما فيه . وفي البيت وضعت لميا
الشريط على المسجل وادارته :-

كان الشريط مفاجأة لا تدور في خيال . . . كان صوت برتينغر نفسها يتحدث بهدوء واطمئنان
غريبين وبعبارة قوية مشجعة - وهذا أغرب ما فيه :- على الرغم من ان ما يرويه كان يمزق القلب
الما . . . في نصف ساعة كاملة . على وجهي الشريط ، روت برتينغر الحادث الاليم الذي وقع لها .
"عزيزتي لميا !

معذرة اذا لم اكتب اليك منذ شهر . . . انا ليم اعد استلح الكتابة ، فقد فقدت عيني
الاثنتين . . . وانا الان احثك من المستشفى على هذا الشريط ، ورأسي غارقة كلها باللفائف
والاربطة ، بعد ثلاث عمليات جراحية اجريت لي في العينين في محاولة لرد البصر . . . يقول
الاطباء انني سأستعيد نظري بعد عملية اخرى او عظمتين . وانا الان انتظر ."

الصوت المتحدث هادي هادوا عجبيا . . فتاة في عمر الورد . . . عشرون ربيما فقط
تفقد العينين معا ، ورأسها غارق كله في الاربطة واللفائف ، ومن سرير المستشفى تسجل
رسالة غريبة الى صديقتها العربية ، البعيدة عنها آلاف الاميال ، لتعذر اليها عن التأخر في
مراسلتها ، واكثر من ذلك ، لتشجعها . . نعم ، تشجعها . وتبحث في نفسها الامل . . . تنقل
اليها الاطمئنان النفسي الغريب المدهش الذي يتحدث به ، هما مصدر البكاء اكثر من المساة
المفجعة نفسها

ويستمر الصوت يقول بهدوءه العجيب ، وثقة نفسية مذهلة :-

"لقد وقع الحادث ان كنت مع خطيبي في رحلة للصيد بعيدا عن مدينتنا ، ونحن نهرب
الصيد ونمارسه بشغف . وقفز امامنا ثعلب ، فحاول خطيبي ان يأخذ البندقية بسرعة ويطلق
عليه النار ، ولكنه بدلا من ان يصيد الثعلب انزلت ناره في وجهي ، فحطمت نظاراتي " داخل
عيني " وملأت وجهي بالرش المحترق كل زجاج النظارتين تحطم داخل عيني ، ان خطيبي
يعيدني . وانا كذلك اعده ، وقد اصيبت يداه هو ايضا بحروق الرش . . . ومنذ ثلاثة اشهر
وانا اخضع للعملية تلو العملية والاطباء يؤلمونني

وعيناي في ظلام دامس مستمر ورأسي كله في الاربطة واللفائف البيضاء . واما تسليمتي الوحيدة
فهي الاستماع الى الموسيقى التي تحطني الى عواصم مضيئة لا تراها عيناي

الرسالة المسجلة لا تزال ماضية في الحديث بصوت هادي غريب، ليس فيه حزن ولا امتعاش ولا شكوى . . . والدموع تنهمر من عيني لمياء وعيون من يستمعون معها الى الرسالة الاليمية نصت ساعة من الحديث المسجل على وجهي الشريط، ومن دموع المستمعين . وتتلكن الخيالات بعيدا بعيدا، الى السويد، وتتخيل الجلسة الحلوة بين الخاليين، وتلاحق قفزة الثعلب السريعة، وحركة الصياد الخائب التي اصلادات وردة يانعة حبيبة بدلا من ان تصرلاد الثعلب ثم اذا العينان الجميلتان تمثلتان بالزجاج المحللم، ثم يختفي النظر، وتصبح الدنيا سوداء في العينين اللتين كانتا الى ما قبل لحظات تفيضان نورا ومرحا وحيوية . . . ما اشد فطاعة المنظر !!!

وتمضي الرسالة المسجلة:

" لقد وصلت منك رسائل متعددة خلال مدة اقامتي في المستشفى، كلها حملها الي والدائي من مدينتنا . . . ولا شك قلقة من جراء عدم ردي عليها كل هذه المدة . الواقع ان رسائك كلها قد قرأت علي، وكنت أتألم لانني لم اكن استطيع ان اكتب اليك، ولا ان ادعك تعرفين ما وقع لي لقد كان يضايقني جدا ان تكتبي وتكتبي وانا لا اجيب، حتى اشارت علي احدي المرضيات اللطيات باللجوء الى هذه الطريقة :- الرسالة المسجلة على شريط . . . وقد وجدت لها فكرة ممتازة . انها الوسيلة الوعيدة التي استطيع بواسلتها ان اتصل بك، واحكي لك قصتي كلها، راجية ان تعذريني . . . ايتها العزيزة . . . وتغفرلي ! . . .

واسرعت لمياء تكتب اليها من بين دموعها الحارة، تواسيها وتتمنى لها الشفاء العاجل، وتعرب لها عن تأثرها الشديد لهذه الحكاية المفجعة.

وجاءها جواب مكتوب بعد ايام . الرسالة بخط احدي المرضيات تطلب من برتينغر . ولكن المرضية اخافت اشياء لم تكن لمياء تعرفها عن صد يقتها .

تقول المرضية ان اكثر ما يشغل بال برتينغر انها لم تعد تستطيع ممارسة الرسم . فهي من اشهر الرسامين في السويد، ممن تكتب عنهم الصحف باعجاب وكثير من الثناء . هذا ما لم تشر اليه برتينغر قبل في رسالتها الى لمياء .

ورسالة اخرى جاءت بعد مدة قصيرة، وقد كتبتها مريضة زميلة لبرتينغر في المستشفى كانت قد تماثلت الى الشفاء، وتوشك ان تغادر المستشفى .

اما الرسالة الثالثة بعد ايام اخرى، فقد كانت مكتوبة بخط برتينغر نفسها، وقد بدأتها بقولها : " وخرجنا من جديد يا لمياء " ثم تقول " سأكتب اليك رسالة قصيرة فقط هذه المرة لان الضوء يتعب عيني كثيرا . منذ ثلاثة ايام فقط استرحت من اللقائف . انني ارى جيدا، ولكنني لا استطيع التصريح وقتا لويلا للضوء مهما يكن نوعه، ولهذا تغطي عيني نظا رتان كثيفتا السواد، قد

يكون منظري الان غريبا ، ان الوقت متأخر الان واشعر بنعاس شديد ، واحس بان افضل مكان في الدنيا هو السرير . سأستريح الان واستسلم الى النوم العميق

ثم تضيف الرسالة سأسأفر خلال الصيف القادم الى اسبانيا لقد تعبت من طول الاقامة في المستشفى ، واشعر بحاجتي الى الشمس والى هواً جديد في مكان آخر . . . ساكتب اليك في فرصة اخرى متى اعتادت عيناى الضوء اكثر قليلا

ما اجمل هذه الرسالة المفاجأة ! ! انها بخل برتينغر نفسها هذه المرة ، الخط الدقيق الناعم الذى اعتادته لمياء طوال عامين تقريبا . . . صحيح انها رسالة قصيرة جدا .

روكس العزيزى (١)

مختارات من قصصه :

ما اسهل القتل :

قال محدثي : " كانت الساعة الحادية عشرة ليلا ، وانا بالحارس يقرع الباب بعنف .

فتحت الباب ، واذا الرجل يرتجف ، ويتوقع علي متوسلا أن أعيره سدسي ! . . . قلت :

- ما تصنع بالسدس ؟

- ادافع به عن نفسي ، لاني اخشى القتل . هذا ما اجابني به الحارس !

ابتسمت ، وقلت : " اتظن القتل سهلا الى هذا الحد ؟ " .

اجاب الرجل باضطراب عميق :

" القتل وأي شيء أسهل من القتل ، يا سيدي ؟ والى أي شيء يحتاج القتل ؟ ساعة غفلة ،

حماقة لحظة ، كافيته للقتل .

أسمع ، لا خبرك قصتي : " كنت في السابعة عشرة من عمري ، يوم احببت ابنة عم لي ، في مثل عمري

كنت اراها فاشعر بان قلبي يضطرب في حنايا ضلوعي ، ووجهي يحمر ، ولساني يتلعثم ، وكانت

تغيب ، فلا ارى الا خيالها ، ولا افكر الا فيها ، كانا الدنيا كلها قد تقمصت في شخصها ، او

(١) ولد في مدينة مادبا سنة ١٩٠٣ ، وهو من عشيرة (العزيزات) المعروفة بمساندتها

للفتح الاسلامي .

امضى في تعليم اللغة العربية وآدابها ستا وخمسين سنة في الضفتين .

عضو في ثقاف نفسه بنفسه . له مؤلفات عديدة وقيمة تزيد على ثلاثين مؤلفا اهمها : المنهل

في تاريخ الادب العربي وقاموس العادات واللهجات والاوابد الاردنية .

عضو مراسل لمركز الابحاث الاثنولوجيه في باريس . من اعضاء رابطة الادب الحديث

في القاهرة .

عضو في جمعية التقارب المسيحي الاسلامي

كأنما هي نفسها قد أصبحت الدنيا بأسرها .

أراها في خيالي باسمه ، فافرح وابتسم ، واتوهم ان الدنيا كلها ، سهلها وجبلها قد ابتسمت لي . واتخيل انها عست ، فاشعر بان الدنيا كلها قد تجهمت ، وعست في وجهي . احاول ان ابعد خيالها عن فكري بالنوم ، فلا انام ، الا اذا تصورت ان اناملي تداعب شعرها الذي يكاد يلامس الارض ، بجداوله السود .

كل مكان وقفت فيه ، وجدته حبيبا الى نفسي ، عالقا بقلبي . احببت كل شيء احبته ، وكرهت كل الذي كرهته ، وكنت اتخيل انها لو كرهتني لكرهت نفسي ، لعلمي انها لو فعلت ذلك ، لسلبت حياتي كل معنى من معانيها ! . . .

يوم كنت امر في الحي وزأها ، اشعر بان نساء الحي قد اضمحل وجودهن ، كأنهن غصن في قهور ، ولمس وجودهن ، وكأنها قد انتصبت تمثالا من الفتنة والجمال ، يسير بين الارض و السماء ، فلا ابصر سواها ، ولا احس بوجود غيرها .

اذا غابت ، فكرت في كيفية لقاءها ، وفي ما يجب علي ان اصنع ، وما يجب ان اقول ، فاذا حضرت ، جف الكلام على شفتي ، وغاب عني كل فكر ، ونسيت كل كلام ، ولم أعد أسمع سوى دقات قلبي ، ولا احس الا بان دفاع الدم في كل خلية من خلايا جسمي يعنف ، وياحتقان في وجنتي . فاذا غابت ، لمت نفسي على اني نسيت كل ما قدرت اني اريد ان اقول لها ، وابوح به عند لقاءها . استغفر الله ، يا اخي ! ان كل ما وصفت لك ، لم يكن سوى عرش ما كنت احس به نحو تلك الفتاة . اذا لم يكن من جمال الا جمالها - وفي رأيي - وقد كنت اتوهم ان لا حياة لي بدونها ، وان الدنيا لا تستحق ان توجد لولاها . وان الحياة لا تستحق ان تعاش اذا خلت منها ، وكنت اشعر يوم القاها اني اعظم من كل الرجال ، واسعد من كل بني آدم . ويوم كانت تضجع يدها في يدي ، كنت احس بنشوة ، وديونها نشوة المدمنين على الخمر ، اذا شربوا . لذا حرصت على ذلك الرسيس الذي يكاد يحرق شغاف قلبي . ورأيت انه الموت والحياة ، وانه السمادة والشقاء ، وانه الضحك والهكاء !

كان هذا موقفي من الحياة ، ومن نفسي . وفي احد الايام سمعت فتاتي تقول : انه يجب علي ان اسعى للحصول على المال الذي يرضي شح والدها ، ونهمه . فصح عزمي على ان انخرط في سلك الجندية . وقد فعلت . وقد اقسمت لها ان لا اعود الي قريتي ، الا ومعني المال الكافي لمطاليب ابائها . وعرف الناس قاصيهم ودانيهم - في القرية - قصتنا .

مضت الايام ، ودقائقها تحرق قلبي ، وتحول دمي رمادا في عروقي ، شوقا اليها . لكنني كنت استعذب كل عذاب ، لانه السبيل الى الحصول عليها .

وتحولت مخلوقا غريبا . قترت على نفسي في النفقة ، وعهدت في حياتي صنمين :

أ- فتاتي تلك .

بد والعال - لانه الموصل الا وحد الى قلب ابنيها ، وبالتالي ، الموصل اليها .
ثلاث سنوات مرت ، وانا اجمع رواتبي ، الى ان اصبحت اعد من الاثرياء بالنسبة الى مفهوم الثروة
في قريتي .

وفي عطلة عيد من الاعياد مررت بالمدينة ، فاشترت جهاز المرسل التي احبها ، وركبت مع الراكبين
في السيارة ، فكنت اشعر ببطء سيرها . ولعلك تضحك اذا قلت لك ان نفسي راودتني - مرارا -
ان اترك السيارة التي تعطلت عطلا بسيطا طارئا ، واقطع المسافة سيرا على قدمي . وفجأة
تنهت ان عملي حماقة .

وصلت الى قريتي - وفي حدود الساعة الثانية بعد الظهر ، وكانت النساء قد عدن بعد ان
استقين الماء من الابار . منهن من حملت قريبتها على ظهرها ، ومنهن من حملتها على حمارها
وكان كثير من النساء ينسجن بسطهن المزخرقة وهن يتحدثن احاديث مختلفة ،
تتناول كل موضوع في القرية . وكان هنالك جماعات من النساء يفزلن منطلقات على سجيتهن ،
بلا تحفظ ، وقد كسفن عن سيقانهن ، تسهيفا لحركة المفازل ، وعشاب المزروعات عادوا باحمال
المشب لمواشيهم ، والرجال قد تطحوا كلهم على الارض ، الالعب التي الفتها ، ومارستها
في طفولتي . لكن ، لشدة ما كانت دهشتي يوم سمعت بعض العجائز - وانا صار - يذكرن اسم
امي بخزن ، مشفوع بالتنهد . والشبان يستقبلونني بابتسامات مثقلة بالهز والسخرية ، على
نقيض ما كان القوم يستقبلون المنجندين الغائبين من ابنا القرية .

سخطت يا سيدي ! وثار الدم في عروقي ، ولمح احد رفاقي الثوب الذي أحضرته للمسروس ،
فابتسم قائلا : - فصل الثوب والبسه ، اشرفك ! .

اسرعت الى الدار ، فرأيت رعاة يوردون اغنامهم ارسالا ، فهزوا رؤوسهم يوم رأوني . أدركت حالا
ان امرا يخصني قد حدث . فدخلت الدار ، وقبلت يد أمي بلهفة ، وقبلتني بحنان الأم التي
تعيش من اجل ابنها ، ول دمعها خدي . لقد قالت لي : ان يوم موت والدي ، كان اخف
وقعا على قلبها من اليوم الذي فجعوني فيه بالتي احبها .

لم اتكلم بعد ذلك ، لان الكلام جمد في حنجرتي ، حملت ثيابي ولبست مدرقة أمي ، ذلك الثوب
الذي تلبسه القرويات والبدويات عند العمل . واقسمت بالله ان لا أخلصها الا بعد ان انخر
الذي انتزع حبيتي مني ، واقطع كبده برصاصة من بندقيتي . كان هذا القسم ، على مسامح
من امي .

كم بكت ، وتوسلت ان انسى الفتاة ، وانسى الرجل الذي تزوجها ، لانه اب لثلاث بنات صغيرات
ولطفل صغير . توسلت الى ان انسى عمي المجرم الاساسي في القضية . ولكن ، كيف انسى ،
او اتناسى ، وقد وصفت لك موقعي وحسبي ؟ . . .

حقا ، يا سيدى ، انى انا نفسى لم اكن لا تصور ان القتل سهل جدا . سمعت غريمى يطلب من جاره مسدسا عيارية ، لانه يشعر بان حياته فى خطر . استعمار المسدس ، وحشاه بالطلقيات وانا ارى ، وانصرف الى داره القروية المؤلف من ثلاث قناطر ، يحيط بها حوش واسع تزيد مساحته على الدونم . فيه فرسه الصقلاوية ، وابقاره وغنمه ، وجمل وحمار . وبين مذاود البقر انطويت بمدركة امي ، وعاءة والدي السودا . وكانت بجارودتي الانجليزية القصيرة محشوة بالعيارات النارية ، وشبريتى الهوسانية الدقيقة الى جنينى . ورأيت غريمى يضع المسدس تحت وسادته . وكان اقاويه قد بكروا فى السهرة عنده ، لانه لم يمش على زواجه سوى خمس ليال هي ليالى الحشمة - فى ديارنا -

سمعته يطلب من العروس ان تصنع شايا للزوار ، ورأيتها تصنعه ، وتقدمه لهم ، بعد ان وضعت السكر عليه رأسا . ولشدة دهشتي ، سمعت غريمى ينادى العروس باسمها ، طالبا منها ان تضع سكر على الشاي . فضحك الجميع ، وقالوا : " السكر زائد عن المقدار اللازم " . فصاح قائلا : " لا تهزأ بي يا ... ان الشاي مر ، كالملغم " . فضحكوا منه ثانية ، وقالوا : " انت تريد ان تهقينا ديسا ، او تقتلنا بالخلو ؟ " فسمعته يقول : " الملغم اخف مرارا من هذا الشاي ! " .

حقا ، لقد كنت فى معركة مع نفسي ، كنت ارجف ، وانا ارى حركاتهم ! ... التي احبها ، تصنع الشاي لهذا الكهل ؟ وبضمها هي وغريمى منزل واحد ؟ ! هل نسيت كل ما بيننا ؟ ان لا اصديق ذلك ! ... لقد قالت لي امي انهم ارغموها ! ..

لكن لماذا لم تشر على التقاليد ؟ لماذا لم تشر على ارادة ابيها اللحز الشحيح ؟ ان البدويات افضل منهم . اولئك عرفن طعم الحرية ، فلا تتزوج احداهن الا برضاها ، واما القروية فتباع - احيانا - كما تباع الدابة ! ... يا للعمار ! ...

لقد خطر ببالي ان اوزع رصاصات بندقيتي على كل من فى الدار . وخطر ببالي ان تكون الرصاصة الاولى فى قلب التي احببتها ، اذ بان اعصابي لم تعد تحتل هذه التجربة القاسية . كاد اصمعي يصفط نابض البندقية ، لكنني شجرت بان يدي قد تجمدت فى اللحظة الاخيرة . لان كل احاديث الحب التي دارت بيننا مرت فى مخيلتي ، فى طرفة عين .

خشيت ان يزاني احد ، ففسد خيالي ، وفى كل لحظة كنت اشعر بانى ازداد تصميما على الانتقام . وكنت اعد الثواني ، لا تمكن من الحفاء نار الحقد والانتقام التي تتأجج فى صدرى . شرب القوم الشاي ، وخرجوا من البيت ، من غير ان يشعر احد منهم بوجودي ، فقد كان انطوائي فى العتمة محكما . وتبعتهم العروس حبيبتى الراضية بالعبودية ، لاغلاق باب الحوش ، ولمنا

عادت تريد اغلاق باب الدار ، سألها غريمي : هل قيدت الفرس ؟ قالت : بل نسيت .
فطلب منها أن תקيد الفرس ، وعند مرورها لاسنوبها جسمي ، فاحسست بانني أريد أن انقضي
عليها ، لكنني شعرت بان حقدى يطغى على كل عاطفة ، وشمرت بان عزتي ورجولتي قد اذلتا ،
اشنع اذلال ! . .

لم أعد انسانا ، لقد كنت في تلك اللحظة وحشا ، وأشد ضراوة من الوحش ! . . فما ان قيدت
الفرس ، ودخلت الدار ، وأوت الي فراشها ، حتى قفزت من النافذة المفتوحة - طلبا للهوا -
وعلى ضوء السراج الخافت ، قلت لغريمي : " انطرح من دون روحك - اى دافع عن نفسك - فانا
لا أريد أن اغدريك غدرا ! " .

لقد كان في استطاعة الرجل ان يمزق قلبي ، ولكنه لم يفعل ، لانه لم يصدق ان القتل سهل ،
بهذا المقدار ، ولعله لم يصدق فتى مثلي ، يقدم على ان يدمر حياة التي احبها ، ويحكم باليتم
على ثلاث بنات وطفل ، لعله لم يصدق ذلك .

فالتفت الي بهدوء مشوب بشي غير قليل من الذعر . صورة ما زالت تطاردني ، وتصمقني ! . .
وقال ونبرات صوته تكاد تختنق - ولعله كان خائفا من نفسه ، اكثر من خوفه مني - اجل لقسد
خاطبني قائلا : " خف من الله ! لا تقتلني ، وتقتل نفسك ، وتيتم اطفالي ، ودونك هذا الصندوق
فان فيه ثلثمائة ليرة عثمانية ذهبيا ، خذها جلالا لك ، وشهد الله ، اني لن اذكرها لا حسدا ،
فانا غني كما ترى ، وانت في حاجة الى المال . فخذ هذا المال ، وتزوج من تريد ، واشفق على
شبابك ، وعلى هذه الفتاة التي احببتها في احد الايام . اشفق على هؤلاء الصغار اليتامى ،
ولا تجعلهم لظما بقتلي ! . .

انا اعلم اني اعتديت عليك ، واجرمت بحقك ، واعلم ان الناس تشاءوا يوم زواجنا ، لان العروس
سقطت عن الفرس مرتين ، وهي في طريقها الى المعبد ، لانه مرعبة ، فلا تصدق تشاؤمهم
بقتلي ! . . .

لقد رأيت العروس تهيب من فراشها مستغيثة صارخة : " يحقني عليك ، ارحم الرجل ! . . " لعل
المسكينة كانت تعتقد انه بقي لها مكانة في قلبي ، تحول بيني وبين الانتقام . لعلها توهمت
اني لا انفذ تهديدي . وما علمت ان استغاثتها وسقوطها مغمى عليها قد اسقط البندقية
من يدي ، وزاد من ثورة انتقامي الجنونية .

اجل بحركة جنونية ، لا اذكرها ، كانت شجرتي قد غاصت في نحر الرجل ، تقدر صدره ، وتمزق
قلبه ، وعلاهتافي المصحح الحاقد ، مختلطا بصويل الصغيرات ونشيج الطفل الصغير :
" غسلت عاري ، وخلصت ثوب الخزيمة الذي البستني اياه ، ياخذك التي احببتها ! " .

حطت الفتاة على كتفي ، ووضعتها في بيت خالي ، وليفتنوا بها ، وسلمت نفسي لا ول مخفر لقيته .

لقد اخذت كلمات الرجل الأخيرة ترن في أذني ، وصرخات الفتاة التي أحببتها ، واستغاثاتها تمزق كيدي . اطياف الجريمة تلاجفتني ، وتجرمني النوم . وادركت لا ول مرة في حياتي - ان كل ما توهمته من حبي لتلك الفتاة ، لم يكن سوى انانية طاغية فضحها اغتيال للرجل الذي تزوجها ، وارتضت بان تقطع الحياة قعمة . خضوعا لارادة والد غاشم . فدمرت حياتها ، وقضيت عليها بان تطوى حياتها عانسا ، فاقدة كل امل ، لان احدا لا يجرو على الدنومنها بمعد اليوم ، وانا لا اصلح ان اكون زوجها لها ، بعد ان اصبحت مجرما اثيما .

قضيت في السجن سنوات ، كان عذاب ضميري فيها اعنف من عذاب السجن - على كل ما لقيت في السجن من اهانة واذلال ! - لقد خرجت من السجن بالعفو العام .

والان قبل ان اقرع بابكم ، كانت فروع هائلة قيد وقعت فوق رأسي ، وكادت تفترسني - وليتها فعلت ! .. لكنني نجوت بأعجوبة ، ليطول في الحياة عذابي . وانصرفت الضيع عني ، بعد ان استروحتني مرارا ! ،

وانا الان اخاف ان يربس احد قطاع الطرق فيقتلني ، لان القتل كما قلت لك يا سيدي من اسهل الامور ، وهو لا يحتاج الي اكثر من لحظة حماقة ، وتصميم ارعن ، وعدم تقدير للمسؤولية ، وقليل من الحقد ، وحب الإمتلاك ! ..

فاذا رأيتني الان شبعا ، اعيش بلا ارادة ولا هدف ، فلا تلمني ، لاني فقدت انسانيتي ، من اليوم الذي صمت فيه اذني عن توسلات أمي ، والفتاة التي توجهت أني أحبها ، والرجل الذي قضيت على بناته وابنه ليميشوا لظما .

ان عزائي الأ واحد في اوقيانوس عذابي هذا ، ان الله يهذبني في هذه الحياة تكفيرا عن جريمتي التي لا تطهرها توبة ، ولا تغسلها دموع ! ..

التحليل :

يصور لنا الكاتب التقاليد المسيطرة على المجتمع ، ونظرة الناس المادية والمال عندهم ككل شي في الحياة .

فيطل القصة الذي غاب السنين الطويلة بحثا عن المال حتي يفي بوعد له لمحبوته ، ويتم زواجه منها ، نراه يضحى بكل شي من اجل تحقيق السعادة والرفاهية الزوجية . ولكن الامور تسير بغير ما يشتهي الانسان ، يطول غياب المحب العاشق بينما محبوبته تنتظر ساعة عودته وهي تخطط لمستقبل زاهر تغمره السعادة والمحبة .

والد الفتاة رجل جشع ينظر إلى الحياة من خلال المادة فهي أعلى شيء عنده في الحياة .
لا ينظر إلى سعادة ابنته ، ولا إلى مستقبلها ، ولا يرحم حبيبها وصبرها الطويل على غياب
حبيبها ، فعندما يرى أن خطيب ابنته قد طال غيابه يتذمر ويتضجر ، ويزوج ابنته من رجل لا
تحبه وحرمتها من ثمة حبيبها من شاب تضحى من أجله ، تبادل له الحب والمودة مخلصاً له .
ماذا تفعل الفتاة المفلومة على أمرها ، إن لا تملك من أمرها شيء ، فالمادة في المجتمعات
المتخلفة تجعل من ولي الأمر سيداً مطاعاً كلمته مسموعة ، وأمره مطاع .
ارغمت الفتاة على الزواج من رجل تكرهه من أجل أن يحقق والدها الطماعه المادية ، فاعتبر
ابنته سلعة تجارية معروضة للبيع والشراء ، يصود الفتى من غيابه الطويل ، إن جمع من المال
الكثير ليتم به زواجه ، ولكن سرعان ما خاب أمه عندما سمع أن محبوبته زفت إلى غيره .
يصاب الفتى بخيبة الأمل ويعقدة نفسية وينظر إلى هذا المجتمع الظالم الذي لا يرحم
المحب بل يحرمه من ثمة حبيب .
ماذا يعمل الفتى يتهدد ويتوعد بالقتل للشخص الذي اعتدى على خطيبته غير مهال بالحياة .
عودة إلى كاتب القصة الذي يصور لنا العادات السيئة في المجتمع ويرمز لها بشخصيات محلية
من واقع البيئة التي يعيش فيها الكاتب .

أمين فارس ملخص : (١)

يكتب الاستاذ أمين فارس ملخص القصص منذ اكثر من عشرين عاما ، ولا يزال يكتبها الى اليوم بروح البهاوى المحب ، لا يروح للمحترف ، فهو اذن ، مقل لا مبتكر في كتابتها . ولذلك لا ينفك يصقل القصة التي يعكف على وضعها ، ويحككها تحكيفا كما كان يقول اشياخنا القداماء عن الشاعر المقل الذي ينفق عامه في العناية بقصيدته وتحكيكها ، فعل الصاع المفتن بقطعنة الذهب ، فلا تخرج من بين يديه الا صقيلة لماعة تبهر العين .

ولا ريب في أن الاستاذ ملخص يكتب الكثير في غير القصة ، فهو يترجم ، وينشيء المقال ، ويبحث في شؤون التربية والتعلّم ، ويمارس كتابة المسرحية الاذاعية ، ولكن هوى قلبه وقلمه : مع القصة . ومن عجب انه لم ينشر حتى اليوم غير مجموعة قصصية واحدة هي " من وحي الواقع " سنة ١٩٥١ - ضمت بواكير قصصه . وان نشر عددا غير قليل من القصص في المجلات الاردنية والعربية الاخرى . ولهذا السبب رأيت دائرة الثقافة والفنون ان تنشر له هذه المجموعة متغلبة بذلك على زهده في نشر قصصه ضمن مجموعات كما يفعل زملاؤه من القصصيين .

وأول ما يتبادر الى الذهن ، عند قراءة قصة ، انه ينزع الى الواقعية او اذا شئت ، المذهب الواقعي . ولهذا السبب تأتي قصصه حادة ، قاطعة ، تؤلمنا في ذات انفسنا لانها تهز فينا مشاعر راکدة ، تنتظر الوخز لكي تعود فتنشط وتتحفز في مجال رؤيه جديدة من الواقع المر ، كما نلاحظ ذلك في العديد من قصص هذه المجموعة التي ينتظمها اتجاه واحد او غرض واحد هو تصوير مآسي شخوص من ابناء النكبة ، واحيانا بطولات هؤلاء الشخوص ، على نحو ما فعل في قصص : ابو مصطفى ، والاسير الحمراء ، وهل رأيت احمد ، وطريد ، ووسط الضجيج ، وطريق الآلام وغيرها .

وهو عندما ينظر في مأساة الانسان ، من غير جانب النكبة ، نجده يتابع طريقته في الوخز المؤلم ، لا ليستدر الدمع ولكن لكي يرمينا بجمرة كاوية من واقع شخوصه وهم في اشد اوضاعهم الاجتماعية قسوة وتحدثنا بهذا قصصه : رأس على الخطب ، والسرداب .

وحتى في قصص التذكير التي يهود فيها الاستاذ ملخص الى الماضي والى دنيا الطفولة الخاصة فانه يحمي هذه الصور من الماضي ببراعة ولكن بمرارة ايضا . وقد بلغت النظر في اكثر من قصة في هذه المجموعة ان شخصية " الأم " تحتل مقاما رائعا ومؤسسا ، واحيانا مساوية كما في قصة

(١) هو أحد القصصين المعاصرين في الأردن ، عمل في سلك التعليم ، له مجموعة من القصص بعنوان " ابو مصطفى " ومنها اخذت هذه القصة .

"السرداب" و "هل رأيت احمد" و "طريق الآلام" وغيرها .

ولست ادري العوامل النفسية السيكولوجية العميقة والقريبة التي جعلت الاستاذ طحس شديد الاحتراف بشخصية الام ، غير اني اعلم انه قدم لنا اكثر من نموذج لهذه الام الغالية : فهي كنز المحبة وكنز التفاني والتضحية ، بل هي كنز الوجود .

وإذا كان الاستاذ طحس ينزع إلى الواقعية الحادة فيها يكتب من قصصه ، فإنه يستطيع عندما يريد او يريد السياتي القصصي ان يرسلها شعاعا باهرة من التعابير الشاعرة كما تنطق بذلك قصته "شموع العمر" :

ثم ان الاستاذ طحس يجيد السرد ، ويجيد الحوار ، ويستطيع ، بمهارة ان يمزج بين الحاضر والماضي بأسلوب قصصي بارع . وهو لا يضيره ان لا ينحو منحى اولئك المجددين من كتاب القصة ، المولعين بمختلف الاشكال القصصية غير المألوفة ، ما دام قد التزم بأسلوب المدرسة الواقعية ، وهي مدرسة اصيلة وحيمة ، ولا يزال كبار كتاب القصة في العالم ينضون تحت لوائها . سواها كانت هي الواقعية الكلاسيكية او الواقعية الجديدة ، فان هذه من تلك على التحقيق .

مختارات من قصصها :-

الأسطر الحمراء :

على مفترق الطرق وقفت ورأسها يضح بمزيج صاخب من الأصوات والصور يكاد يذهلها عن نفسها وعن كل ما يدور حولها كأنها في حلم مرعب : فقعمعة السيارة العتيقة التي حملتها من القرية الطهية في جراسة نغم من خيمة القرية المسلحين ، ولهات السيارة وهي تصعد الأنات والزفرات في الطريق الوعر . كل هذه وتلك لا تزال تتردد في سمعها وغلدها وهي واقفة على مفترق الطريق .

"تفضلني انزلي يا ست حياة بسرعة حتى تتاح لنا العودة الى القرية . فهذا الطريق الوعر هو المنفذ الوحيد الذي تركته كإشارة الاعداء .. مع السلامة "

المنفذ الوحيد؟ يا الهي . لماذا لم يخبروني الا الآن ؟ وعادت السيارة ادراجها تسن وتزفر وتتلوى فوق الطريق المعر

وسرت في اوصال حياة رعدة شديدة شبيهة بتلك التي اعترتها وهي واقفة في مدرسة القرية قبل قليل تواجه التلميذات الصغيرات حينما احست بالقرية تميد من القصف، وحينما كانت البنات ينشدن :

بلادي بلادي فداك

وغمت حلوقهن الصغيرة بكلمة "دمي" كأنهن يشرقن بها ، واستمر النشيد يتحشج وهب
ت يا في فا ل مي تنبعث مقاطعة مبعثرة

كالا سلاه من هذا الغموض واغلقت الحناجر المفردة تكاد لا تقوى حتى على ابتلاع الريق وشخصت عيون اللفيلة الهراقة المحلقة الى المعلمة متشبثة بها كالفرق تسأل

عما ساعن يفعلن ٢٠١٠

وتهدج صوتها وهي تقول : لا تتحركن كل واحدة في محلها

ووقع بصرها عليهن تماثيل للخشوع المشوب بالذعر السا ذج متسريلات زيهن المدرسي المخطط ابيض وازرق وحانت من حياة التفاتة الى دفاترهن وانا بها ايضا مخططة بأبيض وازرق وقد تخلطها الحبر الاحمر اعلمته يدها فيها تصليحا فسرت في جسدها قشعريرة مثلجة

"بلادي بلادي فداك دمي دمي دمي ولم يعدها الى عالم الحس الخارجي الا صوت قعقعة السيارة العتيقة وتوقفها لاهثة في ساحة المدرسة .

أسرعى يا ست حياة عليك ان تفادري القرية حالا "

ولا بد ان المتكلم لمح في وجهها امارات الحيرة والتردد حين صاح :

"بأمر من عطية ال ال القائد يجب ان "تروحي" واحست برأسها يدور

صوب المراييل المخططة ابيض وازرق ومند يلها يرتفع الى عينيها يبحث عن الدمع فلا يجده

وسمعت نفسها تقول وانتن ايضا هنيا الى بيوتكن "

وافلتت الصغيرات من قاعدهن كتلا متراسة على الابواب مولولة مجنونة . . وانفرط عقدهن الا
زينب الصغيرة ام العينين البراقطين الذكيتين . . أحست حياة بيدها الصغيرة تشد ثوبها
شأن طفولتها كل يوم لتقول لها كأن شيئا لم يحدث: مع السلامة يا معلمتي . . ورأت حياة
يدها تربت على شعر زينب المشط المعقوع بشریط حريري ابيض بسيط . . " فـذاك
دمي . . دمي . . دمي . . " وأسرت الى السيارة تخفي نفسها عن الدنيا وتخفي الدنيا
عن نفسها . .

على مفترق الطرق وقفت حياة . . فالطريق المؤدي الى المدينة مفتوح لها تستطيع ان تسلكه
وتصل سليمة معافاة الى البيت حيث تنتظرها امها المقعدة التي فقدت كل معيل الا حياة
وحيدتها . . أمها التي شيعتها صبيحة هذا اليوم . . شأنها كل يوم ، بالدعوات والصلوات
والاياات الكريمة تقرأها وهي تربت على رأسها تماما كما فعلت هي مع زينب اليوم قبل قليل . . .
امها التي تؤمن ايمانا عميقا انها تشيد هذه الابتهاالات بيدها التي تتحرك برفق فوق رأس
ابنتها تشيدها سياجا يقي حياة شر كل اذى . .

وسرحت حياة الطرف من الطريق المشرف على المدينة في ابنيتها المتطمية شرقا وغربا كالمصلاق
المتائب . . كأنها تستشف من وراء جدرانها وأسوارها منظر امها طريحة الفراش تنتظر بصبر
معهود عودة حياة الى البيت لتستقبلها بابتسامتها الصابرة الراضية . . ولكي تفرغ هي كسل
برها في قبلة عميقة تضعها على يد الأم الكسيح . .

وأحست بالشواظ المنبعث عن القرية المضطربة بلهب المبركة يلفح ظهرها . . الشواظ الذي
خرجت منه هي بأمر وطية الذي أطلق عليه رفيقة مترددا لقب القائد . . واخاضت وسط الحلكة
المصطخبة في رأسها ابتسامة جنون لم تدر على وجه التحديد هل ارتسمت حركة على وجهها
ام ومضة في غياهب نفسها . . كأنها به قد قال لصحبه الأبرار بوحي من الحمية العربية
العصيقة الجذور في تربة القرية ، " يا جماعة حياة فتاة من المدينة . . يقتضينا واجب الضيافة
ان نعمل على انقاذها . . فاجعلوها في السيارة الى الطريق الخلفي المؤدي الى المدينة . .
وكانها به يوصيهم ان لا يوجهوا لها بالسر الرهيب كي لا يصيبها الذعر . . اياكم ان تقولوا
لها ان الطريق الوعر هو المنفذ الوحيد . . لان كماشة الاعداء تضيق الخناق على القرية
من كل صوب وحدب . . وستنطبق عليها في ايه لحظة . .

واحست حياة بوجيب قلبها يكاد يطرده شطرين: شطرا يبحث به الى امها الحبية يخفف عنها
حول معركتها مع الحياة . وشطرا يرسله الى القرية ليمد لها يد العون في معركتها
المستميتة ضد المد والفاشم ، يا لقلب الام المعلق في صدر المرأة الكسيح . . وبها لهذه
الخلجات المعجبة تحسبها حياة في قلبها هي ايضا تضج في اعماق كيانها فتهزه هزا . .
حين تعود الى مخيلتها المرايل المخلطة أبهى وأزرق والعيون المذعورة المتعلقة بها .

وحين يدغدغها لم يمس رأس زينب ام العيينين الذكيتين . . . مع السلامة يا معلمتي " فذاك
.. دمي .. دمي .. دمي .. " وسمعت حياة رجع اصداً بعيدة الاغوار تتردد في
جنبات اعماقها : " انتن ايضاً بناتي " واستشمرت فيضاً من الحنان يغمر قلبها ويجرفها
كلها في لجاته كأنها تسبح في غضم مسحور .

وتحركت قدماها ميممة شطر السهير المتأجج تحس بالمدينة الكبيرة خلفها قد القيت برمتها
على كاهلها ايضاً . . وسارت تحمل عنها الثقيل وقلبها المغمم " فذاك دمي .. دمي ..
دمي .. " .

ووسط ازيز الرصاص وزشير القنابل زحفت حياة تخترق الأوار . . ما هذا الذي يقع بصرها عليه
في زقاق من ازقة القرية مبعثراً في جنبات الطريق ؟ انه المرايبيل المخططة ابيض وازرق هامدة
لا حراك فيها . . وسرت في جسد حياة تلك القشعريرة التي اعترتها داخل مدرسة القرية
وعند مفترق الطريق . . ومن هذه البنية البمزقة على مقربة من حياة ؟ انها الصغيرة زينب ام
العيينين البراقتين الذكيتين . . ان العيينين لا تزالان براقتين ولكنه بريق الزجاج . . ومربول
المدرسة المخطط ازرق وابيض يمز ما قانيا كأنه اسطر دفتها الملقى الى جانبها وقد تخللها
الحبر الاحمر . . والشريط الحريري الابيض الناصع قد غدا احمر قانيا . ومدت حياة يدا وجلسة
الى رسغ زينب تتحسس النبي فلا تجدده . وطبعت على اليد الصغيرة قبلة افرت فيها كـل
احاسيس الامومة " مع السلامة يا معلمتي . . " وضت في سبيلها صوب الخطوط الامامية .

وهناك وقع بصرها على ما كان يدور من صراخ : كان اهل القرية قد حفروا خندقاً عميقاً طويلاً
واقاموا وراءه التحكيمات من البيوت واكياس الرمل . وكان العدو يحاول جاهدا ان يسد الثغرة
او يلقي جسراً تعبر عليه دباباته وما ان يترجلوا حتى يسمع ازيز رشاش من القرية يحصدهم حصداً
فيفرغون جام حقدهم على القرية يقصفونها بالقنابل . .

والتقت اعينهما لقاءً سريعاً وقع بصر حياة فيه على بندقيته وصاح في وجهها :

- ما الذي اتى بك ثانية يا ست حياة ؟

- من عاشر القوم اربعين يوماً صار منهم يا عطية .

والتقت اعينهما لقاءً سريعاً وقع بصر حياة فيه على وجهة الاسمر الصلب ينطق بالعزيمة
والاستماتة

ولكن ما الفائدة ؟

- استطيع ان اسعف الجرحى . . احمل اليكم الماء والطعام . . اي شي .

- خذها اذن الى الشيخ سلمان فهو جريح . .

وفتح الشيخ سلمان عينه فصرف حياة وادار الى سواها بكلمات متقطعة عن ابنته زينب وهمل

وصلت سالمة الى البيت فلما انته ونظر اليها نظرة مذعورة وقال : " ولكنني افضل لها ان

تموت على ان . . . وفارق الحياة . . .

واستدعيت حياة على عجل لتسعف جريحها آخر فاقتيدت الى سطح احد المنازل وقد نصب عليه مدفع " بفرن " خرجت فوهته صامته من بين اكياس الرمل . والى جانبه شاب . انه " محسن " ابن الشيخ سلمان واخو زينب . وكان يعاني هشرجات النزاع الاخير ويهذى مرددا : الذخيرة . . . الذخيرة . . . هل وصلت . . . قبل ان يسلم الروح . وحانت من حياة التفاتة الى المدفع الحزين وقد خلت الصناديق المجاورة له من اية ذخيرة . وسمعت صوتا يقول : - انه الرشاش الوحيد في القرية . . . وهو الذي استطاع ان يمنع الاعداء من اقامة جسر فوق الهوة التي حفرناها في الطريق لكي لا تعبر عنه دباباته ومصفحاته . ثم سمعت الدبابات تنزل هديرها المنتصر . وكانت الشمس ترسل الى القرية شعاعا اخيرا ما لبث ان خبا خلف القرية في قبضة ظلام يزحف الى قلبها ويهدا لا يلتصق فيه الا وميض انصال السونكي تتحرك مجنونة باحثة في كل مكان كأنها الاقلام العالشي تسجل الهول على حلكتة الليل بأسطر حمراء . . .

التحليل :

تصور القصة السابقة طرفا من جهاد الشعب الفلسطيني ضد الغزو الصهيوني للديار المقدسة . وقد جرت احداث هذه القصة في دير ياسين ، حيث قامت المصائب الصهيونية بجريمتها ، فلم تفرق بين الطفل والشيخ كما لم تفرق بين الرجل والمرأة . ولكن حياة بلابسي - وهي بطلة هذه القصة - تقوم بدورها في هذه المعركة حتى تستشهد ، وتسقط القرية بعد المجزرة الرهيبة في يد الاعداء .

اتقن الكاتب عطية الامتزاج بين مضمونه الايدولوجي وبين الشكل الفني . والكاتب يحسن اختيار افكاره التي يتخذها أساسا لبناء عمله الفني ، وكانت عملية البناء تتم وتظهر فيها عوامل النضو والتطور والتفسير التي تدفع الحياة الى الامام . والكاتب يختار شخوص القصة من بين جماهير الناس ، ان يجعل من الشهيدة حياة بلابسي بطلة القصة .

فحياة بلابسي تقاوم العدو والجشع بكل ما اوتيت من قوة ضاربة المثل الاعلى في النضال والتضحية أما شخوص القصة فنرى الكاتب يختار شخوص القصة من البيئة فهناك شيوخ ونساء واطفال . العدو لا يرحم يقتل الاطفال الاصغار ، ويمذب الشيوخ الكبار ولا يرحم شيخوختهم . ويتمادى العدو في عمله الاجرامي منتهكا حرمة البشرية عندما يقربطون النساء الحوامل ، هدفه من ذلك نشر الفزع والرهيبة في نفوس الناس كي يحملهم على مفارقة ديارهم .

الجزء الرابع

الفصل الثاني

المرحلة الثانية من مراحل تطور القصة القصيرة في الأردن

الفصل الثاني

تمهيد :

عرفت الحركة الادبية الشبابية التي ظهرت بذورها في مطلع الستينات، على صفحات مجلة "الافق الجديد" (١) وتلورت بعد الخامس من حزيران على صفحات الجرائد والمجلات المحلية كالرأى والدستور وعمان المساء والصباح وأخبار الاسبوع وأفكار، (٢) جميع الوان الفنون النثرية، ولكن القصة القصيرة، كانت أبرزها، ربما، لأنها اتخذت شكلا ناضجا يكاد يوازي اترابه في الوطن العربي، فمضت القصة القصيرة، جميع تيارات القصة العالمية، من رومانسية تمنع في المثالية والذاتية الى واقعية مثقلة بالموضوعات العامة الى نفسية تمنع بتقصي النفس البشرية وتحليلها، وتصويرها . . . الى سيرالية تتجاوز الواقع لتحيا التوتر الشفاف الذي يفصل بين منتهى الالتزام العقائدي المتعسف وبين منتهى الالتزام الانساني المنهق من خلال التجربة والمعاناة . . . وقد ظهرت مجموعات قصصية لقاصين شباب، جعلت من ملامح تلك التيارات أو المدارس ميدانا لها .

المذاهب الادبية : "التيارات الادبية لأدب هذه الفترة"

الواقعية الوثائقية :

يعتبر النقاد الواقعية الوثائقية من أبرز التيارات القصصية الموجودة لدينا، وقد ظهرت بذور هذا التيار اول ما ظهرت، على صفحات مجلة "الافق الجديد" ممثلة بقصص "محمود شقير" "صبحي شحروري" و (نمر سرحان) . والاخير "يعد على النقل الفوتوغرافي في رسم شخصية واجواء قصصه، ويعمق في الحوار العامي، وقد يصطنع الرمز البسيط، الا انه لا يرتفع كثيرا الى المستوى المنشود في امثال هذا النوع من القصص" (٣) . . . وقد بلور كل ذلك في قصة المتلاحقة، المنشورة في الافق الجديد "كأشباح من الماضي" . (٤)

"الرمل" (٥) "بدائية الدوايمة" (٦) "البيت الاخير" (٧) وان كنت شخصيا لا

- (١) صدرت عن جريدة المنار المقدسية واخر عام ١٩٦١ . . . تولى جمعة حماد رئاسة تحريرها ثم عهد بالرئاسة الى امين شنار . . . واستمرت في الصدور حتى عام ١٩٦٥ .
- (٢) صدر العدد الاول منها في حزيران عام ١٩٦٦ ولا تزال تصدر حتى الان كمجلة فصلية .
- (٣) ثقافتنا في خمسين عاما / محمود شقير الدين الايراني / ص ١٥٤ .
- (٤) نشرت في العدد الثالث عشر من السنة الاولى لعام ١٩٦١ / ص ٢٦ .
- (٥) نشرت في العدد السابع عشر من السنة الاولى لعام ١٩٦١ / ص ١١ .
- (٦) نشرت في العدد الثالث والعشرين من السنة الثانية لعام ١٩٦٢ / ص ٢١ .
- (٧) نشرت في العدد الثاني من السنة الثانية لعام ١٩٦٢ / ص ١٢ .

أومن موجود مثل هذه المدرسة في الادب الواقعي الا ان "خليل السواحري" قد اصطلح وجود مثل هذا التيار (١) الذي يقوم على التسجيل الوثائقي دونما اكتراد بعناصر القصة الواقعية وتكتيكها الحديث، فتراهم يفتعل الحدث في اكثر قصصه (٢) وقد بلور القاص تيمارة هذا في مجموعة قصصية مشتركة عرفت باسم "ثلاثة اصوات" (٣) حيث اشترك باربع قصص قصيرة هي على التوالي "اللعبية الاخرى" "اعلان براءة"، "نفس تباك" و"التحديق في المرأة" . . . والقارىء الفطن لهذه القصص يدرك بسهولة ان بين صاحب هذه القصص وبين الفن القصصي مرحلة تحتاج الى جهد مستمر وعمل دائم، وذلك ان هذه المجموعة قد انزلت في تيمار التخاضل والارتواء الذي وجد له طريقا الى ساحتنا الادبية العربية عن طريق الفهم الساذج لعملية البناء الفني، وخاصة تلك التي تتعلق بالادب الواقعي . . . ، فعلى صعيد الشكل، لم يتمكن القاص من الخروج بقصصه عن اسلوب الحكاية العادية التي لا تتمتع باي من عناصر القصة الحديثة، وقد اعتمد في سرده الساذج على عشرات السباب والشتائم، فانت تستطيع ان تحصي في قصة الاولى "اللعبية الاخيرة" ما يزيد عن ثلاثين شتيمة تدخل الى النفس الاشمزاز والتقزز، ولا تضيف الى جو القصة شيئا، فاذا ما علمنا بان القصة تلك لا تتجاوز الصفحات الخمس من القلح الصغير، عرفنا مدى الصبر والجلد الذي يجب على القارىء ان يتحلى به، خلال قراءته، واليك نماذج من ذلك السباب والشتائم: (٤) "ملعون وجه والدك، يا امرأة الناس تسبح ويسابك يكتس المزابل . . ."، "ان شاء الله طرش يلخمك . . ." والله ان لم تخرسي يا امرأة لا كسر رقبتك والمن اجدادك"، "هذه المرأة اللعينة كالبومة العاقر"، "الله يلعن كل من فليس من اهلك" . . .، "ملعون ابوها قتلها البطر" . . . "وانت يا سقيطة نسيت يوم نامت اختك في مقناة البطيخ مع فلان" . . .، "ان حسن افندي واحد منحط" . . .، "هذه العاهرة لا تحلم مثل هذا" . . .، "لا ولكن ما يدريني ان حسن افندي ابن كلب" . . .، على ان الشتام هذه - وللحق - تنسجم مع تفاهة القصة او الحكاية ولا واقعيته، ذلك انها تدور حول امرأة قروية، فلسطينية تخون زوجها، بموافقة ومعرفة سا بقة منه . . .

-
- (١) وذلك في عدة مناسبات منها . رسالة خاصة بعثها القاص الى جريدة عمان المساء .
 - (٢) محمود سيف الدين الايراني - ثقافتنا في خمسين عاما ، ص ١٥٤ .
 - (٣) صدرت في عمان عام ١٩٧٢ ، واشترك فيها معه بدر عبد الحق ، فخري قموار .
 - (٤) جميعها من قصة "اللعبية" الاخرى ثلاثة اصوات من ص ٧-١٦ .

السابقة الى الخيانة الوطنية في قصة لاحقة عرفت باسم "مقهى الباشورة" (١)، ان تأخذ تلك القصة شريحة صغيرة، سبابة، متخاذلة، من الناس، تعيش في "حي الباشورة"، وقد ارتمت في احضان الاحتلال، وطلخ القصة ان المعلم "ابولطة" صاحب المقهى، قد جعل من مقهىة بؤرة تتجمع فيها شلة منحللة من الزبائن اليهود، وبعد فترة، يقع المعلم فريسة لضرائب البلدية، فيطلب المشورة من اهل الحارة، فيقترح عليه الجميع، المساهمة مع غيره من اصحاب المحال التجارية في تنظيم احتجاج على شكل اضراب، ولكن المعلم - كما يريد القاص - يرفض هذا الحل، ويجد في التعامل مع اليهود وبيع الحشيش لهم، وتأمين راحتهم حلا افضل وينتهي الكاتب قصته بقوله: "وشربوا القهوة على حسابه وتمازحوا وتضاحكوا وضرب المعلم الفتاة على فخذها وحين غادروا المقهى كان ابولطة يودعهم عند الباب، ففدا سوف يدفع للبلدية الثلاثة آلاف ليرة بأكملها، وسوف يسهر معهم ومع فئاتهم سهرة رائعة، وحين كان المعلم يستلقي في فراشه مرتاحا، كانت زوجته تنظر اليه بدعشة، وتسأله ان كان قد نسبي ان عليه ان يدفع ضريبة البلدية فقال لهم: ايام الجدعة! راحت، متى تفهمين يا امراة معنى المراحل" (٢). والمدعش في القصة هذه، ان التخاذل والتعامل لا يقتصر على المعلم صاحب المقهى وانما يمتد الي معظم سكان الحي، واليك نموذج لما كانت تقوله زوجته المعلم "ايام الجدعة راحت يا معلم، اليهود خبطوا على رقابنا وكسروا جيوشنا، اليوم تفسرت الاحوال، خرجوا والا غيرهم ما خرجوا" (٣).

... راحة التخاذل هذه تشملها قصص الكاتب جميعها، ففي قصته (نفس التناك) (٤) يقول سلمان معقبا على ما قالته احدها من بشأن ما فعله اليهود بطلاب المدارس الذين وضعوا في السجن :-

:- "يا امراة لا تكوني عبيطة الي هذا الحد، انا اعرف اليهود من زمان من قبل الثمانية واربعين، اليهود مثل الحية لا يلدغون، الا من اعتدى عليهم" مبررا بذلك على لسان بطله

(١) نشرت في مجلة افكار الاردنية في العدد السابع عشر لعام ١٩٧٣ م / ص ٨٣ ، والباشورة احد اسواق القدس القديمة، تباع فيه الخردوات والملابس القديمة .

(٢) مقهى الباشورة / افكار / العدد السابع عشر / ص ٩٠ .

(٣) مقهى الباشورة / افكار / العدد السابع عشر / ص ٨٥ .

(٤) ثلاثة اصوات / ص ٢٩ .

موقف اليهود من الاعتقالات المستمرة لطلبة المدارس في الضفة الغربية والمنطقة المحتلة،
وانيك تكلمة للحوار :-

-: وهل تظن يا سلمان ان اولاد المدارس قد اعتدوا على الجيش حتى اخذهم الى السجن؟

-: لطلاب المدارس زعران ويتدخلون في السياسة .

مختارات من قصة خليل السواحري (١)

" نفس التنباك " . . . مختارات قصصية للواقعية الوثائقية

ابتسمت حليلة بحزن ونكيت رأسها ثم تلفت بصوت مسوع :

- من قتل نفسه بيديه لا احد يبكي عليه .

منذ الصباح الباكر وهذه الصبارة تتردد على رأس لسانها ولكنها تظل حبيسة، وحتى حين

غابت الشمس هذا اليوم واحسبت بان رجليها قد سقطتا من الوقوف وراء الجبال والتطلع الى

الطريق كانت بعض الشكوك الدائمة تراودها في قضية تأخر سلمان كل هذه المدة، وحين قالت

لها سمعة اثناء تناولهما الطعام الغدا . ما يدريك ان ابي يتلوى الان في السجن؟

زعقت في وجه ابنتها بانفعال ، بلاء يأكل لسانك الوسخ ، يا بنت قال الله ولا فالك فانكسفت

سمعية وتوقفت اللقمة في بطنها وانقلعت انفاسها . وواصلت حليلة سيل شتاؤها .

- لسانك الطويل لا ينطق الا بسوء .

قالت سمعية وهي تبلع ريقها ،

- والله ما قصدت الا الخير يا امي ، ولا افكرك اين ذهب ابي

ردت حليلة بلهجة تعمدت ان تكون وعرة وفيها اعتداء سخيف:

- ابوك معزوم عند اصحاب افندية .

- وهل لأبي اصحاب افندية من اهل القدس؟

- نعم يا جاهلة ، لا بيك اصحاب افندية من زمان ، يوم كان يبيع الحليب في المدينة .

وتتمهدت حليلة بلوعة صادقة ، يا الله على تلك الايام يوم كان سلمان يركب الحمارة الخضراء

ويضع في الخرج عيارين حليبي، وكان يعود قبل الظهر، لان صاحبه احمد صدقي كان يشتري

كل الحليب دفعة واحدة ، وكان الخير علينا مثل المطر وكنا في الفنعمة .

قالت سمعية وهي تحدث في امها ببلاهة واستفراب . وهل تظنين ان ابي قد نام الليلة

الماضية عند احمد صدقي ، قالت حليلة :

(١) خليل السواحري ؛ من مواليد السواخرة عام ١٩٤٠ م أنهى دراسته الثانوية

والجامعية ، يعمل في الصحافة ، صدر له مجموعة قصصية بعنوان

" مقهى الباشورة " .

عنه الحمد صدقي مات من زمان ، ربما نام ابوك عند صديقة الكندرجي .
وزغرد تفرحة صغيرة في عيني سعدية . ان شاء الله يكون قد نام عنده .
ويحضر لي معة مشاية جديد . وقهقهت حليلة مشاية حديد
قالت سعدية باستغراب . وهل هناك احذية حديد يا امي .

وضحكت حليلة وهي تتصنع الكبرياء والرزاقية . ليس هناك احذية حديد يا ابنتي ، ولكن اساك
ذهب ذات يوم الى صاحبة الكندرجي وطلب ان يصنع له حذاء من الحديد .
- وهل صنع ؟

- لا ، لقد ضحك منه الكندرجي ومنذ ذلك اليوم واهل البلد يتندرون على سلمان . قائلين
أين بسطار الحديد يا سلمان الهرش .
وانقطع الحديث مرة واحدة وبدأت هذه الدعاية نكتة قديمة سئمت حليلة تكرارها بالاضافة الى
انها جاءت هذه المرة في غير موضعها ، ومن جديد امتلأ وجه حليلة بالتجهم ، فسلمان لم يسنم
خارج البيت طيلة حياته وهو بالتأكيد لن ينام عند اي كان في مثل هذه الظروف . فحسني
المختار الذي كان لا يؤويه بيته ليلة واحدة في الشهر اصبح بعد الاحتلال لا يجرؤ ان
يفارق بيته بعد صلاة العشاء .

ورغم كل النوايا الحسنة التي حاولت ان تجعل منها مبررات لعدم عود سلمان الى البيت
فقد غلب عليها هي نفسها الفال العاطل وراحت تتكلم مع نفسها بصوت مسموع .
من قتل نفسه بيديه لا أحد يبكي عليه . فمنذ اكثر من شهرين وجلد سلمان يقرصه وهاجس
شريع يلح عليه في زيارة القدس حتى يتبرك برؤية الصخرة والحرم ويتجلى على نفس تنبأك فسي
مقهى الباشورة . وحين كانت حليلة تحاول ان تبعد عنه هذه النوايا المغامرة كان يرشوها
قائلا :

- يا امرأة والله لقد اشتهى الواحد ان يشم رائحة الكباب المشوى ، دعيني اذهب الى المدينة
واقسم انني ساحضر لكم سيفود بين كباب في رغيف من خبز الفرن ورغم ان ريق حليلة كان يتحلب
عندما تسمع الكباب إلا انها كانت تظل على اصرارها في منعه من الذهاب الى القدس
وتقول :

- كل همك ان تجمعي على نفس تنبأك .

- والله يا امرأة انني مشتاق لرؤية القدس .

- يا سلام عليك ، نسيت ان اليهود يجمعون الناس من الشوارع نسيت ما قاله على القار يسوم
ذهب الى القدس قبل شهرين وقال ان الجنود الاسرائيليين يتجولون في الشوارع بالمدافع
ونسيت ما قاله المختار من انهم اخذوا اولاد المدارس في السيارات الى السجن .

قال سلمان :

- يا امرأة لا تكوني عبيطة إلى هذا الحد ، انا اعرف اليهود من زمان من قبل الثمانين
والاربعين ، اليهود مثل الحية لا يلدغون الا من اعتدى عليهم . . .
- وهل تظن يا سلمان ان اولاد المدارس قد اعتدوا على الجيش حتى اخذوهم الى
السجن ؟ .

- طلاب المدارس جماعة زعران ويتدخلون في السياسة .

والحقيقة ان حليلة وجدت نفسها عاجزة عن رد هذه الحجة فهي لا تفهم ما هي السياسة
وما معنى التدخل بها ، وهي قد سمعت بنفسها المختار يتحدث عن ذلك لعلي الفار ويقول
ان طلاب المدارس يتدخلون في السياسة وطاقف بذهنا تصور شبه معقول تخيلت فيه ان
السياسة قصر كبير محاط بالخدم والحراس ومحظور دخوله على عامة الناس وتمنت لو كان بإمكانها
ان تذهب الى القدس لترى هذه السياسة وكيف يتدخل بها الطلاب ولم تلبث ان قالت
لسلمان :

- هل رأيت السياسة يا سلمان ؟

قال سلمان بابهة وغرور

- يا امرأة السياسة حكم البلاد يعني الحكومة ، ونحن ما لنا وما للحكومة واخيرا اقتنعت بضرورة
ذهاب سلمان الى المدينة الا انها منعت من ركوب الحمار قائلة :
اترك الحمار لعل وعسى . . .
فقال سلمان :

- لا داعي لاخذ الحمار ولكن لا تتركه مربوط ودعي سعدية تخرج به الى الخلاء .

وحين كان سلمان يفادر البيت كانت حليلة تودعه .

- لا تتأخرا يا سلمان فالحالة خطيرة والواحد يعرف ماذا يحدث .

ولكن سلمان تأخر وراول يوم وثاني يوم وسلمان لم يعد على غير عادته ، وحليلة بدأت منذ عصر
هذا اليوم تتحسب من كل قلبها علم يكون قد حدث لسلمان يمكن ان اليهود حبسوه ، ويمكن انهم
قتلوه من يدري وكان يعتريها إحيايا غضب شديد على سلمان لانه لم يسمع كلامها ولانه ظن
يتحلم بالذهاب الى القدس ويلوب في حارات القرية مثل الدجاجة التي تريد ان تبيض ولم
ينجبر خالطه الا ليلة ان هم بالذهاب الى القدس .

وردت حليلة عبارتها المشهورة . قاتل نفسه بيديه لا أحد يبكي عليه .

وقالتها هذه المرة على مسيح من سعدية وحين همت سعدية ان تسأل اصها عن مفرى هذا
الكلام كان سلمان يدفع الباب ويدخل البيت يرتمي على الارض بدون كلام او سلام ، وصرخت

حليمة بلهجة فرح متهدجة يشوبها الخوف جئت يا سلمان

كفي الله الشر

وتطلع سلمان ثم قال يتوجع

- آه لو تدرين ماذا يحدث يا حليمة لقد وقعت في ستين داهية ، اليهود ملاعين اهلكوا

بدني . وماذا علت هل تدخلت في السياسة يا سلمان ؟

- ملمعون ابو السياسة وابو اهلها ، طول عمرنا نمشي الحيط ونقول يا رب الستر ولكن مع اسرائيل

ما في ستر .

- كيف وانت تقول ان اليهود مثل الحية لا يلدغون الا من يلدغهم .

- الدنيا اختلفت اليوم اسرائيل قعدت فوقنا ولمنت ابانا وتريد ان تمنعنا من الذهاب الى

القدس .

- وهل منعوك من الذهاب الى القدس .

وفي هذه اللحظة كان المختار ومحمد الازعر وعلى الغار يدخلون البيتوصاح المختار باطس

صوته .

لقد عدت اخيرا يا سلمان ، ابن كل هذه الفمية اظن انك شريت عشرين نفس تيباك واردف

محمد الازعر قائلا : - يا عمي سلمان الهرش صار شميم هوا ، ينام في القدس ، ويأكل في المطاعم

ويدخن الا ركيلة في الليل .

وقال على الغار :- والله انها خائف انه قد نام في بيت خالته .

كان سلمان اثنا ذلك قد سلم عليهم وجلسوا وهم يتطلعون في وجه سلمان حيث البقع الزرن

حول عينية والكدمات في وجهه ، قال المختار :

- يظهر انك قد علمت طوشة وجبسوك .

قالت حليمة : اليهود زبحوه اهلكو بدنه .

قال محمد الازعر : لا بد انه قد تدخل في السياسة .

قال المختار : اسرائيل بلا مقنطر ومن يتدخل في السياسة يحرقون انفاسه .

قال سلمان : يا جماعة اتقوا الله ، هل الذي يذهب الى القدس يتدخل في السياسة ؟

قال المختار : هاي ، هاي ، والله يا عمي صار ابو بسطار حد يد يفهم في السياسة . يا سلمان

وحد ريك . نحن جماعة كل ههنا ان نعيش . ما لنا وما للبلاد ومن يحكمها .

قال سلمان الهرش في انفعال وحدة . يا رجل الا تستحي ان تقل هذا الكلام ؟

والا لان اسرائيل تدفع لك مائة ليرة ثمن مخترة .

ورد عليه المختار بفضب وشتيمه

- صرت يا مصدى وطنيل في يوم وليلة وصرت تحكي في السياسة .

- معلوم لقد صرت ولديا ويجب ان اصبر يا رجل ليلة ويوم وأنا تحت الضرب في السجن بدون ذنب.

قال محمد الازعر وهو يضحك - اظن ان السجن والضرب كان فقط لله تعالى
قال سلمان : كل ما حدث اني بعد صلاة الجمعة خرجت مع الناس من الحرم وكنت اقصد
مقهى الباشورة

وقاطعه محمد الازعر قائلاً :-

والا يا عمي حتى تشرب نفس تنباك

وتابع سلمان : وفي الطريق التي احد الناس اوراق مطبوعة ملأت الاسواق فقلت لنفسي سأخذ
ورقة نقرأها في القرية ونرى ماذا فيها .

وما كدت اضع الورقة في جيبى حتى رأيت الشرطة تفتش الناس وتسوقهم الى السيارات . واخذوني
الى السجن هناك واهلكوا بدني وقالوا اني اوزع المنشورات .

قال المختار : يا رجل الله يهديك ولماذا تأخذ الورقة الا تدري ان هذه الاوراق منشورات ؟
قال سلمان : افترض انها منشورات هل يستحق رجل مثلي لا يعرف القراءة والكتابة كل هذا
الضرب والسجن لانه يحمل منشورا ثم انهم هم الذين جاءوا الى القدس ولسنا نحن الذين
اخذنا بلادهم .

قال المختار بسخرية :

- مستقبلك ان تصبح زعيماً ولديا لكن يا خسارة لو انك تستطيع ان تلبس بسطار حد يد .

قال سلمان : والله يا مختار ان اشكالك حرام ان يمشوا يا رجل اذهب الى القدس وانظر
الى السجنون المليئة بالناس .

وحين احضرت حليلة الشاي كان المختار يتحدث عن ايام المرحين كان يفطر ويتغدى .

ويتعشى على المناسف مع الفرسان وينام ستة ايام في الاسبوع عند اجاويد القرية .

اما علي الفار ومحمد الازعر فقد كانا ساهمين يفكران في اللهجة الجديدة ، التي بدأت بها

سلمان حديثه . واما حليلة فقد ادركت لأول مرة ان اولاد المدارس ليسوا زعرانا كما

يقول المختار .

الواقعية الفنية :

تقوم الواقعية الفنية على أساس من اختيار الصورة وتلوينها وفق أطر من الالتزام الكامل الواعي ، ويقدر المتتبع اليقظ لهذا اللون ان يلمس توجهاته فينتاج بعض الادباء الشباب مثل أنور ابو مفلح (١) و" يوسف الغزوي " (٢) و" خليل قنديل " (٣) ولكن توجهاتهم هذه لا تأخذ شكلا متكاملا ، ملتزما كالذي نجده عند " فخرى قموار " (٤) ، رأس هذا التيار وفسق قموار في قصة المتواجدة في مجموعته المشتركة " ثلاثة اصوات " ، في بلورة هذا التيار ، فهو لا يكتفي بقص ما حدث ، بل يتابع الصورة فيقص ما يجب ان يحدث ، وصور قموار المتواجدة في مجموعته تلك ، صور ملتزمة تتم عن وعي واضح لعطية البناء القصصي ، فقارى قصة يلمس بسهولة ويسر واقع مجتمعه ، مصورا عبر هادئة مضمينة ، اجتزأها الكاتب من صورة كبيرة ، واعمل فيها فنه وذوقه ، فزاد في حجمها وبلورتها ، ووضع لها اطارا خاصا يتميز في شكل ابدعت زر كشتته ومضمون جهده في بناؤه ، على ان تركيزه الشديد على دور العامل الاقتصادي يقتل في بعض الاحيان ميزة التناهي الواقعي في قصة ، فهو ، مثلا ، في قصة " المشي بهدوء " في الطين (٥) انما ينقل صورة نازح رغب في تغيير واقعه الى واقع اقتصادي افضل عن طريق اقامة مقهى ،

(١) أنظر قصصه : * إبنية ذوات / عمان المساء / ٢٤ / ٣ / ١٩٧٣ م
* جذار من لوسي / عمان المساء / ١٢ / ٤ / ١٩٧٤ م
* فرجة العيد / رسالة الطالب / العدد الاول / ١٩٧٢ / السنة العاشرة ،

(٢) أنظر قصة : * غصن الزيتون / عمان المساء / العدد ٦٣٩ ، ٥ / ٨ / ١٩٧٤ م
* المشروع الكبير / افكار / العدد (٢١) ، ص ١٠٠
* إكره الشمس واجها / الوان من القصة الاردنية / ص ٣٩٧
(في الثلاثين من عمره بدأ يكتب القصة القصيرة منذ ان كان طالبا في المرحلة الثانوية ، ونشر بعضا من قصصه في تلك الفترة في مجلة " الرقيب " ومجلة " الاثنين " ثم واصل كتابته في " الاديب " و" الافق الجديد " ، " المنار " ، " الجهاد " ، " فلسطين " ، " القدس " ، " عمان المساء " ، " مجلة القصص القاهرية " ، " مجلة الاداب " ، " صوت الجيل " ، " افكار " ، ويقول الا بيروانسي فيه (فخرى قموار ذو موهبة قصصية ولا ريب وهو يحاول ان يضع المدينة او جانب من المدينة في الطار قصصي ويحاول ان يصل في التحليل النفسي الى الحد المرضي ، غير ان امامه شوط طويل لكي يصل الى درجة الاجادة / ثقافتنا في خمسين عاما / ص ٢٥٥)

(٣) أنظر قصصه : * الجسوع / الرأي / ١٦ / ٨ / ١٩٧٤ م
* اوراق وجدت بدون توقيع / عمان المساء / العدد ٦٢٩ ، ٢٧ / ٥ / ٧٤ م
* ليلة الجمعة / الدستور / العدد ٢٤١٣ ، ١٥ / ٤ / ١٩٧٤ م

ص : ٥

(٥) ثلاثة اصوات / ص ٨١

وزوال المقهى - في نهاية القصة - نزول استكانته لتتحول الى ثورة وتمرد ، فكان الهمم الاقتصادي السبب الرئيسي الذي قام عليه معمار هذه القصة ، ونما اكثرث بالهموم الاخرى التي تلح على الانسان العربي المعاصر ، وتبقى واقعية فخرى قموار واقعية التدليل والاشارة ونمسا غوص او محاولة للغوص ، فهو يشبه برجل يقف امام بركة ، يراقب صراع الاسماك فيها ويتتبع تحولات الموقف ، ويكتفي باكتشاف الخطر والاشارة اليه ، وقد امتك الكاتب - لا شك - وسائل البنساة وادواته ، فبالاضافة الى هويته الخاصة ، يقف تكوينه الثقافي والحياتي جنبنا الى جنب ، لا لتقاط الصورة والبلورة والصقل ، وابرز كل ذلك ، ضمن لغة ليست بالفصحى ولا بالعامية ، وانما كحد وسط بين الفصحى والعامية ، (١)

وقد اصدر "فخري قموار" مجموعة قصصية جديدة بعنوان "لماذا بكت سوزي كثيرا" (٢) اثار تجدلا كبيرا في الساحة الادبية الاردنية ، وتباينت الاراء فيها ، (٣) ، وقال قصة "الرجال يعرفون من هنا" من اكثر قصص المجموعة جودة وفنية ، ان نقل الكاتب معاناة اهل قرية يكاملها ، ممثلة بشخصي رائد ، نقلا صادقا ، الامر الذي جعل نهايتها ثورة رائد - نهاية حتمية مترجمة بذلك فلسفة الواقعيين القائلة : " ان القوى المنتجة وعلاقات الانتاج والتطورات الاقتصادية هي التي يتكون منها بنهان المجتمع السفلي الذي يقوم على اساسه الصرح الضخم للهيان العلوي المكون من المثل الفكرى فالمؤسسات السياسية والقانونية والاخلاق والاداب والفنون ، تعكس فيها تشريعه لنفسها من نظمها تتخذ من قرارات ، وما تبده من انتاج ظواهر الاقتصاد التي يستند اليها المجتمع (٤) على ان المجموعة تلك ، تحوى الى جانب تلك القصة قصصا اخرى ، لا تصل جودة القصص السابقة كقصته " مغارة السند يانة " (٥) وهي مقتبسة " عن حكاية عجائزية قديمة طالما سمعناها من جدودنا ضمن احاديثهم واسماهم عن المسكونة " الجمن " و " الكف الاسود " وقد حاول قموار ان يأخذ هذه الحكاية القديمة ويعيد صياغتها باسلوبه ، ضمن إطار من الوصف الواقعي لحياة قرية صغيرة ممثلة باشخاص سالم ورييمة والحاج سيف الدين وحمدان الناظر ، وهو في محاولته تلك قد اخفق وقد اعطى احد نقاد الاسبوع العربي " تقييما مختصرا للمجموعة يكاملها ، حين قال : " تفاصيل كثيرة نقابلها في هذه المجموعة القصصية التي لا تضيف جديدا الى عالم القصص ، فالمواضيع مكررة وتعتمد على

(١) رأي في قصة فخري قموار / اسامة فوزي / الصباح / ١٩٧٣ / ٣ / ٥

(٢) صدرت عن المطبعة الاردنية عام / ١٩٧٣ .

(٣) انظر مقالة الكاتب في هذه المجموعة / للرأي / ١٩٧٣ / ٩ / ٥ / ثم تعليق ميخائيل بقاعين

على تلك المقالة ١٩٧٣ / ٩ / ٢٤

(٤) الادب والفن في ضوء الواقعية / جون فرغيل / ص ٥٠ .

(٥) نشرها في العدد الرابع من صوت الجبل واعاد نشرها في مجموعته الاخيرة .

حوادث محلية ولا أسلوب يفرق في استطراد مل احيانا ، لقد وضعت الواقعية مؤلف الكتاب على سطح الحياة دون ان تساعد على الفوضى في الاعناق .

مختارات قصصية للواقعية الفنية :

المشي بهدوء في الطريقين
فخري قعوار (١)

منظر الفيوم الداكنة المتكاثفة في السماء ، والنسمة التشرينية الهادئة المشبعة بالرطوبة ، والصقيع القارس ، جعلت احساسا مبهما لا يوحى بالطمأنينة ، يعربخاطر عاكف ، ولكنه لا يكثررت للامر كثيرا ، وعاد يصب السائل العنابي الساخن في اكواب الشاي الثلاثة التي امامه ، بمتممة غير فائقة ، ورفع كويمين بيده وقد صهبا للحاج درويش وابو اسكندر ، اللذين كانا يلعبان طاولة الزهر ، وقرران يمنح نفسه الكوب الثالث ، فوضع كرسي القش الصغير عند مدخل المقهى ، وجلس يرشف الشاي بتلذذ مستمتعا بشربه ساخنا والبخار يتصاعد منه ، تماما كتلذذه واستمتاعه بصوت نرجيلة الحاج درويش وهي تفرق بين الفينة والاخرى (والحاج يحضر نرجيلته معه دائما) او بصوت حجارة الدلالة والزهر يقرقع بداخلها دونما صدى ، او يتخيل الشبان الاربعة الذين يلعبون البناكل ، مما يجعله يشعر بنشوة لا تحد ترقص في كل بوصة من جسمه فالزبائن لا ينقطعون عن مقهاه ، (مقهى النازحين) كما تقول القطعة الكرتونية التي الصقها على المدخل ، وبعد ان كانت امره تعتبر فكرته مجرد مغامرة نتيجتها الفشل المحتوم اقتنعت فجأة بصواب هذه الفكرة ، وعندما خطر بباله انشاء مقهى في المخيم ، شعر بفرحة غامرة تطفح من قلبه ، وضفد باصباحة على عينيه بكلتا يديه ، وتنفس بعمق وثقة (هكذا يفعل عندما يشعر بالسرور) واخبر والدته على الفور فاجابته مستفهما :

- والنقود ؟ . .

فقال :

- بسيطة . .

فنظرت اليه باهتمام لا يذكر وقالت :

كيف بسيطة ؟

(١) فخري قعوار ، من مؤلفي مدينة المفرق ، سنة ١٩٤٤ أنهى دراسته الثانوية والجامعية يعمل في الصحافة ، أصدر مجموعته القصصية بعنوان " احزان كثيرة وثلاثة غزلان " .

نظر الى رأس حذائه المهترى ، والذي فقد لونه الاصلى قائلا :

- عندنا اربع دجاجات . . . يبيعها . . .

فقات مقاطعة . . .

- ولكن ثمنها لا يكفي . . .

- اعلم ذلك معك (عصيلتان) . . .

فدقت صدرها بعنف ، وهدت في عينها شراسة مفاجئة ، وصرخت في وجهه بضراوة . . .

- احذر من اعادة هذه الحكاية مرة اخرى . . . انت تريدنا ان نهقى بلا ذخر . . . و . . .

وبركت في الارض وانفجرت بالبكاء ، فوقف اخوانه الصفار حولها ينظرون اليها بوجوه تفيض

ببلاهة ، وهم أحد هم أن يشارك امه البكاء ، فضغط فمه وضرب عينيه ، حتى بدت كخطين اسودين

قصيرين على استقامة واحدة في وجهه الشاحب ، ولكنه لم يبك ، واكتفى بان تمخط بكم ثوبه

وانصرف ، اما عاكف فقد تحسس شعيرات شاربه وانسحب باحتشام بالغ .

ولم يعد يهدأ له بال على الاطلاق وصار المقهى غاية ما يتناه ، وقمة اعلامه واستشيار

" وجهاء " المخيم (وعلى رأسهم الحاج درويش) فواقوه الى أبعد الحدود لا سيما وان المخ

من اوله الى آخره لا يوجد فيه مقهى واحد ، ولا اية وسيلة للتسلية ولكن ما فائدة الموافقة

وهو عاجز عن ان ينفذ شيئا ؟ . . . وفكر ان يقترئ بضعة دنانير من الحاج ، الا انه عدل عن

ذلك ، خشية ان يعلبه المبلغ مقابل اشراكه في اتمقهى واستعرض مع نفسه كل الطرق التي قد

توصله الى حلمه ، وكان يجد في بعضها احيانا حلولا معقولة ومجد يقبشك ما ، ولكن ما ان

يتذكر قسما وجهه أمه المشحونة بالأصرار والعتاد ، حتى يهبط تحت الصفر من جديد .

وفي ليلة تشرينية باردة ، بدأ الحلم يتحقق ، فقد كانت ام عاكف تسخن زيتا بطعقة كبيرة على

فوهة بلورة القنديل ثم تفتح فم دجاجة مريضة وتسكب فيه الزيت بعد ان يفتر ويعد ان صب

في حلقها ملعقتين ، ربطتها من رجليها بطرف خيط وربطت طرفه الاخر بحجر ليس صغيرا

وجلست في ركن الخيمة والهمت الحزين يكسو وجهها بالغمضب ، ونهشها احد الصفار

كتفها يريد ان يأكل ، فتبعه اخوانه يصرخون فيها ، يريدون ان يأكلوا ايضا ، فتحايلت عليها

ليناموا ، لكنها فشلت فشلا غير محدود ، مما اضطرها لان تحكي لهم حكاية ، وبدأت بالسرد

وملامح وجهها قاسية وغير معبرة ، (كل هذا وعاكف مستلق في فراشه بصمت) ، وحكت لاول

حكاية الرجل الذي قتله الانجليز رميا بالرصاص ولا محاكمة ، لانه كان يحمل كمية من البنادق

والذخيرة على بقله ليسلمها للشوار ، وعندما علم ابنه البكر عن مقتله ، حارب وقتل ايضا . . .

وعندما وصلت هذا الحد من الكلام صمت صمتا عميقا جذورة في قاع قلبها ، صكت وكان الصف

قد ناموا . . . ولم يحتاج عاكف للكثير من الذكاء كي يعرف ان امه حدثت اخوانه عن جد واهب

وفي الصباح التالي ، كانت الدجاجة ميتة ، فأخذها الأولاد وراحوا يلعبون بها بعيداً ، وكان عاكف يفكر كيف يفتح موضوع المقهى من جديد مع امه عندما يادرتة قائلة . . . :
- عاكف . . .

فاجاب على الفور . . . :

- نعم . . .

واخطر ان يصدق ما سمع حين هدت له (المصطبتين بعد راحة ، قائلة : خذهما ، ومعهما بعمان . . . وسأبيع انا الدجاجات هنا . . . ثم اخافت . . . :
- اهرى ان يغلبوك بالسيوف .

خفق قلبه بحبور وضغط باصبعه على عينية بكلتا يديه ، وكان ان يركض قفزا ككلب صيد نحو الشارع العام الذاهب الى عمان ، ولكنه تريت قليلا وهمس لنفسه . . . لقد اقنعها الجوع بصواب فكرتي . . . الجوع شيء . . . بشيء . . .

نقطة ماء باردة استقرت على رأس انفه ، فانتهى الى الارض الترابية الممتدة بين الخيام وسرف الصفيح المنتشرة في المخيم ، فكانت منطلقة كوجه مجدور ، وسمع صوت نقرات الماء على صفيح المقهى ، فانتابه احساس يدعو للامتعاش ، الا انه فكر برهنة واحدة ، فلم يجد ما يبرر امتعاضه وعاد يوتشف الشاي رشقات سريعة ، ثم شرب الثلث الاخير من الكوب دفعة واحدة .

نهض عاكف عن كرسي القتيق ، وازاحة برجله الى الداخل ووقف ينظر الى السقف ان كان الماء يتسرب منه (فهذه اول مرة تنظر السماء على مقهاه) فابتسم دون ان يشعر ، وحين وجد ان عمله متقن تماما ، فهو الذي ركب الواح الصفيح بنفسه ، وقد فعل هذا لتوفير بعض النقود وكان قد صمم على شراء كيسين من الاسمنت وبضعها حول المقهى من الخارج (لزيادة متانة الاساس) بمجرد ان يكون في جيبه دينار .

وبدا الظلام يزحف ثقيلاً لرجلها ، والبرد يسرى مع نخاع العظام ، والمطر يهطل بتركيز لا يهاهي ، والمقهى اصبح خالياً من الزبائن . . . وعندما ادرك عاكف ان من غير الممكن ان يأتي اليه احد في مثل هذا الجو البردي ، اغلق الباب بسرعة ومضى .

شد ياقة جاكته من الخلف حتى اصبحت بمحاذاة جبينه ، فأحس ببرودة تلامس ظهره ، ولكنه لم يعبأ للامر كما لم يعبأ للماء الذي تسرب داخل حذاءه .

وما ان دخل الخيمة حتى اندس في فراشه ، وقيل ان ينام حليم بليالي الصيف الهادئة الجميلة وليالي شهر رمضان التي اصبحت على الابواب ، حيث يمتد السهر حتى الفجر ، وحلم بالراديو الترانزستور الذي سيهوج هذه الليالي بالهجة والمرح .

وقيل ان يتسلل خيط واحد من خيوط الفجر ، صفا من النوم ونظر من باب الخيمة ، فكان الظلام

الشديد يغطي كل شيء والرؤية من الامور المستحيلة ، وفكر ان يصل المقهى ليطمئن عليه ، فلف رأسه بمنديل ابيض ووضع في جيبه عتبة ثياب ، ورفع ياقة جاكيتته حول عنقه وخرج .

كان المشي في الطريق شيئاً مزعجاً للغاية ، وكان الحذاء ان يفلت من قدمه ليستقر في الوحل ، فتسهل في مشيته واستلماع ان يقدر انه على مقربة من المقهى لكنه لم يلاحظ له ظلاً كثيفاً اسود ، ما جعله يحس بفجائية ، واشعل عود ثياب لم يدم اشتعاله اكثر من ثانية ، حتى انطفأت الريح ولكنه اسالماع ان يلصق الواح صفيح المقهى مكتومة فوق بعضها ، واحس بمنتهى الفضيب (الغضب المتصاعد كالحقد) وكان يثقب رأسه من اعلى ويخترق العظام ، ولم يدرك ماذا يفعل ، فقد اصبح عاجزاً عن التفكير ، وسار بخطوات هادئة بطيئة في الطريق نحو الشارع العام ، حيث قفزت في خاطره كلمات امه وهي تحدث الصغار عن جده وابيه ، في الليلة التي سبقت موت الدجاجة .

الواقعية الاشتراكية :

اما التيار الواقعي الاشتراكي ، الذي يقوم بمواجهة الواقع ، ضمن رؤية جماعية تنتفي فيها الفردية ايما انتفاء ، فيتميز بالندرة عندنا ، ذلك لان هذا اللون من الادب يحتاج الى وعي كامل بتكنيك القصة الواقعية ، فضلا عن التزام كامل بأطر الواقعية كما ارساها رواها ، وقد حققت قصة "الجراد" (١) لمصطفى صالح بعض خصائص ذلك التيار ، كما قدم " فايز محمود " في قصته " طريق جيمس الى العاصمة " (٢) صورة ماثلة ، وان لم تكن كاملة والكلام ذاته ينطبق على قصة " النار " (٣) لأحمد عويضة .

... ، أما الجراد ، فمن انضج ما كتب في هذا المجال ، ان تصور القصة حال قرية مسالمة ينهمك رجالها ونساؤها وأطفالها في عملية تمشيب متواصلة لعشرات الافدنه المزروعه ، ولكني يعمق فينا الكاتب احساس اهل القرية ، وشعورهم الزائد بقرب الحصيد ، وما سيكون لكل ذلك من اثر كبير في رفع مستوى معيشتهم ، اجترأ لنا صورة صغيرة لقلبين ، " راجع " و " حمدة " ، سعادتهما وزواجهما ، رهن بمصالح الارض : شعور عينيه السوداوين الواسعتين فايرتوجهها خجلاً للناحية الاخرى ، همس لها وهو يتظاهر بتعديل حمل الدابة : البيدر غلال يا حمدة ،

(١) نشرت في العدد ٢٠ من أفكار / ص ٧١ ، وأعيد نشرها في " الوان من القصة الاردنية " .

(٢) نشرت في العدد ٩ من أفكار / ص ٨٨ ، وأعيد نشرها في " العمور بدون جدوى " .

(٣) حين لا ينفع البكاء / ص ٢٥ .

تدفق الدم حاراً في عروقها ولم تحبسه، فاندفع راجعاً حيث الرجال، كانت تعلم ما تمنيه
كلماته هذه، فهو سيدفع لها المهر من الميدير هذا العام (١) . . . ، ويأخذ الكاتب بمد
ذلك بمتابعة الصورة، فيعرض علينا هواد الشرائع التي اخذت تظهر في الافق ممثلة بأسراب من
الجراد، ظهرت طلائعها قبل المساء، وردود الفعل المختلفة لاهل القرية، فمن متجاهل
لخطرها: " نرى الجراد كل عام يأتي باعداد قليلة، فلا نشعر به، يطاردة الصغار ويتخذون
منه تسلية لهم" . . . ، الى مستشعر بالفداحة والخسارة التي قد تقع: " ان هذه الجراد
كطليعة الفزوة، ولا بد ان يتبعها جيش، يجب ان نهى انفسنا لهذا الامر" . . . ، وهين
الاخذ والرد، تضي القرية ليلتها دون ان تأخذ حذرهما، وفي الفداحة، تقع الواقعة: " وصلوا
الى الزرع ووقفوا مشدوهين وقد شل المنظر تفكيرهم، كانت السنابل تنويرها تحمله من جراد،
حتى لتلامس الارض" . . . ، ويتم تحريك اهل القرية الجماعي لمقاومة الجراد . . . " وسرعان ما
هوت المعاول تحفر في الارض حفراً واسعة، النسا ينقلن التراب من الحفر، بعض الصغار
والرجال اخذوا يطاردون الجراد ويدوسونه باقدامهم مغيطين، أشعل احدهم ناراً، فانتشر
الدخان يغطي الجميع، مر نهالهم وهم يجاهدون جهاد اميراً، لم يفكر احدهم ان يطلب
طعاماً او ماءً، حتى الصغار احسوا بفداحة الخطب فتركوا لهوهم واخذوا يتنافسون بقتل اكبر
كمية من الجراد" . . . ، ونتيجة لتجاهل اهمية الاعداد والتخطيط الجماعي المسبق تفقد القرية
زرعها، ويخلى بنا الكاتب الى النتيجة التالية: " سنكون اكثر حذراً في المرة القادمة" .
. . . ، أما قصة " طريق جيمس الى العاصمة " لفايز محمود، فنجد ارهاصاً ثورياً، اجتماعياً،
وذلك حين يرفض العمال متابعة العمل تحت اشراف الخبير الاجنبي " جيمس" . . . " سرت
اهمية بين العمال الفيين، قرروا على اثرها عدم الاستجابة الى طلبه" . . . ولكن تلك
" المهمة " لم تتحول الى " مقاومة" . . . من هنا اعتبرنا القصة مجرد ارهاص بالمقاومة .
. . . ، وايا كان الامر، فان الواقعية الاشتراكية، ما زالت، حتى عند الكتاب السوفيت في طور
النمو، ذلك ان البطولة الجماعية - في اغلب الاحيان - لا تتناسب مع التمركز الروائي الذي يقوم
في العادة على اشخاص بعينهم . . . ، وان كان " اندريه مالرو " الفرنسي قد تمكن في روايته
" قدر الانسان " (٢) من تفهيم شخصية البطل الفردي، فلأن الرواية - في اصلها - لا تدور
حول بطل واحد وانما حول مجموعة من الشخصيات، تمكن مالرو من تقسيم البطولة بينها . . . بمعنى
ان البناء الفني للرواية تطلب من الانسان في مواجهة المصير الواحد، وشكل عام، فان

(١) من قصة " الجراد "

(٢) نال عليها جائزة كونكور

الرواية اقدر من القصة القصيرة في تحمل هذا اللون من الكتابة يحتاج الى ثقافة واسعة . . .
عدا عن الالتزام الكامل بمفهوم الاشتراكية، الامر الذي لا نجده عند اي من كتاب القصة
عندنا .

نموذج من الواقعية الاشتراكية

للكاتب مصطفى صالح

قصة الجراد

انفلتت الشمس من عقابها لتلبل بأشعتها الصفراء الباهتة من خلف الجبال العالية على اهل
القرية المنتشرين في الزرع يعيشونه ويقلمون ما به من النباتات الغريبة . يكومونها اكوام
متفرقة . فتحزمها النساء بحزم يحملنها على ظهور البهائم وينقلنها للقرية بمساعدة الصغار
لتصبح فيما بعد غذاء للماشية بعد ان يجف الزرع ويقفر المرعى .

اخذت الفزالة تسير ببطء نحو وسط السماء واشعتها الصفراء تنشر لها حارا فيسح العرق عن
الوجوه المنكبة على العمل . هاهم سيجنون ثمار تعبيهم . لقد افانى الله عليهم هذه السنة
فامتلات الابار واغلت الارض ونبت الزرع كثيفا . وما عليهم الا ان يمتنوا به قرابة شهر وتتم
الحصيدة ويعم الخير الجميع . هد - ابو حمدة - قامت واخذ يرنو للجميع العامل يرمقهم بعين
الناقد الخبير . كان لحويلا نحيلًا وكان اكبر رجال القرية سنا فكانوا يحترمونه ويجلونه ويرجمون
له في امورهم . صاح بصوته الجهورى . .

- راجح . . يا راجح الا تجد لك علة افضل من اطعام البغل ، انتصبت قامة مديدة لشباب
عريش المنكبين موفور الصحة . واخذ يرنو لابي حمدة باحترام وكأنه يسأله ماذا يعمل .
- اذهب وساعد ابنة عمك في تحصيل حزمة المشب على ظهر الدابة دعك من البغل فهو يعرف
كيف يطعم نفسه . .

جيتك يا حمدة . .

رمى ما بيده من عشب امام البغل وهو رول ناحية ابنة عمه جدلا شابا يفتن بالحموية حطي يدك
مع يدي . . يا الله . . ورمي بها على ظهر الدابة ، تلاقت ايديهما بلمسة سريمة ارتعش
لها كلاهما . سمر عينية في عينيها السوادوين الواسعتين فادارت وجهها خجلى للناحية
الاخرى همس لها وهو يتظا هر يتعدىل حمل الدابة .

- البيدر السنة غلال يا حمدة تدفق الدم حارا في عروقه ولم تحبه فاندفع راجعا حيث الرجال .
كانت تعلم ما تعنيه كلماته هذه ، فهو سيدفع مهرها من البيدر هذا العام خفق قلبها الفتى
لابن عمها منذ الصغر وكانت تياهي بم اترابها من فتيات القرية فهو اقوى الشباب واكثرهم
وسامة . وكانت موضع حسد الفتيات الاخرى .

تربعت الشمس في وسط السماء فتداعوا للغدا ، والراحة . جلسوا متقاربين يلتهمون ما بحوزتهم من طعام وهم يتندرون ويتضاحكون فرحين بموسم هذا العام . يسوق - راجح - نظراته خلسه لابنة عمه فتلوك طعامها ببطء شديد وحمرة الخجل تورد وجنتيها فيسر لهذه المعاتبة ويتلصع طعامه بشهية وابتهاامة حب تملو شفثيه .

الغزاة تنحدر نحو المغيب ، نسائم باردة منعشة تهب على القوم فتزيد من نشاطهم . ومن بين النسوة يرتفع صوت - حمدة - الرخيم ثاقا الفضا بغنا رقيق فيه اثار العزائم للرجال . تردده النسوة من بعدها فتلتهب عزائمهم ويعملون وكأنهم لم يعملوا منذ الصباح ، الكلاب تدور حول الدواب وتعايشها بحيث لتحتفظ بها بعيدة عن الزرع . انتشر الصفار بين السنايل الخضراء المتماوجة مع هبات الريح . يلاحقون بعضهم البعض وعندما تشتد مضايقتهم يأمرهم - ابو حمدة - بان يبتعدوا عن الحياطين فيبتعدوا عنهم مغلين في الزرع فلا يظهر منهم الا رأس طويل القامة . وعندما تلول غيبتهم ينادوا يا اياهم باسمائهم فلا تمضي لحظات حتى يكونوا بين قدميه يزحفون كالارانب فلا يدري من اين اتوا . يرمقهم - ابو حمدة - بحب وحنان هؤلاء الاشقياء سيصبحون رجال هزم الارض ويعملون بها ويعبونها كما احبها هو منذ صغرة على صراخ اثنين منهم وهم يطاردون بعضهم . تمثر اعدهم ووقع امام - راجح - يا لهؤلاء الملاعين ، لا يكفون لحظة واحدة عن الشجار . رفعه بين يديه ومسح التراب عن وجهه . نادى على الآخر .

- لقد اخذ جرادتي

- انه يكذب لقد رأيتها قبله .

نقل - راجح - بصره بين الاثنين اخذ الجرادة ونادى بصوت عال على ابي حمدة وهو يلوح بالجرادة في يده ، التف الجميع حول - ابو حمدة - وهو يقلبها بين يديه بقلق . رفع بصره الى السماء وكأنه يتوقع رؤية اسراب الجراد قادمة . استشعر بالخطر بحسه وهو لسن ينسى سنة غزو الجراد لهم وهو شاب . يومها اتى الجراد على الزرع والضرع ولم يبق لهم شيئا واصبحت تلك السنة تاريخا . اقلت الجرادة من يده فتبعها الصفار يتراكمون ويتصايحون .

مرت من امام النسوة فاجفلن منها وقالت احدهن ان اباهما روى لها حكاية عن جدها الذي حارب مع الاثراك انه كان يأكل بعد ان يقوم بقص جناحيه ورش بعض الطح والبهار عليه وانهم في بعض البلاد يأكلونه ويبيعونه في الاسواق . تقززت - حمدة - وكادت ان تتقيأ فتضاكن عليها .

اختفت الشمس وراء الافق ساجية وراءها اشعتها الذابلة فودع المشيعون نهارهم عائد بين القرية

النساء والصفار في القديرة على ظهور الدواب والرجال يسبرون على سهل يتحدثون ويتمازحون
 - وأبو حمدة - صامت واجيم
 قال ابو راجح :
 - مالك يا ابو حمدة صامت ؟
 قال آخر مشهكما
 - انا خايف الجرادة تكون خوفتك يا ابو حمدة .
 ارتفعت قهقهاتهم عالية حتى وصلت مسامع النساء نظرا اليهم والقلق يطل من عينيه الفاضلتين
 - قلبي ناخزني يا جماعة ، انا غير مطمئن . يا خوفي بروح تمننا خسارة .
 قال ابو راجح :
 - والله خايف يكون جرى لمقلك حاجة يا ابو حمدة .
 رفع ابو حمدة باصرته لا على السماء صافية ونجومها تلمع ولا شي ياد يثير الخوف .
 - هه يا بو حمده ماذا رأيت ؟
 - لا شي ، لم ار شيئا ولكن قلبي يقول لي بأننا سنرى عما قريب وعندما وصلوا بيوت القرية
 افترقوا على امل اللقاء بعد العشاء في المضافة . تربع - ابو حمدة - على الفراش في المضافة
 ورجال القرية جلوس حوله وقد احسوا بخوف خفي ازا صمت هذا الشيخ وقلقه . ففراسة كانت
 دوما صادقة وهو يعرف ما لا يعرفون ، قام - راجح - على خدمتهم وناولهم ما يطلبون مسن
 ماء ويصب لهم الشاي والقهوة فيدعون له بالفرح والهناء قال احدهم . . . :
 - يا - بو حمدة - انت خايف ومخوفنا معك بلا سبب .
 هز ابو حمدة رأسه ونظر في وجوههم وقد علا وجوم غريب .
 - بلا سبب . . . تقول بلا سبب ؟
 - لكننا يا - بو حمدة - نرى الجراد كل عام . يأتي باعداد قليلة فلا نشعر به يطارد الصفار
 ويتخذون منه تسلية لهم .
 - لكن الامر مختلف هذه المرة ، انني اشم رائحة الخطر ، علا صوته واخذ يخاطبهم بحدة .
 - اسمعوا اريد ان اقول لكم شيئا ، ان هذه الجرادة كظليمة الفزولا بد وان يتحمها جيش .
 يجب ان نهى انفسنا لهذا الامر .
 قال ابو راجح :
 - يا - بو حمدة - انت تعلم انك تهالغ في الامر . لقد هولته كثيرا ، الخطر واقع لا محالة وهو
 لا يستطيع ان يثير فيهم الشعور به ويستطرد ابو راجح معاتبا .
 - هل تحسب كل هذا الحباب لجرادة . . آه لو كانت المرحومة موجودة لاعادتك السي
 صوابك .

هم واقفا وقد أصابه البرد منهم ، استأذن في الاذصراف فتبعه الاخرون كل الى بيته .
تقلب في فراشه . لا يفكر له جفن فالقلق والخوف يسيطران عليه . ابعد كل هذا التعب
والشقاء يأتي الجراد ليأخذ كل شيء . ولكن لم لا يكون الامر مبالغه وخوف لا مبرر له كما
قال ابوراجح ، ولعل هذه الجراة ضالة . داعبه النعاس وكأنما اطمأن لهذا الخاطر
فراح في سبات عميق ، أفان - ابو حمدة - على صباح الديكة معلنة بزوغ فجر جديد . ودوار
خفيف يلم به من جراة تفكرة الليلة الماضية .

اللقى على ابنته النائمة نظرة اودعها كل ما في كيانه من حب وحنان . فهي كل ما له في هذه
الدنيا بعد وفاته زوجته تخطي عتبة البيت في طريقه للبشر . لفته هوا بارد منعش . اسقط
الدلو في البئر ليتوضأ ويصلي الصبح . وقف يتنفس بعمق ربما يمتلي . أحنى ظهره وانتشله
من البئر . اخذ يسمل ويتم بأدعية وهو يصب الماء على يديه ووجهه . احاد الدلو لمكانه
وهم بدخول البيت . توقف وقد سمع صوتا . اصاح السمع جيدا تسارعت انفاسه وهرب الدم من
عروقه فأت وجهه اصفرا ، هذا صوت لا يخطئه . صوت القضاة متواصلة والظلام لم ينقش بعد .
أحنى ظهره وحلق . فهم الا زنى جيدا . صوت القضاة لا يفارق سمعه وقف وقد اسقط في يده .
تلجم لسانه ولم يدري ماذا يعمل .

في تلك اللحظة . كان الجراد يعتلي كل نبتة في حديقة البيت اصيب به ذهول شديد واخذ
يستعيز بالله . ولا يدري ما يصنع بعدها لفرط الصدمة . افاق لنفسه وقفز صارخا يمين
بيوت القرية يوقظ اهلها بصوته الراعد . .

- جاي يا نشامة جاي . الجراد طب الزرع .

افاقت القرية على صوته المجلجل فأخذت الابواب تفتح وتصفق وتراكن الرجال وتبعثهم النساء ،
وقد ركبهم الذهول وخوف ، اجتمعوا حولها صامتين .
صاح فيهم محنقا . .

- الم اقل لكم . . الم احذركم . لم تسمعوا كلامي ، لستم بالرجال الذين يعتمد عليهم والله
لستم بالرجال .

هم بمواصلة توبيخه لهم وقد بلغ منه الغيظ حدا كبيرا لولا ان قاطعه صوت ينز الماء عرف فيه
صوت ابي راجح .

- ليس هذا بالوقت المناسب للتقريع يا - ابو حمدة - فلتر ما نستطيع عمله ، أنقذهم من وجوههم
وذ هولهم وكأن كلماته كانت اذنا بيد العمل فسارعوا يحملون الفؤوس والمجارف وتوجهوا ناحية
الزرع غير عابئين ببرودة الهواء تنخر عظامهم . وصلوا الزرع ووقفوا مشدوهين وقد شل المنظر
تفكيرهم . . كانت السنابل تنوء بما تحملته من جراد لتلامس رؤوسها الارض .

صاح ابو حمدة - بصوت كالبكاء :

- هل جئتم لتقفوا فارغين افواكم هكذا .

سرعان ما هوت المعاول تحفر في الارض حفرا واسعة . النساء ينقلن التراب من الحفر . بعض الرجال والصفار اخذوا يطاردون الجراد ويدوسونه باقدامهم مفيظين . اشعل احدهم نارا فانتشر الدخان يغطي الجميع . مر نهارهم وهم يجاهدون جهادا مريوا . لم يفكر احدهم ان يطلب طعاما او ماء حتى الصفار احسوا بفداحة الخطب فتركوا لهوهم واخذوا يتنافسون بقتل اكبر كمية من الجراد وعندما مالبت الشمس ناحية الغرب معلنة انتهاء هذا اليوم الكئيب . كانت اعداد كبيرة من الجراد ترقد في جوف الحفر الواسعة ولكن ما تبقى من الجراد كان كافيا لان يأتي على بقية الزرع .

وفي طريق عودتهم للقرية لم ينس احدهم بكلمة كانتوا يتطلعون ناحية ابي حمده بحذر وخوف وكلهم شعور بالذنب والتقصير لو انهم سمعوا كلام هذا الشيخ . فهم قد كلوا من التعب في نهارهم هذا ولكن بعد فوات الاوان .

لو انهم سمعوا كلامه وتعبوا البارحة لهان الامر ، وسلم الزرع . كان - ابو حمدة - يسير صامتا وقد احنى التعب قامته المديدة . هل نسلم بالهزيمة ؟ لاسكنون هذا الجراد سمادا لارضنا في السنة القادمة . وعندما وصلوا ساحة القرية هم الجمع بالتفرق - وابو حمده - يخلون نحو بيته والالم يعضه ارتفع صوت ابراج حبلجلا مليئا بالثقة .

- سنكون اكثر حذرا في المرة القادمة ، توقف - ابو حمدة - ونظر للجمع العاشد فرأى العزم ياد على الوجوه فهتف يفرح . . . اجل سنكون اكثر حذرا .

الواقعية الفائقة :

الواقعية الفائقة ، هي واقعية " ما فوق الواقع " نفسها ، أي السريالزم وهي الواقعية التي تتجاوز الواقع الملموس الى واقع فائق لا يدرك الا بالحدس ، وقد اصلحت كتابات " بدر عبد الحن " (١) بهذه الصيغة ، خاصة في قصة التي اشترك بها في المجموعة القصصية " ثلاثة أصوات " . . . ، " ومن المسلم ان الكاتب غير معني بتقاليد القصة القصيرة ، المؤلف ، لا بل انه يبدأ من حيث تنتهي عناصر القصة القصيرة التقليدية ، انه لا يقدم حدثا ، وبالتالي لا يتنامى في قصصه واقع ما بكل ذلك إنما يقصد لإبراز معنى ما ، في قصصه

فبدر في قصته " احزان النوم والاستيقاظ " (٢) لا يقدم اكثر من منولوج داخلي ، يتدفق قهرا ، ويأسا ، ولا مهالة . . . " انهكت قواي ، فكيت كثيرا وكنت وحيدا ، ثم اكتشفت انه لم يعد يوسمي ان اتحرك او اصرخ ، فتركت نفسي اسقط فون واحد من الكواشي الفارغة ، اسندت ظهري الى الجدار وسحبت نفسا عميقا ومددت ساقي لتتخذوا وضعا مريحا أكثر . . . تسرب الدفء الى عظامي ، وشمرت بمتعة لا نظير لها ، أغمضت عيوني ، وتنفست بعمق مرة ثانية ، ثم تدلى رأسي - في اغفاءة - موازيا تماما لبقية الرؤوس " .

وهو في " الجنازة " (٤) ، لا يتجاوز تلك الصورة المحبطة : " عبر بوابة البيت باتجاه الشارع قبل الموعد بربع ساعة ، الهليني طويل ومن النادر ان اجد سيارة السرفيس ، لست اكيدا من حسن مظهرى ، المرأة التي كانت ملصقة داخل باب خزانة الثياب كسرت منذ شهر ولم تستبدل ليس هناك من يهتم بكل التفاصيل ، أعبر الحي ، هذا الحذاء الذي اتسخت يداي لتجملاه انيقا لا معا ، سوف تكسوه طبقة من الغبار ، احاول منع الغبار من الوصول الى مقدمة حذائي ، امشي بهدوء اراقب رؤوس الاطفال وافواه العجائز واقنية الماء القذر الكوب في الشارع " . . . أما " لماذا فشلت في الحصول على الجائزة " (٥) فأقرب الى خاطره ، يجعل منها التوتر النفسي الشفاف ، مجموعة خواطر تبدأ في الثالثة من عمره وتنتهي في الثمانين ، مروراً باعمار

(١) في الثلاثين من عمرة ، بدأ الكتابة عام ١٩٦٥ ونشر في عدد من الصحف والمجلات العربية والمحلية ، يعمل الان في مجال الصحافة في " ابو ظبي " .

(٢) ثلاثة أصوات / صفحة الغلاف الاخيرة / تيسير سهول .

(٣) المصدر السابق / ص ٤٧ .

(٤) المصدر السابق / ص ٥١ .

(٥) ثلاثة أصوات / ص ٥٥ .

الثلاثين والخمسين والستين والسبعين ويدر كما نلمس من قصصه ، معني بتصوير الانسان المحيط ، وهو لعمرى إلا نسان ذاته الذى جهد " صمويل بيكت " في تصويره ، فالحوار الذى يمقده المؤلف في قصته الجنازة ، والذى يدور على النحو التالي :-

-: السيارة لا تتوقف ، ذهاب ولا باب باستمرار .

-: تتوقف احيانا .

-: أبدا .

-: عندما ينتهي البنزين .

-: ثم تسير من جديد ، بسرعة .

-: قد يحترق الموتور فتكون النهاية .

-: تأتي سيارات جديدة أكثر لمعانا واحدث .

هذا الحوار ، لا يقدم شيئاً ، اللهم إلا الثثرة السفسطائية التي تعبر في جانب من جوانبها عن انسان القرن العشرين ، هذا الحوار ، يذكرنا بحوار آخر يدور بين " استراجون " و " فلاد يمير " في مسرحية " صمويل بيكن " الشهيرة " في انتظار غودو " (١) :-

-: دعنا نذهب .

-: لا نستطيع .

-: لماذا .

-: لاننا ننتظر جودو .

-: آه ! " يفكر " أوأش إن هذا هو المكان .

-: ماذا تمنى ؟

-: ان هذا هو المكان الذى علينا ان ننتظره عنده .

-: لقد قال : بجانب الشجرة ، هل ترى غيرها هنا ؟

-: ما نوعها ؟

-: لا أدرى ، لعلها صنّاف .

-: أين ذهبت اوراقها ؟

-: لا بد انها قد ماتت .

.. وهذا ، ونلمس ظاهرة أخرى في قصة " بدر " المتواجدة في " ثلاثة اصوات " ، تلك هي استخدام " الكراسي " كرمز واضح لآطار الخمول والكسل واللامبالاة الذي يفلت انسان القرن العشرين . . . ، فهو في قصته " احزان النوم والاستيقاظ " ، يجعل الكرسي ، الملاذ الوحيد لنشيدان الراحة . . . ثم اكتشفت انه لم يعد بوسعي ان اتحرك او اصرخ ، فتركت نفسي اسقط فون واحد من الكراسي الفارغة " . . . ، أما في " الجنازة " فيكون " الكرسي " بمثابة الموقع الذي يراقب منه البطل حركة النايين : " أسند الكرسي الى الجدار الخلفي ، اشبك يدي فوق عيوني ، الكرسي يتأرجح عدة مرات الى الامام والخلف ، يستقر اخيرا ، أغمض عيوني لان الشمس حامية ، أحلم ، يسقط الكرسي فجأة الى الامام ، أفتح عيني ، اتخذ وضعا مريحا اكثر فيسوق الكرسي ، ارفع رأسي ، انظر الى الطاولة التي بيننا " . . . ، أما في " الجائع " ، فترمز الكرسي الى زخم الاحباطات وثقلها على نفس البطل : " لا أدري ماذا حصل بعد ذلك تماما ، لكنني عندما صحوت وجدت نفسي ممددا على الارض فون كرسي محطمة " . . . ، وفي " التوقف عينين الابتسام " يتكشف رمز الكرسي . اكثر عندما يشارنا المؤلف بالعبارة التالية : " أربع ساعات من الصياح والضجيج والخلافات والانتظار ثم محمود وكاسات الشاي والسجاير والكراسي التي صنعت ربما خصيصا لجعل الظهور محنية " .

.. ، أما قصة بدر التالية فقد اكتسبت بعدا جديدا ، هو الثورة ، الامر الذي ادخل تغييرا جذريا في شكل القصة فهدية ، تلك الميزة ، نلمسها بسهولة في قصة " الطعمون " (١) ، ان اخذت تلك القصة مسارا بيانيا ، تقليديا ، ابتداء بمقدمة ، وانتهاء بمقدمة ، وختم بنهاية . . . ، وقد لمسنا النفس السريالي القائم على القهر والاحباط ذاته ولكن مع بعض التفاؤل ، في قصة الشاب " أحمد عبد الحق " ، ربما لان الظروف التي انتجت بندر (٢) ، هي ذاتها التي انتجت شقيقه ، وقد تمكن هذا القاص في قصة قصيرة له بعنوان : " قطار الشمس السريع " (٣) من اعطاء " صورة مصغرة لحركة التاريخ والنقل ، لحركة الوجود الديالكتيكية ، اي حركة التطور من الانقى الى الاكمل ، عبر المواقف المتعاقبة فالمؤلفة ، ان ردنا القاص في قطارة المؤلف من

(١) نشرت في العدد الثامن من صوت الجيل ، وكتب عنها مؤلف هذا الكتاب مقالا تحليليا

في جريدة عمان المساء / ٤ / ٣١ / ١٩٧٣ .

(٢) تكلم (بدر) عن ظروفه تلك في لقاء له مع صوت الجيل / العدد الرابع / ص ١٨ فقال :

" لقد أثرت في نشأتي الفقيرة ، وتربية كلاسيكية صارمة ودينية . . . افقد المناخ الصالح لتنمية قدراتي . . . القلق الذي احسه بفعل الظروف الاجتماعية ينعكس بشكل مباشر على قراءاتي وتكويني الفكري " .

(٣) مجلة افكار / العدد ٢١ / ص ١٠٧ .

عريتين ، الى الطبيعة الاولي - أصل الوجود - ، ثم قادنا - عبر الطريق الطويل - الى طبيعة العالم البشرى وطبيعة العلائق التي تربط بين اطراف هذا العالم - حيث يختار الركاب من بينهم قائدا - ، وتتدرج معه في اخضاع وسائل الانتاج وادواته وفي امتلاك فتاتها لهذِهِ الوسائل - ان يستخدم القائد وسائل جديدة للسيطرة على القطار - ، الى ان يستمر الموقف وتنقسم المجتمعات الى طبقات - الركاب من ناحية واعوان المعاون من ناحية ثانية - متصارعة ، ينتهي الصراع بينها بتغلب الجماعة الكثيرة او لنقل الجيل الجديد - رمز اليه بالاعشاب شديدة الاخضرار التي اخذت تنمو - " (١)

.. هذا ، ويجدر بنا الإشارة الى ان شخوص " احمد عبد الحق " تختلف عن شخوص شقيقه " بدر عبد الحق " ، ذلك لان شخوص " بدر " لا تصور لنا واقعنا الخارجي وحاجاتنا اليومية ، بل تعتمد الى حقيقتنا النفسية فتعكس مخاوفنا وافراحنا وكوابيسنا واحلامنا وتصوراتنا ، ولكنها بالمقابل ، لا تعرض لنا قصة فكرية ، ولا تقدم حلاولا لمشاكل انسانية ، ولذا فان قصة " بدر " - كما لمسنا - تسير في حلقة مفرغة ، فتنتهي حيث بدأت وهذا الواقعية كسابقتها تعتبر رافدا لتيار الواقعية الفنية التي يمثلها " فخرى قموار " ، وهي روافد - فسي مجتمعنا بالذات - تمتد ضرورة ، وذلك لتصحيح مجرى التيار الكبير ، وهو ما يمكن ان نسميه ، بالواقعية الذاتية او التأطيرية ، وسنعرض لهذا اللون في حديثنا عن القصة الرومانسية عند فايز محمود .

القصة النفسية :

تقوم القصة - النفسية - السيكولوجية - ، على اساس تحليلية بحثية ، لعل ابرزها ، تقصي النفس البشرية ، وسبر غورها ، عبر منولوجات داخلية ، متلاحقة ، هذه السمة ، تلمسها بوضوح في قصة " هند ابو الشعر " التي تعتمد - بشكل كبير - على القصة الانسيابية في التفسير عن عموم الانسان المعاصر ، وهي ، وان لم تصدر مجموعة خاصة بها ، الا انها قد نشرت عددا من القصص في المجالات المحلية والجرائد اليومية ، والاسبوعية (٢) وقد لمسنا فسي

(١) قاصون جدد على الساحة الادبية / عمان المساء / العدد ٦٣٧ / ٢٧ / ٧ - ١٩٧٤

أسامة فوزى يوسف

(٢) أنظر قصصها :- النهايات الحادة / افكار / العدد ١٨ / ص ١٠٤ .

الدوار / صوت الجيل / العدد ٣ / ص ٣٦ .

لعبة الاشارات الضوئية / اخبار الاسبوع / ١-٨-١٩٧٤ .

قصصها اعتقاداً كاملاً على الإنيشاب أو الانعطاف الباطني، اللاوعي، للتمبير عن مجسري التجربة العقلية على طريقة "مارسيل بروست"، "دوروثي ريتشاردسون" و"جيمس جويس"، كما تتميز قصصها بظاهرة التوتر النفسي الذي يشوبها حتى النهاية، وقد برز القاص الشاب "ابراهيم العبسي" (١) في هذا المجال كذلك، فنشر قصة له بعنوان "بقعة ضوء" (٢) دلت على وعي لا بأس به بمعمار القصة السيكولوجية . . .

. . . و"بقعة ضوء" هذه عبارة عن رحلة عبر معالم الوعي، هذه الرحلة تدخل ضمن اطار القصة النفسية التي تعتمد تماماً على تداعيات النفس وبنولوجياتها التي تسير على النحو التالي: "حيات الحصص المنفلتة من تحت قدمي تنفذ على جدران الهبوت، في الشارع، تحدث دويسا هائلا في انني، دخلواتي تنظفت تشب، تتقدم في الشارع . الخ" . . . وقد لاحظت خيالاً تجوالي في القصة شغف الكاتب بكثارة، النقاط والفواصل، الامر الذي لا ينسجم مع البناء الفني للقصة الانسيابية، لان الانسياب اصلاً يعني الانعطاف الباطني اللاوعي، للتمبير عن مجسري التجربة الفعلية، هذا الانعطاف يصبه الكاتب على الورق دونما فواصل او نقاط او اشارات قد تدل على وعي في الكتابة، حتى ان كتابات "مارسيل بروست" و"جيمس جويس" - وهم من زواد القصة النفسية تكاد تتلاحم نهايات احرفها الامر الذي جعل النقاد - فيما بعد - يعتمدون اسلوب التقطيع، اي تقطيع الكلمات وابعادها عن بعضها البعض . . . كما لاحظت في تلك القصة اعتماد الكاتب على "كان" و"كنت" في عملية السرد النفسي، الانسيابي، الامر الذي يدخل الملل الى نفس القارئ، والتخلص من هذا الرابط بين التدفقات النفسية ليس بالامر الصعب، وللكاتب - فيما يبدو - قدرة على تجاوزه .

. . . والمتتبع لادب الشباب عندنا، يستطيع ان يلمس بسهولة، توجهات نفسية، تؤطر بعض الصور الواقعية التي تجعل من انسان القرن العشرين ميداناً لها، كما في قصص "وليم هلسة" (٣)، "يوسف ضمرة"، "حسن ابولة" و"رزق ابوزينة" (٤).

- (١) راجع ما كتبناه عنه في جريدة عمان المساء / ٢٣-٧-١٩٧٤ / العدد ٦٢٧ .
 (٢) افكار / العدد ٢١ / ص ٨١ .
 (٣) انظر قصصنا: البعث الغربية / عمان المساء / العدد ٦٢٢ / ٨-٤-١٩٧٤ م .
 وتكلمت باطلا / عمان المساء / العدد ٦٣٥ / ٨-٧-١٩٧٤ م .
 الخروج / عمان المساء / نيسان / ١٩٧٣ م .
 صيحت وانتظار / عمان المساء / ١٩٧٣ م .
 حوارية للرجيل / عمان المساء / ١٥-٤-١٩٧٣ م .
 (٤) أنظر :- الخروج الى سطح الارض / عمان المساء / العدد ٦٢٦ .
 البكاء في منتصف الليل / عمان المساء / ١٩٧٣ .
 الذقن المبللة / عمان المساء / العدد ٦٤٣ .
 بقع سوداء في منديل الحبيبة الابيض / عمان المساء / ١٩٧٣ .

...، الا ان هذا اللون - ككل - لم يأخذ شكله النهائي بعد ، ولم يحقق حتى نصف الشكل ، ربما ، لان هذا اللون من الكتابة القصصية يحتاج الى ثقافة واسعة ووعي كامل بمعمار القصة السيكولوجية ،

مختارات قصصية للقصة النفسية :

بقصة ضوء

للكتّاب ابراهيم العيسى (١)

المسافة التي تفصلني عن حجرتي . ليست طويلة . . حجرتي في نهاية الشارع . . ومع هذا فانا ما زلت اجرجر قدمي في اول الشارع . . الشارع يفرق في ظلمة عادية . . لولا خيط رفيع شاحب من الضوء . . ينبعث من عمود كهرباء دق في شارع خلفي .
خطواتي تزحف في الشارع ببطء شديد . . لكنني احاول ان اجعلها ترن بقوة على الارض . . ظلال الاشياء التي يعكسها الضوء . . تتخذ امام عيني اشكالا رهيبية . . ترقى . . تقهقهة . . تحدق . . تصرخ . . تتطلى . . خوفي القديم ينبعث حيا داخل صدري وخيالي الجامح ينشط فجأة . . يفجر مخاوفي . . يبعثها من رقاد كنت احسبه ابديا . . دبيب هائل يعوي داخل اذني . . رأسي مزرعة اشواك . . انتصبت اشواكها بعناد . . ولو مدت ينسبدي لأتحسس الشعر فوق رأسي . . لاستلعت ان اعده شعرة . . شعرة . . انني خائف . . خائف . . اكد اتحسس التشنجات التي يرسمها الخوف فوق وجهي .
وانا احدق في زوايا الشارع .

الخوف . . هذا الاحساس الجبان . . انني اكرهه . . واكره نفسي . . منذ ولدت وهو يلازمي . . ويكبر معي . . كانت ابي قد ايقظته في . . " اجاك ابو رجل مسلوخة " . " الغولمة دايرة في الشوارع " . . " المغاريت عند الباب " كنت اقضي النهار كله الهث ورا " طابة الشرايط " ،
وهيما يأتي المساء ، اعود بسرعة الى البيت ، اتخذ مجلسي بعيدا عن الباب ، حيث تجثم

(١) ابراهيم العيسى :

- من مواليد الدوايمة / الخليل سنة ١٩٤٥ .
- انهى دراسته الثانوية في مخيم عقبة جبر سنة ١٩٦٤ .
- تخرج من معهد معلمين حوارة عام ١٩٦٨ .
- يكتب القصة القصيرة من عام ١٩٦٥ .
- نشر معظم نتاجه القصصي في مجلة افكار ، ومجلات عربية اخرى .
- له مجموعة قصصية " المطر الرمادي " .

المثمة في الخارج . . . كنت اخاف العتمة . . . اتخيلها مسرعا رهيبا . . . تمارس فيه الاشباح
طقوسها المرعبة . . . كانت امي لا تنفك تروي لنا حكاية كل ليلة لكن حكاياتها كانت من ذلك
النوع . . . الذي ترتجف لسماعة اطرافنا الصغيرة . . . واذكر ان الهلع كان يستولي علي . . .
حينما كانت - امي - تأتي علي حكاية " ابو رجل مسلوخة " كنت اتخيله ذا وجه شديد الاصفرار
. . . عيناه صغيرتان تتحركان في محجريهما بشكل دائم . . . ورأسه بلا شعر يخطيه . . . واحدى
رجليه مجردة من اللحم . . . جرها وراءه هكذا في الطرقات . . . وحتى الان . . . لا ادري لماذا
كانت - امي - تصر علي اسماعنا ذلك النوع من الحكايات . . . لعلها كانت تهددنا بابطالها . . .
اذا نحن لم نهدأ . . . وندفن رؤوسنا تحت الاغطية لننام . . . او لعلها كانت تعدنا لحياة
. . . تعرف انها ستكون مليئة بالمخاوف .

حيات الحمى المنفلتة من تحت قدمي . . . تنقذ علي جدران الهيوت في الشارع . . . تحدث
دويا هائلا في اذني . . . خلواتي تنفلت . . . تثب . . . تتقدم بسرعة في الشارع . . . تخرج عن
نطاق الاوامر التي يوزعها رأسي علي باقي الاطراف . . . احاول جاهدا . . . ان اكبح جماحها
. . . اكاد اسمع وقع اقدام تتبعني . . . تتراكم امامي . . . وخلفي . . . وحولي . . . وبعضها يتسلق
جسدي . . . ويقف علي كتفي . . . ويخيل الي احيانا . . . ان اياك كثيرة تدفعني من الخلف . . .
لا جري في الشارع . . . ثم فجأة تقبض علي بقوة . . . توقفني . . . تزرعني في مكاني . . .
حينما ماتت امي اثر هجوم مفاجي " اجتاح قريتنا . . . اعتراني لحظة موتها خوف رهيب . فحملت
حقيقتي . . . وبدأت رحلة طويلة . . . طويلة . . . عبر المدن ابحت عن ملجأ . . . انسى فيه خوفا
. . . كنت اسافر طوال الوقت . . . في الليل والنهار . . . وفي الصيف . . . والشتاء . . . كنت اعبر
الشتاء بقميص صيفي . . . تصفمني البرودة . . . وتتسلل جراثيمها الي دمي . . . فارتمي في سوت
رصيف ترابي . . . تعصرني ضحي رهيب . . . لكنني لم اكن اتوقف ابدا . . . كان خوفا يقودني
بسرعة . . . لدرجة انني لم افطن لاختي الصغار . . . نسيتهم . . . تركتهم يتحلقون حول امي
يندبونها . . . وهربت بحلدي . . .

كنت حينما السج بوابية مدينة جديدة . . . اجد شرطيا في انتظاري . . . يتسهم لسي
بدهاء ويقول :

- جواز سفرك من فضلك .

وكل مرة . . . كنت اتحسب جيوسي . . . واقف زاهلا احدق في وجه الشرطي باستجدا . . .

جواز سفري . . . نسيت في " عب " امي . . .

ويضحك الشرطي حتي تميل قبضته الي الورا . . .

- القانون لا يسمح بدخول من فقدوا جوازات سفرهم . . .

- ولكنني ..

- اعرف انك نسيت في أعينك .. وما عليك الا ان تعود اليها .. وتحضر جواز سفرك .. القانون هو القانون ..

كان قد مضى زمن طويل .. منذ تركت امي طقاة بين شجرتي زيتون ولا اعرف ما اذا كان جواز سفري .. ما زال في "عيني" ام ان حفار القبور .. سرقه منها .. حينما عثر على جثتها .. ثم ان خوفا يقيدني ولا يكاد يجعلني اجروء على مجرد الالتفات خلفي ..

تسرت .. وندمت .. لا يتعادي عن امي .. ولمنت خوفا .. تشردت كثيرا .. نزلت دمائي فوق الارصفة .. واكلت قدمي الطرقات .. ومزقت ظهري حقيبة السفر .. كانت المدن الالهية تنكرني .. ويصق في وجهي شرطتها .. فكرت كثيرا ان اتسلل عبر اسوارى مدينة تصادفني في الطريق .. لكن ذلك قد يعرضني للشنق نظرا للقوانين الصارمة التي تتبعها المدن ..

وذات ظهيرة لاهبه - وكنت اجرجر قدمي .. وقد بلغ بي الاعياء حدا ايقنت معه بالموت - اعترضت طريقي قرية صغيرة .. شديدة الشبه بقريتنا .. تلك التي ماتت فيها امي .. لكنها تختلف عن قريتنا بان فيها كهرا .. وحينما دخلتها .. ولم يكن لها بوابة .. لم اجسد شرطيا في انتظاري .. كانت كوكبة هزيلة من الكلاب تنهطح في ظلال جدران مهدمة .. في مدخل القرية .. تعدد في وجهي .. وهي تلهث باعيا بالغ .. لم يعترضني احد .. ولم يسألني احد .. عن جواز السفر .. ففرحت كثيرا .. ورحت اجوب شوارع القرية .. لكن عمون الناس المظلة من النوافذ .. كانت تحدثني في بشكل يفوق حد الفضول .. وخلال ايام قليلة .. عثرت على حجرة صغيرة .. اقامت فيها .. وكذلك استطعت الحصول على وظيفة في بلدية القرية ..

في الهداية .. شعرت بفرح عظيم لحياتي الجديدة .. بعيدا عن الطرقات والخوف .. وكدت انسى امي .. لكن الحجرة الصغيرة التي اقامت فيها .. بدأت تثير في خوفا .. فكل ليلة .. تتناهى الى اسماعي .. اصوات مخيفة .. لا سيما في ليالي المطر ..

خطواتي ترن في الشارع .. بوقع شديد .. بوضوح .. اسمع اصداها المرتدة عن الجدران .. مختلطة بريح خفيفة .. بدأت تهب .. وتضرب الشارع .. الصافى ما زالت .. خطوات قليلة .. واصل .. اصوات فرحة .. مخمورة جذلي .. تتناهى الي من الشوارع الخلفية .. افتح اذني .. احاول ان اسمع ما يقولون .. احاد يشهم كثيرة ومتشعبة .. معظمها يدور حول الذهب والنساء .. احاول ان اصفي باهتمام لحديث يبعدني عن الخوف .. لكنني اغسل .. فسرعان ما تقع عيناى على العتمة التي تغرق الشارع .. والاشكال الرهيبة .. التي يرسمها الضوء على الجدران ..

المسافة .. أصبحت خطوات قليلة .. واصل ..
انني اندفع بسرعة .. اليه بشدة .. عروقي تنبش بعنف .. باب العجزة الخشبي .. المظل
على طرف الشارع .. يدي وكفم وحش اسطوري يستعد لا يتلاعي .. قدماي تصعدان الدرجات
القليلة المؤدية الى الباب .. انني اصبحت وجهها لوجه امام الباب .. دفعته بعنف .. طاح
خخ .. صدى الدفعة يتردد في ارجاء الحجرة .. نفحة هواء باردة تنفذ الي من خلال
النافذة الوحيدة المفتوحة .. تخترق حلقي .. وتنسرب الى رئتي .. الحجرة مظلمة ..
واشياي المتناثرة في زوايا الحجرة تغرق في عتمة كئيبة .. يدي تمتد الى مفتاح النور ..
وتتوقف فوق المفتاح .. اكاد انسى ان الكهرباء ممنوعة بعد العشاء .. ثمة بقعة ضوء صغيرة
.. ترسم على الجدار .. لا بد انها آتية من عمود الكهرباء في الشارع الخلفي .. النجم
ما زال يملأ أذني .. وعروقي ما زالت تنبش بشدة .. وانا ما زلت اقف بالباب .. عيناى وحدهما
تدوران في ارجاء الحجرة ..

احس بحاجتي للجلوس .. اتقدم بضع خطوات .. اتحسس معالم سريري الحديدى .. حديد
السرير في غاية البرودة .. واجلس لحظة .. استمع الى انفاسي التي تتلاحق بعنف وسرعة
.. وقليل .. قليلا .. احس بالهدوء .. ورغبة ملحة الى سيجارة .. بقايا سيجارة ترتسي
في جيبي .. اشعلها .. انني اقتصد عادة في السجاير .. اشعر براحة .. وانا انفست
الدخان ..

فجأة .. ندت من الشارع صرخة مروعة .. اعقبها ربح قوية .. بدأت تضرب النافذة بعنف
.. واخذت الستائر على النافذة .. تتلاطم في حركة فوضوية ..

احسست برجفة عنيفة في يدي .. وقمت بسرعة الى النافذة .. واخرجت رأسي اطل على
الشارع .. الشارع هو .. هو .. يغرغ في العتمة .. ولا شيء جديد .. سوى الريح
.. ومعنى حيات المظلم .. التي اخذت تتساقط بتكاسل واعياء .. فهدت الى السرير ..

واخذت اقنع نفسي .. بان ما سمعته .. لا يتعدى صرخة وهمية .. اطلقها رأسي .. نتيجة
خوفي الشديد .. لكن .. الا يمكن ان يكون هذا الشارع .. "مسكونا" كانت امي تقول
لنا ان الارض كلها مسكونة .. تسكنها اجيال عديدة من البشر .. بعضهم مات موتا
طبيعييا .. وبعضهم جسدتهم الاوثة .. والبعض الاخير ماتوا شهداء في الحروب ..
وهؤلاء يعودون للظهور على مسرح الحياة في الليالي الممتمة .. الماطرة .. ليسوا كلهم

يعودون .. الذين ماتوا في الحروب فقط ..

ولكن لماذا يعودون ؟

ربما لانهم تركوا الحياة وهم الشوى اليها ..

حركة الريح في الخارج : تصخب . . والمطر يتساقط بغزارة . . وستائر النافذة تتلاطم بعنف . .

جسدي يرتجف تحت الاغطية . . النوم يستعصي علي . . وعيناي مسمرتان علي بقعة الضوء الصغيرة . . المرتسمة علي الجدار .

الليل يمضي بشقل مميت . .

في اللحظة الواقعة بين الاستيقاظ . . والنوم . . خيل الي ان الجدار ينشخ . . ويحدث فيه خط طويل . . لم يلبث الخط ان امتلأ بشبح اصفر طويل . . رأسه في بقعة الضوء تماما .

صخ الشبح بفضب :

- ماذا تعمل في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل . . ؟

- احاول النوم . .

- ولماذا تحاول . . لماذا لا تنام . . ؟

- النوم يستعصي علي . . .

صاح الشبح بحدة :

- اذا . . انت كثير الخطايا .

- كثير الخطايا ؟ !

- وجبان ايضاً . . استغفني ! . . انني اعرف كل شي . . لو لم تكن من الخطاة . . وتشعر

بوخز خطاياك . . لاستطعت ان تنام .

- ولكن . .

- اخرس . .

.....

- قل لي . . ماذا كان عليك اليوم ؟ . . .

- كالمعتاد . .

- تغرق في المخاوف . . والتفاهات الصبانية . . اليس كذلك ؟

- لا يا سيدي . . انني انظف شوارع القرية . .

قهقهة الشبح .

- الحيوانات تقوم بمثل هذا العمل المهين . .

- اذا . . ماذا اعمل ؟ . .

- اذا كنت لا تعرف ماذا تفعل . . فيجب عليك . . ان تموت . . وتدفن نفسك في مزلة . .

.. انه لأمر خطير ان لا تعمل بنا هذا .. ويسكت الشيخ لحظة .. ثم يضيف ..
غريب انت ايها المقرر الخائف .. ومسكين كذلك ..
الخوف يقتلك .. ولا تدري ماذا تعمل ! .. لا يكفي ان تنظف شوارع القرية ..
- اعدك يا سيدي .. انني سأبدأ العمل .. منذ الصباح ..
- انا لست سيديك .. ولا ارضى ان اكون ..
- اذا سأعمل في الصباح ..
ويضحك الشيخ
- في الصباح .. اليس كذلك ؟ ..
.....
ويضيف الشيخ بغضب .. وحدة
- اسمع يا هذا .. انني اقرأ ما في نفسك .. انت تزعم الرحيل .. لكنني انهيك .. لا
فائدة في الرحيل ..
ويتراجع الشيخ قليلا .. قليلا .. وهو يقول :
- لا فائدة في الرحيل ..
وفجأة .. يعود الشيخ قطعة من الجدار .. لكن بقعة الضوء الصغيرة تظل
مرسومة عليه .

القصة الرمزية

عبر تيارات القصة الحديثة ، التي شقت طريقها الى ادب الشباب ، برز لون جديد من الفن القصصي ، كان زكريا تامر قد بلوره ، وجعله أشبه بمدرسة قائمة بذاتها ، ذلك هو فن القصة الرمزية الهادفة ، التي تقوم على اساس كامل من الحضور التاريخي ، يتم عن طريق دورة عكسية للتاريخ ، بقصد معالجة الواقع وتصويره ، وقد برع " جمال ابو حمدان " (١) في هذا اللون فهو في قصته " يوم دفن الملك المنذر بن ماء السماء " (٢) يلصق الواقع ويشير الى بعض مفاسده ، وذلك عبر دورة عكسية للتاريخ تبدأ بيوم دفن الملك المنذر بن ماء السماء ، كما انه

(١) أنظر قصة : أمثلة الديناصور / صوت الجبل / العدد الرابع / ص ٢٤ .
حكاية معاوية بن ابي سفيان / صوت الجبل / العدد الثاني

ص ٢٢ /
(٢) أفكار / العدد السادس عشر / ص ٩٦ .

يعتمد في بعض الأحيان على كشف الواقع الفاسد عن طريق اناس عاديين ، يقابلهم في مكان ما ، كما في قصته " يوم الرحلة " (١) . وقد أعطى " محمود سيف الدين الإيراني " رأيا مطولا بموهبة جمال القصصية إذ قال : " ان طابع جمال ابو حمدان ارادة التجديد ، والانحراف فيه ، فهو يعيل كثيرا الى الرمز والسريالية والتجريد أحيانا ، وفي هذا خطر ومزالق اذا لم يكن الكاتب متمكنا من اتجاهاته ، واحسب ان جمال ابو حمدان يسير بخطى ثابتة نحو اهدافه القصصية في المجال الذي ارتضاه " ، . . . ، ويردف الإيراني " ربما كان غيري اقدر مني على تذوق قصصه ، فان عدوا من النقاد الشبان يرون انه يغلف قصصه بجو من الشعر حتى ليصبح جزءا أساسيا من المناخ القصصي ، ويرون كذلك ان قصصه في هذه المجموعة (٢) لها محوران هما : الجنس والبرائة ، وهذا صحيح فيما اعتقد ، كما ان جمال ابو حمدان يأخذ في ادائه الفني ، بتداعي الخواطر وتيار الوعي ، وتقطيع الزمن والرمز واسقاط التفاصيل والتداخل في الشخوص اثناء السيان " (٢) .

. . . وقد اخذنا نلمس - في الاونة الاخيرة - تبلور موهبة شابة تتعامل مع هذا اللون من القصة ، على أساس كامل من الحضور التاريخي المعاش ، تلك هي موهبة " يوسف صالح يوسف " الذي ينفذ في قصة الى التاريخ وفق زاوية من الرؤية محددة ، ليقفز به الى اللحظة المعاصرة ، متخييرا من الماضي ما يخدم الحاضر كما في قصصه " الراكبون الى بيت المقدس " (٤) " الطرودى الصغير " (٥) . . . كما ظهرت توجيهات من هذا القبيل لدى " هند ابو الشعر " وذلك في قصتها " الخروج الى صفين " (٦) .

. . . ، الا ان " جمال ابو حمدان " يعتبر بحق ، رائد هذا اللون من الكتابة الابداعية وقد اختاره " عصام محفوظ " (٧) ليكون ممثلا عن الاردن في " دفتر الثقافة العربية الحديثة " الصادر عن دار الكتاب اللبناني ، الى جانب زكريا تامر من سوريا ، الطيب الصالح من السودان ، يوسف ادريس من مصر ، محمد زفراف من المغرب ، توما الخوري وتوفيق يوسف عواد من لبنان ، وخالد الراوى من العراق ؛ . . . ولعل اكثر الراء تعريفا بجمال ابو حمدان ان يكون رأى

(١) أفكار / العدد الثامن عشر / ص ٩٦ .

(٢) يقصد مجموعة جمال ابو حمدان (احزان كثيرة وثلاثون) الصادرة عن مواقف .

(٣) ثقافتنا في خمسين عاما / ص ١٥٣ .

(٤) الرأى / الجمعة / ٣٠ - ١٩٧٤م .

(٥) عمان المساء / العدد ٦٢٢ / ٢٤ - ٦ - ١٩٧٤م .

(٦) ما زالت مغلوبة .

(٧) ناقد وشاعر واديب وصحفي لبناني معروف .

الدكتور "فواز طوقان" الذي كتب يقول (١) : "جمال ابو حمدان . . . اديب بمعنى الكلمة، لن تفهم قصصه الشعرية الا من قراءة واحدة، فاذا غابت عنك، اتركه - جمالا - واستلم غيره وليس ذلك بعيب . . . فاعلم الناس يحبون الاشياء على الخفيف اما اشياء جمال فعلى الثقيل الثقيل . . . قرأته عرضا عام ١٩٧٠ وأقرأ احزانه الكثيرة وثلاثة غزلان كل سنة مرة او مرتين، حقا انه رائع، فنان من الطراز الرفيع، حينذ الوتاج لي الفرصة لاكتب عن قصصه شيئا اقربها الى الناس بحيث يفهمونه من القراءة الاولي والاخيرة . . . درست كتابه في الجامعة سنتين وكان الطلبة يرفضونه او يقبلونه وفي كلا الحالتين موقفهم جيد منه ان الادباء الذين تضطرب لا تخاذ موقف تجاههم قلائل . . . اذا اردت ان تفهم جمال ابو حمدان على حقيقته اقرأ كتابه "احزان كثيرة وثلاثة غزلان" متبدأ بقصة الحلم ثم انتقل الى آخر قصة وعد القهقري واعتقد جازما انك ستقف عند قصته، "الطوفان" طويلا . . . وعند "سبارتاكوس" طويلا وعند "ابو ذر الغفاري" طويلا . . . وستجد ان قصصه الشعرية ما هي الا مقالات في الحياة صاغها بترف لغوي عميق لا يتذوقه الا المتمرس على اللذة الفنية . . . كم انا سعيد باكتشافها في لقصص جمال وعثوري عليه في الأردن ولقائي به شابا في مقتبل العمر - حقا سالتني به كثيرا في المستقبل وسأسعد بما يعطينا من طعام فني لذيد . . . وجمال متنوع الاداء الفني . . . فهو شاعر وهو قصصي وهو ناثر اديب وهو اول كاتب مسرحي معاصر في الاردن . . . وهذه الراء الاخيرة في منتهى الجودة، لكن ظروفنا القاسية في الاردن حالت وما زالت تحول دون تمثيل مسرحياته امام الجمهور مع انها نالت الاعجاب الشديد والتقدير الصادق عندما مثلت في دمشق ونالت الجائزة الاولي في مهرجان المسرح المقام هناك . . . واقول عن جمال انبه احد ادبائنا المعاصرين الذين وصلوا الى حيث يريدون وبدأوا الرحلة الطويلة في ميادهم الاقليمية".

. وقيل أيام من نشر الكتاب المذكور " دفتر الثقافة الجبرية الحديثة"، صدرت افكار وفي طياتها قصة من هذا القبيل بعنوان "لما فارقت الشمس" (٢) لمزمي خميس القاص الذي يظهر على الساحة المحلية ول مرة . . . ان ينطلق القاص في قصته هذه من قاعدة "الحضور التاريخي" لشخص "هارون الرشيد"، "مخترقا" اللحظة المعاصرة، "محلقا" في اجواء النفسية العامة للانسان العربي التي تقوم على اسس كاملة من العادات والتقاليد المتجذرة في النفوس والتي لا تتغير بتغير العصور . . . ولا نستطيع ان نذهب بعيدا في تأويل هذه الموهبة، ولكننا نتوقع -

(١) عمان المساء / العدد ٦١٩ / ١٨-٣-١٩٧٤م

(٢) العدد ٢٤ ص ١١٢

اذا ما سارت على النهج ذاته - ان تأخذ شكلا معيضا يساعد على تعميق مجرى هذا التيار،
وايا كان الامر، فان هذا اللون من الكتابة، يدل على دراية بالتاريخ وتفهم كامل للواقع،
وبالتالي، لن يقدر عليه إلا الفنان المطرم .

مختارات قصصية للقصيدة الرمزية

يوم دفن الملك المنذر بن ماء السماء
بقلم الكاتب جمال ابو حديدان

قلعت صمنا طويلا ، وقلت : " كان المنذر بن ماء السماء ملكا عظيما " (١) .
صاح بي ، : كيف عرفت ؟ اني دائما تبدي حماسا لا مورا تجهلها .
تقدمت منه بهدوء ، وعرضت امام وجهه كتاب تاريخ كنت اقرأ فيه .
خرب الكتاب من يدي ، فالقاه ارضا ، وقال : " كل كتب التاريخ تكذب " . واندفع نحو الباب ،
ورماني عنده بنظرة حانقة ، ثم خرج . ولم اراه بعدها لزمن .
اعدت الكتاب الى الرف ، ثم جلست في ركن معتم من الغرفة : ولحظتها تذكرت اليوم الذي
جاءنا فيه نها موت المنذر بن ماء السماء .
توافدنا جميعا ، وتدافعنا حول القبر المفتوح لاستقبال جثمان الملك الراحل ، في انتظار وصول
الموكب الجنائزي .
هناك حول فوهة القبر التقيت به لأول مرة . احسك ككتفي بكتفه . نظر الي واعتذر ، فقبلت اعذاره
مبتسما غير انه زام مقبا ، ان لا يهدر بي ان ابتسم في مثل موقفنا .

(١) المنذر بن ماء السماء ، ملك من ملوك العرب في الجاهلية . قرأنا في المدرسة الابتدائية ،
انه ملك الحيرة بعد قتل الحارث الملك العربي المنافس في حروب دموية جرت اليهسا
قبايل العرب . ثم حمي بني صخر بعد ان ساعدهم في قتل الملك حجر بن الملك
الحارث . وحين قام الشاعر امرؤ القيس لثأر ابيه الملك حجر ، امتدت الحروب من جديد ،
وكان المنذر عدوا لأمير القيس وحاميا لخصومه وقاتلي ابيه . انما كان المنذر قويا بتحصيته
لكسرى الفرس ، ومحميا منه . الامر الذي دفع امر القيس حين يثس من بلوغ ثاره ، الى
اللجوء الى قيصر امبراطور الروم .
ولكنه مات بعيدا وغريبا ، دون بلوغ الثأر . ومات المنذر بعده .
وبقي كسرى وقيصر .
علاقتي به فنية . ان حين قرأت عنه في المدرسة انما اعجبني اسمه كثيرا .

وحيث وصل الموكب ، تدافع الناس كثيرون ، فدفعني بكتفيه ثانية ، فكاد يسقطني في القسير ، ولم يمتدرك ، فحققت عليه .

غير اننا عدنا وتمازفنا ، وصرنا اصدقاء ، بعد ان حدث في اثناء الدفن ما حدث .
فحين سجي جثمان الملك الراحل في القبر ، وقفنا حوله نتواشعنا الدفن ، وفيها مقاليع من الفاتحة الى جانب شعائر كانت معروفة في الجاهلية ايام المنذر ، ثم بعض التراتيل المعاصرة كلها مختلطة ، غير ان اصواتنا كانت خاشعة والحزن يطمها .

هذا الملك المسجي طولا ، ان توتر جسده واسترخى عدة مرات ثم حملت فينا واسماء ، وراح يستعرضنا بنظرة في دوة واسعة حول فوهة القبر ، وهدت ظلال خفيفة من الازدراء ، تشوب بياض عينية ، فراح يستشم ، حتى كاد ينفجر ضاحكا .

ولما كنت غير قادر على رؤية الشهيد من وجهة نظره ازعجني الامر ، وفكرت : الا يستطيرع الانسان ان يحترم لحظة موته على الاقل .

هنا سحبتني يد من الخلف يقبوه ، استدرت فاصطدمت عيناي الهلعتان بلامح جافة لرجل سمعني وانا افكر ، فلكنني علي كفتي ، وقال : " انه ليس انسانا ايها الصعلوك . انه المنذر بن ماء السماء " .

وخشية ان نمكر جلال الموقف ، تركني الرجل متوعدا : " ساصفي حسابي معك " .
حاولت ان اعود الى مكاني غير انني وجدته محتل من الشاب الذي كان يدفعني بكتفه . ومكانه قد احتل من جاره . . . وهكذا .

اما الرجل القاسي الملامح فلم يصف حساباه معي ، اذ ان جلال الموقف انساه الامر برمته .
وقد بقيت في الصفوف الخلفية وعلمت انه قد حدثت عند حافة القبر امور لم تتكشف لي تفاصيلها في نفس اليوم .

فبعد ان انفجر المنذر من الضحك ، تجهم في وجوه القوم ، ثم تحسن سيفه ، ورفعته السبي اعلى .

(وكانت المادة في كل الجاهلية ، ان يدفن سلاح الملك معه ، وقد امتدت تلك العادة بعيدا في الزمن ، ولولا ان تم استبدال السيف بأسلحة لا يمكن دفنها في رطوبة القبور ، لما هجرت تلك العادة) .

رفع المنذر سيفه ، ولوح به . ثم غمز بطرف عينه احد الواقفين ومد اليه السيف ، وهتف به :
" خذ . اعبك اياه . اضر فيه في ساحة الوغى ، وتذكر انه سيف المنذر بن ماء السماء " .

وهدل ان يمد الرجل يدا يتناول السيف . راح يرتجف ، واخذت اسنانه تصطك .

غضنم المنذر : " ايها الهيجان " ، ومد سيفه الى رجل آخر ، فلم يتناوله وتراجع هاربا .
وراح السيف يدور على الجميع ، دون ان يمد احد يدا اليه . وكان الكل يتراجعون بخسوف
ظاهر ، فلم يبق غير قلة على حافة القبر .

" وقد احتقنت اوداج المنذر ، وراح يرغي ويزيد " .

وهنا تقدم شيخ من حافة القبر ، فوقف فوق رأس الملك الراحل ، وخطبه ببراطة جاش
مباغتة :

" يا مولاي ! لا حاجة ياخذ للسيف ، لقد انتهت الحرب " .

صاح المنذر : " ليكن . اريد رأس ذلك الملك الضليل " .

قال الشيخ : " لقد مات ابو القيس قبلكم " .

زمجر المنذر : " الجيان ! راغ مني ، ومات بعيدا عن حد سيفي " .

قال الشيخ : " بل ترك قبل ذلك القتال . ونسي ثار ابيه وعاد الى الخمر والشعر " .

وهنا ارتفع صوت رقيبي مملوط من الخلف : " لقد نظم قصائد على قبر غريب . وتذكر
فاطمة ، ثم مات " .

زمجر المنذر محنقا : " ليكن . اريد ان ينش قبره ، ويقطع رأسه بسيفي " .

قال الشيخ : يا مولاي . تقاليدنا لا تسمح بنش القبور .

استشاط المنذر غضبا ، وصرخ : " هل تعلمني تقاليدنا ايها الرجل . اين قبره " .

وكان الشيخ طوال الوقت يتفرس في وجه الملك الراحل ، وحين احس انه يشارف على الانفجار

بالهكاه ، كظم غيظه وقال يهدو : " لا أحد يعرف . لقد مات وهو عائد من عند قيصر " .

وما ان سمع المنذر الاسم حتى تبست ملامحه ، وبعدها انهال بسباب مقذع ، ثم صاح :

" قيصر ! ابن حجر يستعدي على قيصر . ويل له " .

وهنا تقدم محاضر في القانون الدولي ، جاء خصيصا للاشتراك في مراسيم الجنازة ، فمدل

وضع نظارتيه ، وقال : " يا مولاي . تعرفون انه ما كان له ان يذهب الى كسرى العظيم .

فكسرى كان يحميكم " .

انتفض جسد المنذر انتفاضة عنيفة ، وصرخ : " كسرى يحمينا . اللعنة عليك " . ثم توجه

بخطابه الى الجميع : " انكم تستغلون ما اعطيناكم من الديمقراطية ، لقد فهدت هذه الادعاءات

في وجهنا . عليكم اللعنة جميعا " .

ولولم يكن المنذر بين ماء السماء ميتا ، وغير قادر على النهوض بحكم ذلك ، لو شب واعسل

سيفه في رقاب القوم :

غير انه بدا في حالة هزيمة من الهيجان ، وحين بدا يهدأ زاغت عيناه عبر فوهة القبر .

وراح يردد :

"كنتم تتلقونني . كنتم مع ابي القيس . تحفظون شعره ، وقلوبكم معه ."

ثم صار جسده يرتعش ، فانقلب على وجهه في قاع القبر ، واجهش بالبكاء . وكان نشيجه يسمع عاليا ،

كنت في مكاني اسمع اصواتنا . ولكني غير قادر على معرفة جلية ما يجري . وقد عرفت التفاصيل فيما بعد ،

از بعد الذي حدث ، ايتهد القوم معشرين في كل اتجاه وكل منهم مثقل بهم ، تاركين القبر مفتوحا والملك المنذر مسجي فيه دون ان ينثروا فوقه التراب . والسيف ملقى في زاوية القبر ، ورأسه مفروس في التراب الرطب .

وقد لحقت بالشاب الذي اجثل مكاني ، وسألته : "ماذا حدث ؟" .
قال : "ولماذا اخبرك ، كنت هناك ."

قلت : لم اسمع كل شيء .

قال : يكفيك ما سمعت .

قلت : لم اعرف شيئا تقريبا ، كنت في الصفوف الخلفية .

قال : نلت نصيبك عناك .

قلت : انت اخذت مكاني .

قال باستخفاف : "لا تبتأ باللوم . لانك غير قادر على الاحتفاظ بموقعك ."
فافتقرت عنه مهموما .

وفي فجر اليوم التالي ، رحنا نتوافد على القبر ، فوصلنا جميعنا كانا على موعد ، لنكمل مراسيم الدفن ، ونهيل التراب على الجسد المكشوف .

وقد راعنا ان وجدنا ان القبر قد غطي بالتراب ، وسوى جيدا ، ووضع عليه الشاهد . وظلت الحيرة معلقة فوق رؤوسنا في موقفنا ، وبعد فترة صمت ثقيل ، وقيل ان يتساءل احد بصوت مرتفع عن الامر ، راح الناس يتراجعون معشرين .

وكان مصير السيف يشغل بالهم جميعا : "هل دفن مع الملك ؟ ام اخذ بعيدا ؟" .
ولم يجروا احد ان يرفع ذرة من تراب القبر من مكانها .

وتفرق الجمع بهم اكثر ثقلا من هم الامس . ان كيف سيعرف مصير السيف ! ففي ذلك الزمان كانت سرقة قبور الموتى منتشرة ، ولم يكن القانون يعاقب عليها .

وفيما كان الناس ينصرفون ، لمحت الشاب ثانية ، فحاول ان يروغ مني ، غير اني لحقت به ورجوته ان يسمع لي . فقال انه لن يزيد شيئا على ما قاله بالامس .

قلت : "ولكن ماذا تعتقد بشأن السيف ؟"

استدار ، ورمقتني بغضب ، ثم امسك بكتفي ، وراح يهزني بعنف : "ولماذا تسألني ، كيف اعرف ."

قلت بعد ان هدأ : " اقسيم ، لم اقصد سوءاً . ولكنك انت الذي اخذت مكاني " .

همهم بن فاذ صبر : ههوه ، ومشي .

لحقت به وامسكت بيده ، ورحبت اتوسل اليه بضمة :

" قل لي شيئاً . كيف اكون شاهداً على حدث لم اعرف تفاصيله " .

نفخ يده ، وقال : انصرف عني . انك تضايقتني " .

توسلت : ارجوك .

استدار الى الورا حيث خلفني ، وقال : " اسمع هل تنصرف اذا اختصرت لك الامر ؟ : كان

المنذر بن ما السما ملكاً عظيماً . ثم مات " .

وتركني ومشي . فركضت حتى تجاوزته ، ثم واجهته ، وركعت كما رأيت فرسانا في القرون الوسطى

يفعلون وقلت بحماس : " ملك عظيم ؟ بالطبع أنا ايضاً كنت دائماً مولعاً باسمه . كنت احب

رنة اسمه الشجيرة " .

انفجر ضاحكاً وقال : " هل انت شاعر ؟ "

انست لضحكته ونهضت : لماذا ؟

قال : الشعراء يتحدثون هكذا ؟

وما كان يكمل عارته ، حتى احسست بقبضة عنيفة على كتفي تجرني الى الورا .

وحيث استدرت رأيت وجه قاسي الملامح صرخ بي : انت شاعر ؟

اخذت ارتعد ، وتيسر لي فلم اقوى على الاجابة ، فتقدم الشاب ، وقال محاولاً اقناع الرجل

الممسك بي : " لا انما كنت امازحه . لا يمكن ان يكون شاعراً . بل يبدو رجلاً طيباً ومسالماً " .

فترأخت القبضة على كتفي ، وقال الرجل بخشونة : سأتركه بكفالتك ، ولكنني سأصفي حسابي

معك " .

ولم يصف حسابي معي حتى الساعة .

اما الشاب الذي صار صديقاً ، فان الموقف قربني منه ، ان بدوت في حالة من الذعر ، أحس

هو انه قد سببها لي .

فسرت الى جانبه ، وبعد قليل ، راح دون ان ارجوه يروي لي تفاصيل ما حدث عند حافسة

القبر . ولم اعد حانقاً عليه لانه احوال مكاني .

وحيث وصلنا الى غرفة احدنا ، دخلنا وتناولنا مشروباً ، وتحادثنا طوال الليل حول المنذر

بن ما السما ، فاختلفنا وتلاقينا ،

وصرنا كل يوم نلتقي ، نتحدث عن الملك المنذر ، وحيث نصل نقطة افتراقنا نتناقش بحرارة

وحدة .

غير ان ما كان يشغلنا انما كان امر السيف ؟ ان كنت اعتقد انه سرق من القبر . وكان هو يرى انه دفن مع الملك . ثم احيانا ارى انه دفن مع الملك . وكان يعتقد ان السيف لا يسرق انه سرق .

هكذا صار لدينا موضوع مشترك نقاسم جميع الناس الاهتمام به . وتحدثت حوله ؟ فنختلف ثم نتفق فنشرب فرحين باتفاقنا .

وتصرفنا اذمان علينا . وبين يدينا قضية تخصنا .

وذات يوم تحاورنا حتى سقطنا من العيا في صمت مطبق . وحين عدنا نلتقط انفاسنا قسالا : " اراهن ان السيف سيظهر يوما ، لا بد انه سرق . وطينا ان نشظر الزمن الذي سيظهر فيه . لا بد انه يلوف الان من يد الى يد . وسيظهر يوما في يد نتعرف فيها اليه " .

قلت ، وما زلت الهتت تعبنا ، اذ ان كان نفسي اقصر منه : " لا اظن . لقد دفن . فالمنذر قادر ان يمسك به ميثا بنفس القوة التي امسكه بها في حياته " .
قال سترى :

وصمتنا ، ورحنا ننتظر ، والا يام تهر ، حتى اختلفنا على الصورة الجارحة التي رسم فيها كتاب التاريخ من يدي ، فافترقنا لزمن طويل ،

منذ زمن فتح الباب ، وكنت ازال جالسا في الركن الممتم ، اتذكر وأتأمل .
دخل مند فمصا ، وقال بحماس : رأيت ؟

وروى امامي كوما من الصحف بلغات متعددة ، غير انني لم اتناول ايا منها ، ان ان مكاني في زاوية شحيحة الضوء ، لن يمكنني من القراءة .

فاكمل بحماس : " قلت لك سيظهر . انه سرق ، وما هي اشارات ظهوره " .

اما انا الذي كنت اثناء غيابه قد فقدت حماسي ، فلم اقل شيئا . فأكمل : " الكل يتحدثون عن ظهوره . ولفات مختلطة ، انهم يصورونه باشكال مختلفة ، ولكن لا بد ان يكون نفس السيف " .

قاطعته بوهن ، وندمت : " وما ادراك انه هو " .

وكنت اراقبه فدا مرتكا قليلا : " اظن . لا بد ان يكون هو نفس السيف . اعتقد . الا صبر واضح . بالتاكيد . الا ترى ان الامر واضح " .

لم اجب . فقال : " لا بد ان يكتشف الامر لك . انتظر . سيكتب التاريخ . التاريخ لا يكذب " .

فتحت عيني على اتساعهما ، ومقت صامتا .

ويبدو ان صمتي قد غاظه ، فقال : " لن تصدق . اعرف حقيقة مشاعرك . كنت دائما تحب امرا القيس " . ارتعدت خوفا : " واكمل : " بل انت نفسك شاعرا " .

فالتصقت بالجدار . ثم قال بحيوية متجاهلاً خوفاً " سأتيك انا ، انا بنفسى ، بالخبر اليقين ، وسترى وستقرأ بعد اجيال عن ذلك . الامر واضح " .
استدار . واندفع خارجاً .
وهتى الان لم يعد . في بداية الامر بقيت خائفاً ، وملتصقا بالجدار لزمان طويل . وحين استطعت ان اتحرك واصلت الى الزاوية ، بقيت خائفاً ان يرسل الي احد الرجال يجرني خارجاً من الزاوية التي اقيمت . وما زلت خائفاً .
ولكنى الان ، اجلس غالباً في نفس الزاوية الشحيحة الضوء ، انتظر واتذكر ، وحين اكون قادراً على نسيان يوم دفن الملك المنذر بن ماء السماء ، اذهب بمهملنا وأتأمل .

الرومانسية المتجددة

يكاد تيار الرومانسية المتجددة يغلف نتاج نصف الحركة الادبية الشابة ، على صعيدى ، الشعر والقصة ، ويتمثل هذا التيار - على صعيد القصة - بمجموعات " فايز محمود " ، " مفيد توجليبي " ، " عصام موسى " القصصية ، . . . ، اما مجموعة " فايز محمود " (١) فتتكون من عشر قصص قصيرة ، يرتبط تسع منها بخيط نفسي واحد ، وتعبر عن ظاهرة الاغتراب النفسي التي يشعر بها انسان القرن العشرين ، وتدور في مجملها حول بطلها " محمود " وحببته " انعام " ، وقد بالغ الكاتب في لغته ، فاعتيد اسلمها انشائيات - في عالم القصة الحديثة - غير مستحب ، كما طغت الحكم والتعابير الفلسفية والجمل الخطابية على السطح . . . هذا ، وقد اعطى الايراني تصوراً عاماً لموهبة فايز محمود القصصية فقال : " وفايز محمود يرتفع حيناً ويهبط حيناً ، يجيد الوصف ولكنه يفرق فيه ، وقد يقع على صور تعبيرية جميلة وموجبة ، ولكنه يزعج بشخصية في مواقف مستحيلة ، وتأخذ عليه الخطرات النفسية سبيله جميعه ، وهو لم تمكن من تركيز هذا كله وضمه لبلوغ شأواً بعيداً في الاجادة " . (٢)
. . . . الا ان رأي الايراني هذا انما ينسحب على ما قرأ من قصص للكاتب قبل ان يصدر مجموعته ، ذلك ان كتاب " ثقافتنا في خمسين عاماً " - وفيه اورد الايراني رأيه - قد صدر عام ١٩٧٢ ، وبينما صدرت مجموعة " فايز محمود " القصصية عام ١٩٧٣ م ، الامر الذي يؤكد استحالة الخلاع الايراني على بعض النقلات الموفقة لفايز محمود من بحر الرومانسية الى شواطئ الواقعية ، كما في قصة " طريق جيمس الى العاصمة " . . .

(١) ثقافتنا في خمسين عاماً / ص ١٥٥ .

(٢) نشر رأيه في الرأي / الإثنين / ٣٠ / ٤ / ١٩٧٣ م / ص ٨٤ .

...، ولعل رأي "خليل السواحري" (١) في مجموعة "فايز محمود" ان يكون من اكثر الآراء التي كتبت في هذه المجموعة اجحافا، ربما، لأن خليل السواحري قد وقع تحت تأثير فرضياته المسبقة عن هذا الكاتب، ذلك انه قدم لنا المؤلف على انه كاتب مقالات فلسفية، يخلق كثيرا في بعض المعضلات الميتافيزيقية البهتة، معتمدا في ذلك على بعض المقاطع الفلسفية التي يوردها المؤلف في إسيان، والتي تتسجم في معظمها مع القلق الذي يلف شخصه، وانطلاقا من فرضيته تلك يهزم السواحري بان "العبور بدون جدوى" : "امتداد لتلنك المعالجات النظرية، شبه المعقدة والغامضة والتي سبق وان طرحها فايز في كتابه السابق "الحقيقة بحث في الوجود" الصادر عام ١٩٧١م. ثم يتدارك السواحري رأيه هذا، فيجمله ينسحب على سبع قصص فقط، ويرأ ثلاث قصص هي "الانواء"، "الحنين" و"طريق جيمس الى العاصمة"، فيعتبرها - لخلوهما من المقاطع الفلسفية - خيرا ما ضمت هذه المجموعة من قصص، فكأنني بالزميل خليل، يعلن عن رفضه للادب المتفلسف، ذلك انه يمتقد ان "محاولة شرح النظريات الفلسفية ووجهات النظر الفكرية المجردة، يحتمل في طياتها اخطار الانزلاق وراء التجريد وتحويل العمل الادبي الى اوعية ميتة واطر جامدة يحشوها الكاتب بالاراء الخارجية والتي تطفح بونها فيه او حياة على لسان ابطال القصص او المسرحيات دون وجود ما يبرر هذا الطفح في سبيل الحدث او الشخصية او الموقف الذي توضع فيه تلك الشخصيات، وعليه فان رفض السواحري لهذا النوع من الادب، وبالتالي، رفضه لمجموعة فايز محمود، انما يعود الى تصور مسبق، غير دقيق، يقوم على ان الفلسفة لا تصلح لان تكون ميدانا للابداع الادبي، وكرد على الكاتب السواحري نقول : ان زاوية الرؤية التي يختارها الانسان، ليوقف فيها، ويحدد وفقها توجهاته وتطلعاته، تعتبر بحكم المنطق "الفلسفة"، ذلك لان الفلسفة شيء نسبي، لا يرتبط باصطلاح او باوعية خاصة، فكتابات "نجيب محفوظ" الاخيرة - كثرثرة فون النيل وما تلاها - تعتبر من اكثر الاعمال ادبية، العربية، طرحا لموضوعات الفلسفة، كما ان الواقعية - حتى تلك التي يؤمن بها السواحري - لا تزيد عن كونها "فلسفة"، وعليه فان حكمنا على عمل ادبي ما بانه يتضمن فلسفة اولا يتضمن، لا يرتبط بالاقا ولا يجوز ان يرتبط بعدد الاصطلاحات الفلسفية التي وردت فيه .

...، هذا ولمسنا اصداً رومانسية "فايز محمود" في مجموعة "عصام

موسى " (١) القصصية ، اما مجموعة القاص " مفيد نحلة " (٢) فتسير قصصها عبر خيوط
بياني واحد ، يبدأ بمقدمة وينتهي بحبكة وينتهي بخاتمة ، وقد حرص الكاتب على اعتماد هذا
الخط في قصص المجموعة بكاملها ، كما اعتمد اسلوبا انشائيا اقترب في معظم تشبيهاته من
الشعر ، كما كانت افكار قصصه - في غالبيتها - حكاياعادية ، تقوم على الثأر والاخذ به ، أخفق
الكاتب في تلوينها واعادة تصويرها على نحو من مفاهيم القصة الحديثة .
وايا كان الامر ، فان " فايز محمود " سينظلي على رأس كتاب القصة عندنا ، بالرغم من مفهومته
الخامس للواقعية (٣) وتظهر في الآن كلمة كتبها " صبري حافظ " في الاداب ، وفيها
يعطي رأيه النقدي في واقعية فايز محمود التأملية (٤) ؛ وفي هذه القصة (٥) نلمس قدرة
على خلق المفارقات واحساسا جادا بالسخرية من تفاصيل الحياة اليومية المألوفة بذكرنا
بالكاتب الامريكى المعاصر " صول بيلو " في روايته " مغامرات اوجي مارس " و " هندرسون
ملك الامطار " حيث تبلغ هذه القدرة على التقاط المفارقات وعلى السخرية من الجزئيات اليومية
المألوفة ذروتها ويتحول صفاؤها الى شيء كالشعر العذب الحاد الذي يعبر بعمق وشفافية
عن ذلك التمرد في الحساسية الذي تحدث عنه .

(١) حكايات الفارس المدحور / نادي خريجي الجامعة الاردنية / ١٩٧٣م ، هذا وقد اختلف
بعض الكتاب في توجهات عصام موسى القصصية ، فالإيراني في " ثقافتنا في خمسين عاما "
ص ١٥٥ يرى " ان القصة عند عصام موسى هي قصة اللحظة النفسية كما نلمس ذلك في قصة
" الحرب والزجاج " وهو ما هو في التركيز وحشد التفاصيل ، بلمسات سريعة ، لكي تتجمع
كلها وتؤدي الى بؤرة اللحظة الحاسمة في القصة . . . اما ابراهيم خليل فكتب في (الرأي)
يوم الاثنين الموافق ٢١-٦-١٩٧٣ يقول : " ان عصام موسى في مجموعته يقدم للقارى قصة
قصيرة جميلة شكلا ولغة رومانتيكية مضمونا وافكارا واحساب لو ان الكاتب استطاع ان يجد لنفسه
مجال رؤية فنية واقعية لجا بقصص اكثر جمالا وقوة وهنا نلمس التناقض الكبير في رأى
الناقد فهو قد جعل مجموعة عصام موسى تنتمي للرومانسية الحديثة ولكنه حين شرع يتحدث
عن قصص المجموعة ، خاصة " الحرب والزجاج " اعتمد كلية على رأى الايراني السابق الذى
يمتبرها من قبيل القصص السيكولوجية ، ترى ، كيف يمكن ان تكون القصة رومانسية حديثة
وسيكولوجية تحليلية في آن واحد !

- ٢- حكاية للاسوار القديمة / جمعية عمال الصالح التعاونية / عمان / ١٩٧٣م .
- ٣- ذلك انه يرى ان الواقعية يجب ان تنبع من الذات اولا ، وقد بلور رايه هذا في الاستفتاء
الذى طرحته مجلة الطليعة في ديسمبر عام ١٩٦٩م . . . وقد تصدى " فاروق وادى " للرد
على الكاتب وذلك في الطليعة / آذار / ١٩٧٠ / السنة السادسة .
- ٤- الآداب / العدد الثالث / ١٩٧٤ .
- ٥- يقصد قصة " الحنين " التي نشرتها الاداب في العدد الثاني من السنة نفسها .

تعتبر المجموعة القصصية "حين لا ينفع البكاء" (١) للقات الشاب "احمد عودة" من اكثر المجموعات القصصية الشابة، المطروحة في الاسواق، تميزاً وغرابة... ، فعلى صعيد الشكل، عمد الكاتب الى اسلوبين في كتابة القصة، اسلوب القصة القصيرة، المادية، التي تقوم على ثلاثة عناصر، الحادثة، الحكمة، والخاتمة، وهو الاسلوب الذي بلوره الكاتب المعروف "مواسان" . . . واسلوب القصة التحليلية التي لا تقوم على حبكة، ولا على حادثة، ولا ترى ضرورة للخاتمة او النهاية، وانما تعتمد على تحليل الشخصيات، وهو الاسلوب الذي بلوره الكاتب الروسي المعروف "تشيخوف"، اقول: عمد الكاتب الى هذين الاسلوبين والتزم بمناصرهما الفنية، التزاماً دقيقاً، جعله يركز على الحوار في قصة "حين لا ينفع البكاء" كي يكشف الحبكة المفككة - مع الاشارة معنا الى ان تفكك الحبكة ليس عيباً لان تماسكها لا يتحقق الا في القصص البوليسية كقصص أجاتا كريستي - ويتكلف النهاية في قصة "قيثارة الشباب" كي يكتمل الشكل التقليدي للقصة، ويقحم نفسه بين الفينة والفينة في قصة "جرس انذار" كي يوضح او يفسر أو يبرر . وهو الى جانب هذا يجعل كثيراً باللغة والتمايز ويختار من الالفاظ اقواها والتشا بهيه اكثرها تصويراً للموقف . . . انه لعمري يذكرني بصاحب "مدام بوفاري" الذي كان يكتب في اليوم خمسة اسطر كي لا يقع في خطأ نحوي او لغوي، ولا يقتصر الشبه بينه وبين "فلوسير" على هذه الناحية، بل يتمدد الى الحرص الشديد على الالباس واللغة والتمايز ثياباً مميزة، انظر مثلاً قوله "فيسألني بضحكة دفوت للقم خريصة باهظة" (٢)، او قوله: "ترتمش السجارة بين اصابعه، ينحبس في بلعومه الدخان، تهاجمه رغبة في السعال، تخونه اعصابتي تحقيري هذه الرغبة" (٣) أو "من سجع تفريد البلب لا يهجه ان لم يكن لها فراخ" (٤) أو "ان روث الحمائم لا يسقط الا على رؤوس من ليس على رؤوسهم شعر" (٥) . . . وهو يحرص ايضا على ان تكون شخصياته نامية غير ثابتة، بمعنى ان الاطار العام للشخصية لا يكتمل الا في الاسطر الاخيرة، كما في قصة "الثأر"، "احلام بالمزاد"، "الجسر"، وشخصه كذلك اكثر حياة من الذين نمايشهم، وقد ظهرت هذه الحيوية في معظم قصصه، خاصة تلك التي اعتمد فيها على الحوار اعتماداً كبيراً . . . اما في قصصه الانسيابية "احلام بالمزاد" - الانسياب جاء بضمير المتكلم - و"وجه ذو ابتسامة تتكرر" - الانسياب جاء بضمير الغائب - فقد وفق الى

(١) صدرت في عمان عام ١٩٧٣ عن مكتبة الشرق وطبعتها في ١٢٠ صفحة من القطع المتوسط.

(٢) قصة الظل الاعوج / ص ٣٦ .

(٣) قصة وجه ذو ابتسامة تتكرر / ص ٦٢ .

(٤) قصة مهر جان الشمس / ص ١١٢ .

(٥) قصة باقة ورد / ص ٧٠ .

ابعد حد في التفاعل والتكافؤ مع حياته الباطنية واجاد في وضع هذه الحياة ، وهذا التفاعل على الورق ، دون ان يعطى الى عرى التجارب الباطنية عرضا ، قصصيا ، تمثيلا ، القصد منه ، معالجة العالم الخارجى . . . وهو كذلك لا يأبه كثيرا لنهايات قصصه الانسيابية - خاصة فسي وجه ذو ابتسامة تتكرر - لأن الحياة مواقف ، منها ما نهاية له ، ومنها ما لا نهاية له ، سئل " تشيخوف " : واين الخاتمة ؟ ، فأجاب : وهل لكل موقف من الحياة خاتمة ؟ ! . . .

. . . اما المضمون ، فيكشف لنا عن حقيقتين لا جدال فيهما ، الاولى : ان الكاتب " احمد عودة " قاص من الدرجة الاولى ، لديه الموهبة الحقيقية والدرية ، والثانية ، ان الكاتب لا يمتلك موقفا واضحا ، معينا في الحياة . . . ولتوضيح هاتين الحقيقتين أقول : تسير قصص " احمد عودة " ضمن تيارات مختلفة ، فتارة هي واقعية ، كما في " حين لا ينفع البكاء " ، " قلب العاصفة " ، " السقوط " و " جنازة الشتاء " . . . وتارة هي رومانسية ، كما في " قيثارة الشباب " ، " الظل الاعمى " " باقة ورد " و " مهرجان الشمس " . . . وتارة هي واقعية سيكولوجية كما في " احلام بالمزاد " ، " وجه ذو ابتسامة تتكرر " . . . وتارة هي واقعية اشتراكية كما في " الثأر " ، وتارة هي رمزية ، كما في " الدم في بحر الصمت " و " الصبية والمصاير " .

. . . هذه التيارات المختلفة ، وان كانت تنم عن مقدرة في الكتابة ، الا انها - بأى حال من الاحوال - لا تنم عن قضية واضحة والتزم بها صاحبها ، فهو في قصة " حين لا ينفع البكاء " ، يصور محاولة فاشلة لتغيير الواقع ، يقوم بها بطل واقعي يعيش في مجتمع متخلف ، يؤمن بالذاتية والفردية ، وهو في قصة " قلب العاصفة " يصور الصراع بين القديم والجديد ، مع ايمان ظاهر بالجديد ، ورفض القديم ، ولكنه في قصته " قيثارة الشباب " ، ينداح الى سرداب رومانسي واضح مقيت ، لا تشفع له وقفة الأولاد الجماعية ضد القديم ، المتمثل بآراء الأم في قصة . . . " الثأر " . . . وهو في قصته " النوم في بحر الصمت " يترك القارى في دهاليز الرمزية المطبقة والذهنية المحلقة ، ولعل التناقض الشديد في المواقف ان يظهر لك اكثر في قصته " العودة الى الارض " و " قلب العاصفة " ، اقول : ان كانت هذه التيارات تنم عن مقدرة الكاتب وتكشف عنها ، فانها لا يمكن ان تكشف عن موقفه وخطه ، ان الالتزام بقضايا الجماعة الذى تمثله قصة القنارى يتناقض مع رومانسية المعلم المعجوز وگراميات زوجته الشاب ، وان الرفض والتحدى الذى تمثله الام في " وجه ذو ابتسامة تتكرر " لا يمكن ان يتفق مع سلبية " يوسف " في " باقة ورد " وكلمة اخرى ، الرفض والتحدى ، السلبية ، التشاؤم ، التجاؤل ، الايمان بالجماعة ، تقديس الفردية ، الصوم في دهاليز الرمزية ، التسكع على ارضة الواقع ، كلها امور يستحيل صدورها عن الفنان الملتزم ذاته ، . . . وهنا يكمن التميز وتبلور الغرابة . (١)

(١) من مقالة نشرها المؤلف في جريدة اخبار الاسبوع الاسبوعية يوم الخميس الموافق

وبعد . . . ان التيارين اللذين يفلتان الحركة القصصية عندنا ، يسيران بشكل رئيسي في مجريين . . . ، والمجري الواقعي بروافده المختلفة من مرآوية مبتكرة الى فنية اصيلة السى اشتراكية مضطربة ، الى فائقة ، تتجاوز الواقع لتنداح في دهاليز سريرية . . . ، والمجسري الرومانسي ، بروافده المختلفة ، من تشاؤمية واضحة الى فلسفية تأملية الى تحليلية نفسية .

. . . ، وبين هذا وذاك نجد مجموعة احمد عودة ، تعمل على تعميق مجرى ثالث لا هوية له ، تتشرب مياهه تارة الى المجري الأول وتارة اخرى الى المجري الثاني .
. . . ، والراصد لشتى التيارات هذه يستطيع ان يدرك بأن التيار الواقعي سيثبت اقدامه في الساحة وستتنامي بذوره في التيارات الرومانسية التي ستنقله الى مجراه الاصلي ، كما ظهر في قصة فايز محمود " طريق جهنم الى العاصمة " .

ملاحق الرسائل

الملاحق الأولى

التصريف بالأدب المجلدين الذين وردت لهم نصوص
في هذه الرسائل

الملاحق الثانية

مختارات شعرية ونثرية

١١ ابراهيم عبد الرحمن الخطيب :

- ٠١ ولد في قرية زكريا سنة ١٩٤٥
- ٠٢ تخرج من جامعة سوريا سنة ١٩٦٨ من قسم التاريخ .
- ٠٣ بدأ يكتب القصة سنة ١٩٦٩ وبدأ ينشر قصصه في الصحف المحلية والمجلات سنة ١٩٧٣ .
- ٠٤ يعمل في سلك التعليم .

٠٢ ابراهيم العيسى :

- ٠١ من مواليد الدوايمة سنة ١٩٤٥ .
- ٠٢ أنهى دراسته الثانوية في مخيم عقبة جبر سنة ١٩٦٤ .
- ٠٣ تخرج من معهد معلمين حوارة عام ١٩٦٨ .
- ٠٤ يكتب القصة القصيرة من عام ١٩٦٥ .
- ٠٥ نشر معظم إنتاجه القصصي في مجلة .. افكار .. ومجلات عربية اخرى .
- ٠٦ له مجموعة قصصية " المكير الرمادي " .

٠٣ أحمد عودة :

- ٠١ ولد في قرية أنيسة عام ١٩٤٥ .
- ٠٢ أنهى دراسته الثانوية عام ١٩٦٣ .
- ٠٣ حصل على دبلوم التأهيل التربوي عام ١٩٧٥ .
- ٠٤ مارس كتابة القصة القصيرة من عام ١٩٦٦ ، وبدأ ينشر إنتاجه من عام ١٩٧٣ .
- ٠٥ له مجموعة قصصية بعنوان " حين لا ينفع اليأس " .

٤. أنور أبو مغلسي :

- ٠١ . ولد عام ١٩٤٥ في مدينة نابلس .
- ٠٢ . أنهى دراسته الجامعية عام ١٩٧٤ .
- ٠٣ . بدأ ينشر نتاجه القصصي من عام ١٩٧٠ في الصحف والمجلات العربية .
- ٠٤ . له مجموعة قصصية تحت الطبع .

٥. خليل قنديل :

- ٠١ . ولد عام ١٩٥١ في مدينة اربد .
- ٠٢ . أنهى المرحلة الثانوية سنة ١٩٧٤ .
- ٠٣ . بدأ اهتمامه بالادب سنة ١٩٦٧ .
- ٠٤ . نشرت اول قصه له عام ١٩٦٧ .
- ٠٥ . يكتب في الصحف المحلية والعربية والمجلات العربية .

٦. روكس العزيمي :

- ٠١ . ولد في مدينة أديب سنة ١٩٠٣ . وهو من عشيرة العزيمات المعروفة بمساندتها للفتح الاسلامي .
- ٠٢ . امضى في تعليم اللغة العربية وآدابها ستا وخمسين سنة في الضفتين .
- ٠٣ . عصامي ثقاف نفسه بنفسه .
- ٠٤ . له مؤلفات عديدة قيمة ، تزيد عن ثلاثين مؤلفا اهمها " الضنهل في تاريخ الادب العربي وقاموس العبارات واللهجات والاوابد الاردنية .
- ٠٥ . عضو مراسل لمركز الابحاث التكنولوجية في باريس .
- ٠٦ . من اعضاء رابطة الادب الحديث في القاهرة .
- ٠٧ . عضو في جمعية التقارب المسيحي الاسلامي .

٠٧ عدنان علي خاليد :

- ٠١ ولد في يازور سنة ١٩٣٧ .
- ٠٢ هاجر مع اهله إلى عمان عام ١٩٤٨ .
- ٠٣ عام ١٩٥٨ كتب أول قصة وكان حينها في العراق .
- ٠٤ له اعمال قصصية منشورة في الصحف والمجلات واعمال كتابية اخرى .

٠٨ عزمي خميس :

- ٠١ ولد في يافا عام ١٩٤٦ .
- ٠٢ انهى دراسته الثانوية في عمان ١٩٦٤ .
- ٠٣ مارس العمل الاتاعي والاعلامي والصحافي كذيع وكاتب في الاردن والخارج .
- ٠٤ بدأ عيائه الاذيع بكتابة الشعر حيث نشرت له مجموعة من القصائد في الصحف والمجلات العربية ، إضافة الى مجموعة شعرية مشتركة عام ١٩٧١ .
- ٠٥ اتجه في السنوات الاخيرة لكتابة القصة القصيرة حيث نشرت له مجموعة من القصص في الصحف المحلية ومجلة " افكار " .
- ٠٦ ألف واعد عددا من المسرحيات ، بعضها معد للعرض وبعضها مازال مخطوطا .

٠٩ عصام موسى :

- ٠١ مواليد عام ١٩٤٤ .
- ٠٢ تخرج من الجامعة الاردنية عام ١٩٦٦ في الاداب الانجليزية .
- ٠٣ عام ١٩٧٠ حصل على درجة الماجستير في الاداب الانجليزية من الولايات المتحدة .
- ٠٤ يعمل في التدريس والصحافة .
- ٠٥ اصدر مجموعة قصصية " حكايات الفارس المدحور " منشورات خريجي الجامعة الاردنية - ١٩٧٢ .
- ٠٦ يعمل حاليا في دولة قطر في وزارة الاعلام .
- ٠٧ تصدر مجموعته الثانية " المودة لصدر الشمس " قريبا .

١٠. عمر محمود عيسى :

١. ولد في عنبتا عام ١٩٥٠.
٢. غادر عنبتا مع أسرته ، في حزيران ١٩٦٧.
٣. عمل وما يزال في التدريس بالاردن .
٤. له مقالات متفرقة في مواضيع مختلفة .
٥. بدأ ينشر انتاجه القصصي مؤخرا .

١١. محمود شقير :

١. مواليد عام ١٩٤١ ، السواحرة .
٢. انهى دراسته الجامعية في دمشق سنة ١٩٦٥ .
٣. يكتب القصة من مطلع الستينات ، بدأ ينشر انتاجه في مجلة الافق الجديد المقدسية .
٤. يكتب المقالة الصحفية / وينشر بشتى الجرائد والمجلات المحلية والعربية .
٥. اصدر مجموعة قصصية تحت عنوان " خمير الاخيرين " .
٦. يعمل الان مدرسا في وزارة التربية والتعليم بعد ابعاده من الضفة المحتلة .

١٢. مصطفى صالح مصطفى :

١. من مواليد لفتا عام ١٩٤٧ .
٢. انهى تعليمه الثانوي في عمان .
٣. خريج معهد المعلمين سنة ١٩٦٧ .
٤. يعمل في سلك التعليم في الاردن .
٥. يكتب القصة القصيرة من عام ١٩٦٨ .

- ٢ . مع الناس - مجموعة قصصية - نشر دار النشر والتوزيع - عمان .
- ٣ . ما أقل الثمن - مجموعة قصصية - نشر دار النشر والتوزيع - عمان .
- ٤ . حتى ينتهي الليل - مجموعة قصصية - نشر دار الكتاب المصري .
- ٥ . الاردن ، واليونيسكو .
- ٦ . اقاصيص من الشرق والغرب .
- ٧ . اصابع في الظلام - مجموعة قصصية .

١٦ . عيسى الناعوري :

أ- حياته :

- ١ . ولد في قرية ناعور قرب عمان عاصمة الاردن سنة ١٩١٨ .
- ٢ . اتم دراسته الابتدائية في القرية ، والثانوية في المدرسة الكليركية في القدس .
- ٣ . عمل في تدريس العربية وآدابها خمس عشرة سنة في مدارس اهلية في فلسطين والاردن .
- ٤ . عمل سكرتيراً لإدارة مدارس الاتحاد الكاثوليكي في الاردن ثلاث سنوات ١٩٤٩-١٩٥٢ .
- ٥ . عمل موظفاً في وزارة التربية والتعليم من عام ١٩٤٥ الى ان اعتزل الوظيفة سنة ١٩٧٥ .
- ٦ . متزوج ووالد لسبعة ابناء خمسة ذكور وبنيتين .
- ٧ . زار القسم الأكبر من البلدان العربية ، وكثيراً من البلدان الأوروبية الشرقية والغربية .
- ٨ . تفرغ للعمل الأدبي أربعة عشر شهراً من ١/٨/١٩٧٥ الى ان انشغل بمجمع اللغة العربية في الاردن في ١/١٠/١٩٧٦ ، وذلك بعد اعتزاله العمل الرسمي في وزارة التربية والتعليم .
- ٩ . ذو صلة وثيقة بالعديد من اعلام الأدب العربي في مختلف الاقطار واعلام الادب الايطالي والمستشرقين في كثير من البلدان العربية .

ب- آثاره الادبية :

- ١ . اصدر مجلتي القلم الجديد - الشهرية الادبية في عمان . . المجلد ١٠٥٢ - ١٩٥٣) و صدر منها ١٢ عددا منها ثلاثة اعداد خاصة عن الاردن - ليبيا - المجر .
- ٢ . له ٣٨ كتابا مطبوعا ونحو ٤٠ كتاب لم تطبع بعد .
- ٣ . كتبه المطبوعة تشمل : القصة القصيرة ، الرواية ، الشعر ، النقد الادبي ، البحث ، والدراسة والتراجم ، والسير ، ادب الاطفال والاحداث ، والترجمة عن اللغات الغربية واليهما . ومن مؤلفاته كتابان باللسان الايطالية ، وبحوث منشوره باللغة الايطالية واللغة الانجليزية .
- ٤ . له معانير عديدة بثلاث لغات : العربية ، الايطالية ، الانجليزية ، في العديد من الاندية العربية والاوروبية وفي بعض الجامعات الغربية ولا سيما في ايطاليا ، والاتحاد السوفيتي ، واسبانيا ، والمجر .

مؤلفاته :

- ١ . ايليا ابو ماضي - رسول الشعر الحديث - دار الطباعة والنشر عمان ١٩٥١ .
- ٢ . ليريني الشوك (المجموعة القصصية الاولى) مكتبة الاستقلال - عمان ١٩٥٥ .
- ٣ . فارس بحري معداته ، (رواية) دار المعارف - القاهرة - ١٩٥٥ .
- ٤ . خلي السيف يقول (مجموعة قصصية ثانية) دار الرائد العربي - حلب ١٩٥٥ .
- ٥ . بيت وراء الحدود (رواية قصيرة) منشورات عودات - بيروت - ١٩٥٩ .
- ٦ . الحفال وعجائز (مجموعة اقصي مترجمة عن الايطالية) .
- ٧ . عائد الى الميدان (مجموعة قصصية ثالثة) دار الرائد - حلب ١٩٦١ .
- ٨ . ليلة في القطار .

١٧ . محمد أديب العامري :

١ . حياته :

ولد عام ١٩١٧ في يافا وعاجر عام ١٩٤٨ الى الاردن وتقلب في مناصب منها منصب وزير الخارجية ومنصب وزير التربية .

٢ . آثاره الادبية :

- ١ . مجموعته القصصية (شعاع وقصص اخرى) نشر دار المعارف بمصر . (تضم هذه المجموعة خمس اقصي من تأليفه وخمس اقصي من ترجمته . ويقول الدكتور هاشم ياغي : مع ان قصص العامري قليلة العدد فهو يحاول ان يهذبها

ويجعل منها نماذج تحتذى لمن يرغبون في احتراف القصة .
المؤلف لم يحترف كتابة القصة حقا ، وانا اكتفى بان يعطي المثل والنموذج بهذه
الاقاصيص ،
وتشمل مجموعته القصصية هذه القصص " شعاع نور " و " فقير " ، " صوم رام "
(بين الحرفيين) و (ثراء وسرف) . وتغلب على هذه القصص الطابع الرومانسي
ونلاحظ فيها الفوارق الطبقي والاجتماعية .

١٨٠ . خليل السجايري :

١ . حياته ونشأته :

١ . ولد في السواحة سنة ١٩٤٠ .

٢ . اتم دراسته الثانوية ثم التحق بجامعة دمشق وتخرج من كلية الاداب فيها .

٣ . عمل معلما في بداية اعماله ، ثم ترك هذا العمل وعمل في الصحافة ويعمل

في صحيفة الدستور التي تصدر في عمان .

٢ . آثاره الايبية :

١ . مجموعة قصصية مشتركة بعنوان ثلاثة اصوات عمان ١٩٧٢ .

٢ . مجموعة قصصية اخرى بعنوان " مقهى الباشورة " دمشق ١٩٧٥ .

٣ . زمن الاحتلال : دراسات في ادب الاحتلال . تحت الطبع .

١٩٠ . بدر عبد الحيق :

١ . حياته ونشأته :

١ . ولد في مدينة الزرقاء ، واتم دراسته الثانوية فيها ، ثم التحق بالجامعة

حيث اتم دراسته الجامعية ، وتخرج من كلية الاداب ، ويعمل معلما في

وزارة التربية والتعليم .

٢ . ترك عمله وذهب الى الامارات العربية حيث يعمل هناك .

٢. آثاره الادبية :

١. مجموعة قصصية - مشتركة بعنوان ثلاثة اصوات - عمان ١٩٧٢.
٢. ينشر في مجلة افكار والصحف والمجلات الاردنية .

٢٠. فخري قسوار :

١. حياته ونشأته :

١. ولد في مدينة المفرق سنة ١٩٤٤.
٢. اتم دراسته الثانوية ، ثم انتسب الى جامعة بيروت العربية حيث تخرج من كلية الآداب .
٣. عمل في وزارة التربية والتعليم ، ثم انتقل الى الصحافة حيث يعمل محررا في صحيفة الرأي الاردنية .

٢. آثاره الادبية :

١. مجموعة قصصية مشتركة بعنوان " ثلاثة اصوات عمان ١٩٧٢ .
٢. لماذا بكت سوزي كثيرا .

٢١. جمال ابو حميدان :

حياته ونشأته :

١. ولد في عمان سنة ١٩٤٤ .
٢. انتهى دراسته الجامعية ويعمل في الصحافة وفي مؤسسة عالمية .

آثاره الادبية :

١. الخروج الثاني ، نزوح ١٩٦٧ : مركز الابحاث بيروت ١٩٦٨ .
٢. مجموعة قصصية بعنوان " احزان كثيرة وثلاثة غزلان " بيروت ١٩٦٩ .
٣. مسرحية الجراد - دمشق ١٩٧٠ .
٤. رواية للاطفال بعنوان النهر .

٢٢ . نمرسرحان ؛

١ . حياته ونشأته :

ولد في قرية الإسديانة سنة ١٩٣٨ .

انهى دراسته الثانوية ، يعمل في دائرة الثقافة والفنون .

٢ . آثاره الادبية :

١ . اغانيها الشعبية .

٢ . ابواكباري .

٣ . الحكاية الشعبية الفلسطينية .

٢٣ . سالم النحاس ؛

١ . حياته ونشأته :

ولد في مدينة مأدبا سنة ١٩٤٠ .

انهى دراسته الجامعية ويعمل في الصحافة .

٢ . آثاره الادبية :

١ . رواية بعنوان " اوراق عاقر " ١٩٦٨ .

٢ . مجموعة قصصية تحت الطبع .

٢٤ . مفيد نحلية :

١ . حياته ونشأته ؛

ولد في بيت نتيق سنة ١٩٣٩ .

انهى دراسته الجامعية ويعمل في وزارة التربية والتعليم والصحافة

٢ . آثاره الادبية :

١ . مجموعة قصصية بعنوان " حكاية لاسوار القديمة " .

٢ . رواية بعنوان " الرحيم " .

٣ . رواية تحت الطبع - بعنوان - طائر الفرح .

٢٥ . مصطفى وهبي القبل :

١ . حياته ونشأته :

ولد في مدينة اربد سنة ١٨٩٦ في بيت متواضع ولقب بعرار .

ثقافته :

حفظ القرآن الكريم ودروس اللغة العربية، وكان مولعاً بالشعر منذ طفولته حيث

الطلع على دواوين الشعراء، ونظم الشعر منذ طفولته .

ثم اتم دراسته في دمشق وبعدها رجع الى الاردن ومارس مهنة المحاماة،

احب عرار ولبنه وخصه بحل قصائده، ودافع عن الطبقة المحرومة في شعبه .

تولى عرار عدة مناصب في الدولة منها : مدير ناحية، ورئيس محكمة صلح اربد

وكان هدفه انصاف المظلوم .

جاهر بقول الحق مما اغضب المسؤولين في الدولة، حيث سجن ونفي اكثر

من مرة .

٢ . آثارة الادبية :

١ . ديوان مطبوع بعنوان "عشيات وادي اليبس" .

٢٦ . غسان خليل زقلان :

١ . حياته ونشأته :

ولد في بيت جالا سنة ١٩٥٤ . اتم دراسته الثانوية وتخرج من معهد المعلمين .

يعمل معلماً في وزارة التربية والتعليم .

٢ . آثارة الادبية :

١ . ديوان شعر مطبوع : عرض حال للوطن .

٢٧ . محمد القيسي :

١ . حياته ونشأته :

ولد في كفرعانه سنة ١٩٤٣ .

اتم دراسته الثانوية والجامعية .

يعمل في التربية والتعليم .

٢. آثارة الإديبية :

١. راية في الريح : صدر عن المسرح العربي الفلسطيني - دمشق ١٩٦٩.
٢. خمائية الموت والحياة : صدر عن دار العودة - بيروت ١٩٧٠.
٣. رياح عز الدين القسام : صدر عن وزارة الاعلام بغداد ١٩٧٤.
٤. الحداد يلقي بحيفا : صدر عن دار الاداب - بيروت - ١٩٧٥.

٢٨. احمد حسن ابو عرقوب :

١. حياته ونشأته :

ولد في بلدة الفالوجة سنة ١٩٣٦.

اتم دراسته الثانوية والجامعية .

يعمل في التربية والتعليم .

٢. آثارة الإديبية :

١. ديوان شعر بعنوان : توقيعات على قيثارة الرضمان ١٩٧٤.

٢٩. محمد ضمرة :

١. حياته ونشأته :

ولد في عقبة جبر سنة ١٩٣٦.

اتم دراسته الثانوية والجامعية .

يعمل في وزارة التربية والتعليم .

٢. آثارة الإديبية :

- ديوان شعر بعنوان : قافلة الليل المحروق .

٣٠ . محمد الظاهر :

١ . حياته ونشأته :

ولد في قرية العباسية سنة ١٩٥١ .

اتم دراسته الثانوية ، ثم تخرج من معهد المعلمين .

يعمل في التربية والتعليم .

٢ . آثاره الادبية :

١ . ديوان شهر بعنوان : عرض حال للوطن .

٣١ . عز الدين المناصرة :

١ . حياته ونشأته :

ولد في قرية بني نعيم

اتم دراسته الثانوية والجامعة .

يعمل في حقل التربية والتعليم .

٢ . آثاره الادبية :

١ . الدم في الحدائق : ديوان شعر .

٢ . يا غيب الغليل .

٣ . الخروج من البحر الميت .

٤ . لا يفهمي إلا الزيتون .

٣٢ . محمد لافي :

١ . حياته ونشأته :

ولد في قرية حتما سنة ١٩٣٠ .

اتم دراسته الثانوية

يعمل معلما في التربية والتعليم .

٢٠٤. آثاره الادبية :

١. ديوان شعر بعنوان مواويل على درب الخريسة .
٢. الانحدار من كهف الرقيم .

٢٢٣. مؤيد العتيلي :

١. حياته ونشأته :

ولد في عتيل سنة ١٩٥١ .

اتم دراسته الثانوية والجامعية .

يعمل في البنك العقاري المصري .

٢. آثاره الادبية :

ديوان شعر مطبوع بعنوان " اينما يعقد المقصلة .

٢٢٤. حسين حسنين :

١. حياته ونشأته :

ولد في قرية دير الذهبان سنة ١٩٤١ .

اتم دراسته الثانوية والجامعية .

يعمل في البنك المصري .

٢. آثاره الادبية :

ديوان شعر تحت الطبع .

٢٢٥. عامد شاكير :

١. حياته ونشأته :

ولد في قرية قبيبة

اتم دراسته الثانوية وتخرج من معهد المعلمين .

يعمل في التربية والتعليم .

٢٠٤. آثاره الأدبية :

- لا يوجد له ديوان شعر مطبوع
- ينشر أشعاره في الصحف والمجلات المحلية .

٣٦٠. جمعته السالمي :

حياته ونشأته :

- ولد في بلدة الجفتك سنة ١٩٤٢ .
- اتم دراسته الثانوية والجامعية .
- يعمل موظفا في وزارة الخارجية .

آثاره الأدبية :

- ١. لا يوجد له ديوان مطبوع
- ٢. ينشر أشعاره في المجلات والصحف المحلية .

٣٧٠. عبد الله منصور :

حياته ونشأته :

- ولد في قرية المنسي عام ١٩٤٢ .
- اتم دراسته الثانوية والجامعية .
- يعمل في التلفزيون الأردني .

آثاره الأدبية :

- ١. الرحيل عن الارض المنسية .
- ٢. مواويل الحبيب والحرب .
- ٣. غدا سفيري .

٣٨ . عيسى الناعوري :

١ . حياته ونشأته :

ولد عيسى الناعوري في بلدة ناعور سنة ١٩١٨ .

كان مولعاً بالادب محباً له تتقن بثقافة اهل عصره بدون ان يدخل مدرسة او جامعة ، اتقن عدة لغات ومنها الايطالية حيث ترجم من الادب الايطالي

الى الادب العربي .

آثاره الادبية :

١ . ديوان شعر : اخي الانسان

٢ . ديوان شعر : اناشيدي .

٣٩ . حسني فريز :

حياته ونشأته :

ولد في مدينة السلط سنة ١٩٠٧ .

اتم دراسته الثانوية والجامعية حيث تخرج من الجامعة الامريكية ،

اجاد اللغة الانجليزية وترجم منها الى العربية .

شغل عدة مناصب في الدولة حيث اصبح وكيل وزارة التربية والتعليم .

آثاره الادبية :

١ . ديوان شعر بعنوان بلادي .

٢ . ديوان شعر بعنوان هياكل حب .

٤٠ . كمال عبد الرحيم رشيد :

١ . حياته ونشأته :

ولد في قرية الخيرية سنة ١٩٤١

اتم دراسته الثانوية والجامعية .

شغل عدة مناصب في الدولة ، في التربية والتعليم ، والاذاعة والصحافة

٢ . آثاره الادبية :

ديوان شعر بعنوان شد والغرباء .

٤١ . سهيل أحمد :

١ . حياته ونشأته :

ولد في بيسان عام ١٩٣٩ ، هاجر مع أهله إلى مدينة أريد ، حيث أتم

دراسته الثانوية والجامعية .

يعمل معلما في وزارة التربية والتعليم .

٢ . آثاره الأدبية :

١ . ديوان شعر بعنوان تشرينيات .

٤٢ . عبد الرحيم عمير :

١ . حياته ونشأته :

ولد في قرية حيوس عام ١٩٢٩ .

انتهى دراسته الثانوية والجامعية .

عمل معلما في التربية ، ثم عمل موظفا في وزارة الاعلام ، ثم انتقل إلى ميدان

الصحافة حيث أصدر جريدة الاخبار .

٢ . آثاره الأدبية :

١ . ديوان شعر بعنوان أغنيات للصمت .

٢ . ديوان شعر من قبيل ومن بعد .

ملاحق الرسالة

الطحق الثاني

مختارات شعرية ونثرية

لقد اتممت رسالتي بوضع ملحقين لها كي اتم بها الرسالة ، ففي الملحق الاول جعلته ترجمة لحياة الادباء الذين وردت لهم نصوص في الرسالة وضحت في هذه الترجمة حياة الاديب ونشأته وثقافته ثم ذكرت مؤلفاته الادبية سواء كانت شعرا او نثرا .

اما الملحق الثاني فجعلته مختارات شعرية ونثرية لاشهر الادباء الذين شملتهم هذه الرسالة ، وتضم هذه المختارات قصائد وقصص متفرقة .

اما القصائد فهي تمثل اتجاهات الشعر في الأردن ، الاتجاه القديم والاتجاه الحديث . من هذه المختارات الشعرية قصيدة للشاعر أمين شنار بعنوان " فرح لا ينتهي " ، ثم قصيدة للشاعر حسني زيد الكيلاني بعنوان " وادي السلط " ، ان يصف فيها الواد الجميل ، ويعتبر الشاعر من شعراء وصف الطبيعة المجيد .

ثم قصيدة للشاعر حسني فريز بعنوان " قصر الحمراء " فهي تذكرنا بامجاد اجدادنا فسي الاندلس الباقية على مدى الدهر ، والشاهد على عظمة الابطال الغر الميامين . ثم قصيدة المطارد للشاعر عبد الرحيم عمر .

ثم قصيدة اخي الانسان للشاعر عيسى الناعوري التي يدعوف فيها الى وحدة بني البشر ، والى نهد التمييز والتفرقة العنصرية ، واعتبار الناس كلهم اسرة واحدة في هذا العالم الواسع . اما فدوى طوقان فتصف لنا المدينة الهزمية الجميلة بشواطئها وشوارعها وابنتها الفخمة . اما القصص فتشمل قصة الجائع للكاتب بدر عبد الحق ، ثم قصة بخار الماء الساخن للكاتب فخرى قعوار ، ثم قصة رجل وامرأة للكاتب محمود شقير ثم قصة اعلان براءة للكاتب خليل السواعري ثم قصة الطريق للكاتب ابراهيم العبسي .

فرح لا ينتهي
للشاعر أمين سنار
لو تشوفت اليها ، لا حترقت
لو تناهيت حياء ، لا قترت
فأنا ما بين حالي أسير ،
وهي لي - مذ كنت - بيداء وبيت .
انا ابكي من لذيد الوصل ، حتى ارشف الدمع رضاها ،
وهي لا تنفك تسقيني جناها ، مرة عذبا ، ومرات عذابا ،
فأنا ، ما بين حالي ، رضيع
في حماها احتسي شهرا ، وصابا .
وانا ما لوح الاغيار لي ، وانصرفوا
في فجاج الارض اشتاتا ؛ فرادى ، وشنى ،
يحصدون اليتيم والغربة والريح ،
وفي اهدابهم
صدأ يحجبهم عنهم ، وعظا ،
قلت : واما لهم ، كم شغلوا عن رهوة الخمر بقشر الخابية !
فتنوا عن بسمة الورد بوشى الانيسة !
وتشاقلت بهم .
قالت : متى كان للعاشق من عين تراعي غيرنا ؟
ولسان - لم يكن الا لكي يذكرنا ،
كيف ينادى غيرنا ؟
انت منهم
- ولكن انكرت - في اعينهم انت حجابي .
ادن مني
واذب حزنك دما في انابي ،
وليكن عمرك كدحا للقائي ،
ولتكن نجواك صمنا في دعائي ،
تلقني فيك ، فان عدت فنورا من ضيائي .
سرقوا نعلي في وقت سجودي ، فانتهبت
مزقوا ثوبي في وقت سباتي ، فصرخت

قلت : هل امشي على دريهم

حافيا ؟ عريان ؟

قالت :

دونك الا رخي هذا فانتعله

وخماري لك ثوبا وساترا اياك عن اعينهم ،

كي لا ترى الاى كونا ،

فأنا ، منذ كنت لي حبا ، أفسار

ان غدري لك ما شئت مزار

لا تكن مثل حمار في رحي الكون يدار

كن شعاعا يهجر الارض الى منبعه

كن هزارا يغمس المنقار في النور لدن مقلعه

كن حسيبي ، وارتحل عنهم اليا

فانا ما عدت مرضيا ، رضيا

كنت فيهم نبأ مني ، وباحت لهم عناك جهرا

بتمالاتي ، وسري . .

وعلى كفيك الفوا بعض عطري ،

ام ترى العاشق قد يعم عينيه سوانا ؟

لا ، وريسي !

انت اشواقي ، وانت الهاجس الحادي المنادي ملء دري .

وجمالاتك - منذ لاحت لعيني طيوف من جمالاتك - حسبي

وقطوف من مغانيك تنادي ، فأبسي . .

ان تذوديني تسمرت مكاني ، وكيت

ان تشيحي عن سهاد العين ،

بالعين ، بأهداب سكارى غارقات في دموع العين ،

جدفت ، وابحرت الى عينيك ،

مشدودا الى افراح عينيك ،

ومت . .

لا ، وريسي !

لن تفسيني

ولئن ادلجت في صحرائهم حيننا ،

ولمحت برؤياك على اشواكهم حيناً ،

وفيت . . .

لن تخيبي

انت ما زلت على العهد معي ،

لن تقطعيني . . .

مفردا في جبا حزاني ، ويتني . . .

فانا مهما تناءيت اقتربت ،

لا تسلي عن لقانا كيف كان

لا تسلي اين كان

ليس من كيف ولا اين لها

فهي من عابها كل زمان ومكان .

لا تسلي

هو سر شرف حتى صار جهر

هو جهر غاب حتى بات سرا

كل ما قد كان مما لن تراني ذاكرا

هو ما زال هنا كينونة

في قلب هذا الكون ، ملأ الكون ،

فيها غابر الدهر وآتية استقرا حاضرا . . .

وادی السلط / حسینی زید کیلانی

خلصة فوق الغصون الميسر
نفخ الصبح رداً الحنسدس
لفتة الفنان من فردوسه
سوف يهقي غده من أمسه
شاحباً أشبه في نرجسه
فمحتها بارقات الفللس
نشرته الشمس فوق السنسدس

شقت الاكام عنها البرعما
وانتشی الحور طرويا مثلما
ان في السلط وواديهما الجميل
واديا للحسن جيلا بعد جيل
ذاب دینار الضحی عند الاصيل
عكس الجدول فيه الانجما
والندی كالدرا لما انتظما

انحر الصحو على كف المدام
 وخلال زنا وذاشيء حرام
 انها قد عتقت من الف عام
 رشفوها مثلنا بالاكسوس
 من شفاه الغانيا اللعس
 ورأت عينك اسراب المهسا
 انت في كمبة حسن وهسا
 عندما تألف عصيان النهس
 عن هوى في صدرنا محتبس
 مثلما مر شعاع القبس
 علمت قلبي فنون الغزل
 لم أزل عند العيون النجل
 انا وحدي امة في غزلي
 ميتا جاد لها بالنفس
 ومشت غضبي وقالت لا تسبي

يا شجي القلب في وادي الهوى
 لا تقل زمل مشوى أو غوى
 قد روى الخمار عنها ميا روى
 كم لوى دهرك عنا امييا
 وقد يما حللوا خمر اللبيس
 منه درك اذا جزت السربوع
 فارسل القلب نديا للدموع
 صفق الوادي كتصفيق الخلبوع
 فانشد البان وناج العلييا
 مرت الذكرى فكانت علمييا
 غادة نشوى باعلام الصييا
 انا مهما رشقت قلبي الطييا
 لم يكن هبي يوما قلبييا
 كلما ناشدتها ان ترحمييا
 حسبتني عابثا متهمييا

قصر الحمراء / حسني فريز

ان ارى الباقيات من عهد تمس
 ولو ان الزمان يفني وينسي
 تحتي في مهرجان وعرس
 طلبة العالمين من كل جنس
 عبر ليل الاسى وطول التأسى
 واشتياقي الى جلال وقس
 فلمل الدموع تغسل حسبي
 تصبح الدهر في البلاء وتمسي
 في أساعا نصح شيخ وقس
 فانني بالدخول من غير لبس
 بقلب مستعبر غير نكس

شد ما شاقني وقام بنفسي
 وارى المنبر الذي ليس يفني
 ها انا مشرف على البلد الصاخب
 وامامي ؟ ما اارى ؟ تلك قصدي
 تلك حمراؤنا الحبيبة تقايت
 في غد سوف نلتقي يا جنيني
 فتركيني لا دمع هامبيات
 في غد نلتقي والشم ارضيا
 ظهرتها الامها لا تباليبي
 ها أنا واقف ببابك ابكبي
 شاعر خف للزيارة نبيادك

طالما رن في نديك شمير
 ها أنا اسمع النشيد وارنو
 عللوا وازدهوا لما فعل السيف
 واذا الخيل مقيلات على النقع
 نشوة النصر في الخيول اثارت
 وعليها الصقور تاعن بالرمح
 وارى سامر العروسة طلقا
 فهو حيننا على السوابق ميا
 وعمو حيننا في المزارع هيبان
 او مكب على العلوم نجيب
 او اليف للفن ينشد دنيا
 غيرة مثل النساء عرايا
 وهو لا يرتضي لهن مثيالا
 هن والحسن والزهور بهيا
 هن مهوى الفؤاد حلم الليالي
 زعموه زير النساء وعميدا

كان يتلى على مقاديم شمير
 للمغاوير في ثياب الدمقمير
 وأثنى على فوارس حمير
 تبارى في يوم سعد ونحير
 كل همتها لدعس وفيرس
 وبالقاصمين حزم وواس
 باذخ القزم مطمئنا لآسني
 يكبح المعتدين كحمة حس (١)
 يجتني او يزيد طيب غرس
 لهي من نورها اول جرس (٢)
 من حظوظ ومجد سنا للتحسني (٣)
 في الميادين دانيات للميرس
 من حجار او من فواتن طرس
 فالتهاويل ناعمات بهميرس
 ونعيم الفؤاد نغمة خليرس (٤)
 مزقوهن تحت ناب وضرس

المطارد / عبد الرحيم عمر

شامت العين وكل الخلو فجر يا عراق
 سبلا في الماء كي يخلو حائر
 كل سهل كل رهب فيك خباني
 مت يا بصرة يا عين المران
 اولا تدرين عني اى عابر
 أمس جئنا، تمس الامس لقد غابت رؤاه

- (١) الحس : القتل .
 (٢) الجرس : (بكسر الجيم) : الصوت .
 (٣) التحسني : الشرب .
 (٤) النغمة : الجرعة ، والخلس وهي هنا الشيء القليل .

أنكرينا

انكرينا لا عجب

ويغر الزمن

وخرير النهر مذعور مضى يبغي النجاة

ليس نهر الامس

حتى انت يا شط العرب

ويغر الزمن

اقبل الليل فضميني ايا ارضي السواد

مثل نخله

فلقد اغفوا على رطك ليلة

وأريح العين من لحول السهاد

ويغر الزمن

يسرع النهر الخلق في المنحدر

وتجوس الريح كالحراس في ليل الحدود

قد أطلوا

همهمات تملأ الليل واقدام جنود

انكريني قد تنكرت تنكرت وما لي من مفر

يا امية

كانت الدنيا كما شاء هوانا جارية

والشأم

مثل حلم في الليالي العربية

مرة قلعة مجد وحمية

مرة معرر زينات بهية

واذا نزع الغرام

فالشأم

مثلما شاء هوانا جارية

والبقية

اننا نذبح في الارض القصية

اننا في الارض اشباه هوام

كلما اعتم وجه الليل نجت همهمات القادمين

لم يعد الا الفرار
 انا امشي ثم امشي ضاع وجه الارض لم الق ملاذا
 ليس لي من يرشدني امشي لِمَ اذا
 ليس من ينبئني اين الفرار
 يا وشاح الليل كن لي مخبأ
 وقد زرعت الارض ابغني مرفأ
 والرحيل والرحيل والفرار
 عدتي دون سيوف اللاهقين
 يا دم الاخوة في الزاب اعطني بعضي مضاً
 وجهي اليوم ترابي وقلبي في السماء
 اعلمي يا رب من عندك صبرا
 خلفي الموت وقدامي مدي دون رجاء
 غير اني لم اعد امك امرا
 انا لا ابصر خيرا
 لا ولا اطلب نصرا
 كل دنياى رحيل وفرار واغتفا
 وجهي المعرور وجه الموت وجهي
 كلما اخفيته خوفني
 واذا ابصرته في صفحة الماء هنا عنفني
 عثا يا هاربا من نفسه ان تتقي كف العنا
 عد الى الزاب ودون الزاب هام ودما
 هاربا من قبضة الموت ومن وجهي وظلي
 هاربا من مجد آبائي ومن عزة اهلي
 كل من اعرفه ارهبه
 ارهب النور الذي يكشف لي
 ارهب الشمس التي ترسم ظلي
 لي عن يمال الدنيا ولا ألبسه
 يا شام

أخي الانسان / عيسى الناعوري

أخي في العالم الواسع ، في المغرب والشرق
أخي الابيض والاسود - في جوهرك المطلق
أمد يدي فصافحها ، تجرد قلبي بها يخفى
بحبك يا أخي الانسان

أحبك دون ما نظر الى لونك او جنسك
وأكره من يبت الحق في نفسي او نفسك
لترقى انت في بؤسي ، وكفى ارقص في بؤسك
ونشقى ، يا أخي الانسان

أخي مأساتنا ليست سون من صنع ايدينا
فمن اطماننا الشعراء سون نيل ليا لينا
ومن احقادنا العمياء بيد منا تاخينا
فرققا يا أخي الانسان

لقد جئنا الى الدنيا مع لنهيش اخوانا
ونسعد بالحياة معا أحببنا وأعواننا
ولو شئنا جعلنا جنة الفردوس بنيانا
فهبيا يا أخي الانسان

تعال نقم حضارات معا ولنرفع العلمان
ونخلق في الحياة لنا مهاج علو الالوان
وضع يمينك في يميني في دعة وفي اطمئنان
لنسعد يا أخي الانسان

دع الالطام والاحقاد ، لا تجعل لها شأننا
قلن تسعد بالاطماع ، او ترفع بنيانا
ولن تمنحك الاحقاد في دنياك سلطاننا
فدعها يا أخي الانسان

تثير الحرب؟ قل لي ، هل ستجوانت في الحرب؟
الا يشقك ان افنى بنارك دون ما ذنوب؟
وهل يرتاح ان تفنى خميري الجرا وقلبي؟
رويدا يا أخي الانسان

فبيتك يا اخي بيتي ، وديرك في الدنو ديسي
وعزك لهو من عزي ، وحبك يا اخي حبي
وما تلقاه من نيم تصيب سهامه قلبي
فيدمي يا اخي الانسان

كلانا نعرف الاشوان ، والامال تحدوننا
كلانا نشتهي ، والحسن لا ينفك يفريننا
كلانا نعرف الاسرار ، نيلوها وتبلوننا
فمهلا يا اخي الانسان

أخي ! نحن التقينا اليوم في الدنيا بلا موعد
ودرب العمر مثل الحليم ، مهما لال لن يخلد
سنمضي مثلما جئنا ، وذاك مضيرنا الا وحسد
سلاما يا اخي الانسان !

في المدينة الهرمية / فدوى طوقان

وتلقني في المدينة عذي الشوارع والا رصفه
مع الناس ، يجرفني مدهم البشري ، أموج مع
الموج فيها على السطح يبقى بغير تماس
يكتسح المد عذي الشوارع والا رصفه
وجوه وجوه وجوه وجوه تموج على السطح ،
يقلن فيها اليابس ، وتبقى بغير تماس
هنا اللاحضور حضور ، ولا شي * الا حضور الغياب
ويحمر ضموا الاشارة والمد يرتد
تعود الخفافيش للذاكرة

ونصف مجنزرة تعبر السوى ، افسح فيه مكانا
لتعبر ، اني تعلمت الا اعرقل خط المرور . .
وعن ظهر قلب حفظت بروس نظام المرور . .
هنا كان سوق النخاسة ، باعوا هنا والدى واهلي
فقد جاء وقت سمعنا الذي منع الرق والهبع نادى
على الحر ! من يشترى !

وهذى انا اليوم جزء من الصفة الرابعة
أمارس حمل الخطيئة، مصيبي اني غرسة اطلعتها
جبال فلسطين . . من مات امس استراح " اشك
لعل بقايا همو في القبور تن وتلعنني حين افسح
في السوى دريا لتعبر نصف مجفزة ثم امضي بغير اكرام
رسالة عائشة تستريح علي مكتبي
ونابلس هادئة والحياة تسير وتجري كما النهر . . .
يهدلني خاتم السجن صميتا فصيحيا (يقول لها حارس السجن
ان الشجر

تساقط والغاية اليوم لا تشتعل
ولكن عائشة ما تزال تصر علي القول ان الشجر
كثيف ومنتصب كالقلاع ، وتعلم بالغابة التي تركتها
تؤج بينيرانها قبل خمس سنين
وتسمع في الحلم زمجرة الريح بين المعابر،
تقول لسجانها : لا اصدق ، كيف اصدق من جاء
من صلبهم تظنون يا حارسي انهم الكذب.
وتقع في ظلمة السجن تحلم
يظللها الشجر المنتصب
تفرحها غابة في البعيد تصلصل فيها السيوف اللهب
وتعلم عائشة ثم تحلم (٢٠)
ويخضر ضوء الاشارة يجرفني المد ، تهرب ذاكرتي
والخفافيس تهوى الي قلاع بئر عميقة
يفجر ظل طريقة
يتابع ظلي ، يوازيه ، يمتد جسرا لملك مثلي غريسة
وتنفصل القطرتان عن المد ثم تغيبان بين زوايا حديقة
- تحبين " أوزبورن "

- ومن لا يحبه؟

- عجائز انكلترا المحبطون وضباطها الافلون مع الشمس
غرب السويس

تري من سيزرعها شجرة الخمد لهذا البلد؟

- شباب "الهيسيز" !

- لا ذع انت لا ذع

ويجتازنا سيلهم وهو يجرف ترسة لندن

ونسمع صوت انهياراتها على وقع دقات "بج بن"

- هنالك في العالفة الجانبية حانوت خمر

وفي المنزل ذوق وتدفة مركزية

- سدى ما تحاول

(وتعتبر سيدة لندنية

تبث وتشكو الى قلبها وخز عرق النسا

والتهاب المفاصل) !

- ألسنت ابنة العصر؟

- كبرت على الطيش ، صبرني الحزن بنت مئات السنين

سدى ما تحاول

وارفع عن كتفي ذراعيه ، افلت خارج طوف التواصل .

- تحاصرني وحدتي

كلنا في حصار التوحسد

وحيد دون نحن نمارس لعبة هذى الحياة وحيدين ،

نحزن ، نألم ، نشقى ، وحيدين ، . نموت وحيدين ،

وحيدا تظل ولو حضنتك مئات النسا

وتلقفنا في المدينة هذى الشوارع والارصفة

مع الناس ، يجرفنا مدها البشرى ، نموج مع الموح فيها ،

نظل على السطح فيها بغير تماس .

دمعة وقيثارة
للشاعر عبد الله منصور

- انغام قيثارتي ..
تضج بها الليال
وانا مع الاحزان ساهر
يا الف دورى على سفح الجبال .
قد متن في عز الشباب .
ولم تهاجر .
خطوات احب ابي تنزل حكاية .
تتلى علي سمع الرجال
والذكريات اليمسة . .
تبقى تمر حزينه في كل يال .
شعري ..
ولون الحرف بيكي .
ورؤاى مثل الفحم . .
من المي وشكي .
تلهوبنا الامواج في بين عتيقة .
ما حيلة الملاح تغلبه الريح .
ويسوقه التيار مجنوننا . . .
الى ضد الحقيقه .
وحد يقتي . . .
وحد يقة الخلان قد كانت حديقه .
مرت بها كل العواصف والجرار .
جفت دموع العين . . .
جفت والمداد
لم يبق الا بعض حب ياسين . . .
وحبيسة ثلكسى يوشحها السواد .
وصدى نداء ضاع في عمق البعاد .

- أنغام قيثارتسي . . .
 وموال عتيق .
 ودماء احبابي . . .
 على رمل الطريق .
 قطرات آهات تذوّبنا حنيننا . . .
 والرفيق .
 يبكي علينا . . .
 آه كم متنا . . .
 ولا زلنا نموت .
 والخوف يجثم في المآقي والسكوت .
 والخوف يجثم في المآقي والسكوت .

الى ولدي

للشاعر عبد المنعم الرفاعي

فاسمع حديث ابيك يا عمر
 حتى استفق اريجك العطر
 عن طول ما كتّمت تمتنذر
 فالعمر كل شفافه ذكر
 نداء منهلّ ومنتشر
 كم ضاق عنها الكأس والوتر
 فالشمس طوع مناي والقمر
 والحب مختصر ومعتصر
 ضل الطريق رعاني القدر
 عن صوتي ونأى به خمر
 اخشى عليك الدمع يتندر
 وأوى الي وكناته الوطر
 كالصبح باح بنوره السحر
 ولكل أمركان منتظر

الآن أوري غصنك النضر
 الذكريات كتمتها زمنا
 فاذا أبحت فكل غادية
 مرت ومر خيالها حقبيا
 طلع الحياة على مرابطة
 قبلاطي اللاتي ذهبن هوى
 وكواعب وسدتهن يدي
 متنقلا فننا على فين
 هيمان يرعاني السرى فاذا
 في كل ناحية سرى خبير
 انا ان قصرت عليك امليتي
 اعلمت لما قرّبي سفيرى
 ولمحت وجهك قبل مشرقه
 وتناقلت ومشت على خفير

أحلامه لو يعقد الثمر! ..
 تحيا الحياة عليه والعمر
 والغاليات اليك تدخر
 يبقى ولا مجدى ولا السير
 وأساي مفتر ومستتر
 عن آثمين ولا ت مفتفر! ..
 أخشى عليك الدمع ينهمر ..
 قد شدها لسريك النظر
 عيني وقمت اليك أبتدر
 تحنو معي والسمع والبصر
 خمل وأنت الليل والسمر
 صفت اليك وهذه صور
 لهو وكل بقائه عسر
 كتبت وغسل سلطورها القدر
 في راحتي اليوم تزدهر
 ريحانة اوراقها خضر ..
 أصفت لها الآيات والصور
 يهتز من أحنانه الوتر
 غنى بها باد ومستتر
 أندائها كم أوقرت ذكرك
 واذا قطفك يكاد يحتضر ..
 أني على نجواك أعتذر !!
 أرخى دجاها المسلك الوعر
 فعلى المضارب يقدح الشرر
 ان فر تحت محكه الحجر
 والوقد ان أذكيت يستمر
 أستاف خمرتها وأعتصر
 كأس الطلى وجرى به السكر
 فزاجه صاف ومعتكر
 والمجد لا ضجر ولا حذر
 دنت الرغاب نأى بها الوطر
 فدارها في الافق منتشر

عشنا معا والزهر في عيني
 حتى طلعت وكنت لي رقيقا
 الامنيات عليك أعقد لها
 أنا أنت أخلد فيك لا زميني
 واما غداة أفقت تسأليني
 فسكت ألتبس الرنسي خجلا
 أبسوح يا ولدي ومد يدي
 سكن الصيت سوى مؤرقية
 ان زل عنك غطاؤك انخلعت
 أعنو عليك وكل جارحية
 أصبحت وحدى لا يشاركيني
 طلع الصباح فهذه لعيب
 وأنا وأنت كأن عالمنا
 في وحدة الله ثالثنا
 يا زهرة الايام زنيقتي
 فواحة بيضاء صافية
 فدعوت حتى خلت أديعتي
 عفوا بني اذا غويت فيكم
 في ظلمة عمراء عابثة
 كم قلة صوت المدي وعلى
 يحيا الهوى اما لمست عني
 آثامي الكبرى يسد بها
 ومشيت وحدى رب معذرية
 غيتها ووددت لو بقيت
 كالجوهر أقتلفت مفاتنه
 والنار حيثما بعثت
 انا خدن آلامي واعيها
 كالشارب المخمور رنحية
 يكي ويضحك لست تعرفه
 خلع الشباب علي عزتيه
 أمضي وتهزني العلى فيأذا
 كسفينة جمع الشرع بها

قصة الجائع (١)

لبدر عبد الحقيق

في واسع ، يبدأ طرفه عند إحد الأذنين وينتهي عند الأذن الأخرى ، ولا بد ان جهازى الهضمي ليس عاديا ، احس بان أهم الاعضاء الموجودة في جسمي ، واستطيع ان اشير الى موقع كل جزء فيه .

من اكثر الاجزاء التي اهتم بها " المعدة " كيس ضخم لن ينزلق من فوق حزامي وانا اسير بتناقل وانقل خطواتي ببلادة .

اكتشف هذه الحقائق عن نفسي حديثا ، فجأة اتسع في ، وفجأة بدأت احس باهمية معدتي ثم الاحق مطالبها ، وهي مطالب تكلف غالبا وتحتاج الى جهد مضني .

انني في اليوم الواحد اجتاز سوق الخضار عدة مرات ، احتك بالصناديق واشم رائحة كل الاصناف وانتشي بعبيرها وراقب استجابات معدتي وانفعالاتها ، وحكم هذه المادة تكونت عندي خبرات واسعة وعقدت صداقات كثيرة في كل مكان .

لا بد انكم تتعظرون الآن ان احدكم عن الكميات التي آكلها كل يوم ، سأقول لكم ولكن ارجو ان لا تصابوا بالخيبة ، فالحقيقة انني فقير جدا ، ولهذا فانا اتفرج فقط ولا استطيع ان آكل كل ما أشتهي .

لم اشبع مرة واحدة في حياتي ولم أجرب حالة امر فيها بالسوق دون ان اراقب بوله وشوق ودون ان يسيل لعابي وانا اهلل في المشويات والمقلبات والمعروضات وفي المحاولا للمعدودة التي قمت بها للمسرقه كنت اتراجع في اللحظة الأخيرة عندما ابصر الحراس الاشداء المختبئين حول معروضاتهم .

سافرتمرة في اجازة الى بلد مجاور ، وحكم العادة قد توجهت من فوري الى الاسواق ، سوق اللحم والخضار والفواكه والحلويات ، وفوجئت بأن كل شيء هنا قليل الثمن ، والنقود التي معي تكفي لتحقيق احلامي وربما اكثر من مرة واحدة ولم اتردد ، اشترت كميات كبيرة من كل شيء لحموم واسماك بالا رطال خضار وفواكه بالصناديق ، طب كبيرة محشوة بالحلوى ، والكثير الكثير من زجاجات الشراب .

جمعت كل ذلك وذهبت الى الشقة التي اقتأجرتها ، وضعت كل شيء في المطبخ ، ثم اغلقت الابواب والشبابيك جيدا ، وانهمكت في اعداد الاكل ، وضعت كل خبرتي ومهارتي في خدمة هذا اليوم واستذكرت كل التعليمات التي اقرأها في مجلات المرأة والصحف ، قررت ان يكون يوما حافلا .

رتبت مائدة كبيرة ، أقسم إنها كانت كافية لكتيبة جيش مهزوم متعب ، واعتنيت كثيراً بتسليم المائدة ولم اترك نظرة ولو بسيطة قد تضطرنني الى النهوض عن المائدة بعد لحظة البند .

بعد ان انتهت كل شي ، ذهبت فحلقت ذقني وأخذت حماما وتعطرت ولبست ثوبا فاخيرا وجلست عند منتصف المائدة .

وطوال دقائق ظلت يداي لا تصلان الى الطعام وكنت ما أزال حائرا من اين ابدأ ؟ في حين كانت عيوني تتابع الاطباقي الشهية المرصوفة أمامي ومعدتي في حالتيان وترقب وانا احس بسعادة وفرح لا نظير لهما .

لا أدري ماذا حصل بعد ذلك تماما لكنني عندما صحت وجدت نفسي ممددا على الارض فوق كرسي محطم والى جوارى زحاجة مكسورة يندلق منها سائل احمر وسيدى قطعة كهيرة من اللحم كذلك شديدة اللزوجة ، وعندما نظرت الى المائدة كانت ما تزال كما هي واسعة مطبوخة بكل شي ، الا ان آلاف الحشرات والذباب كانت قد غطتها ولم استطع تفسير الامر وكانيت المفاجأة التالية ان في لم يعد واسعا وان معدتي لم تعد مندلقة من فوق حزامي وانسني أحس برغبة كبيرة لان اذهب الى الحمام وأتقبأ .

بخار الماء الساخن (١) للكتاب فخري قصوار

عندما دخل جفيلان مقهى " الاطلال " ، سادت فترة صمت ، علا فيها وشيش (٢) بوابير الكاز ، ونظر اولاد الحارة ، المجتمعون هناك نظرة تساؤل واستغراب لهذا الزبون الجديد للمقهى ، حتى للفي نفسه صاحبه المقهى نظر اليه نفس النظرة ، كلهم يعرفونه ، وهل هناك من لا يعرف جفيلان الجزائر الوحيد في الحارة ؟ . ومن لا يعرفه شخصيا فانه يعرفه لخدمة جفيلان على الاقل ، ولكن ليس من عاداته ان يقفل المحل في مثل تلك الساعة لكي يجلس في المقهى ، فالعاشرة صباحا هي عز الشغل بالنسبة له ، كما ان ليس من عاداته ايضا ان تدوم ملابسه نظيفة خالية من لطخات حمراء .

وقد بدا متوترا ، فلم يجرؤ أحد أن يكلمه واكتفى بأن حدج الاولاد بنظرة صارمة ، فعادوا الى ما كانوا مشغولين به من محاولة زهر وشدة وشطرنج ، ثم جلس على كرسي قش صغير وقبأل بخشونة : " هات نفس تهياك يا لطفي "
وأشار لمسح احذية تعلقت عنها بأحذية جفيلان من الوهلة الاولى ، فجاء بلهفة وبدأ بتلميع

(١) ثلاثة أصوات

(٢) صوت البوابير

الحذاق ، واللقى نظره الي شياك فحمية ، فوجد الستارة ما تزال سدلة عليه ، وعرف انها مجرد لحظات وتزاح ، حتى تتم الصفقة ، ولا بد لها من ان تتم يا ذات المئينين المكحولتين .
فمن غير المعقول ان تأكلي (انت وزوجك الشبيه بالقصبة) لحمه بالمجان طيلة اسبوعين ، ولا تتم الصفقة ! وجاءه لطفى بالترجمة ، فرس الجمرات جيدا فوق التباك ، واخذ يكرر ، وعيناه لا تكفان النظر عن النافذة ، ومرت نسمة هوا دافئة لامست وجهه ، لكنه أحس بقشعريرة تسرى في كيانه وبأطرافه واعماقه ترتقى اضطرابا ، لا اول مرة يفعلها : وهو مطمئن الى ان الامر سيظل مكتوما عن زوجته .

سحب نفسا عميقا ، وتخيل لحظات الدفي التي ستظل قلبه بعد قليل سننعم بالجسم المطفوف الممتلى ، والصدر الفاخر ، وعان من غفلته حينما ضرب ماسح الاحذية ضربات خفيفة على صندوقه ، فنقده قرشا ، وعان بصوب نظراته الى النافذة ، وفجأة انزلت الستارة ، بيد ان كسل شي يسير كما يجب ان يسير ، ومط شففيه تحت شاربته المتهدل مهتسما ، لكنه بتر ابتسامته ، وحاول جاهدا ان يرسم على وجهه ملامح غاضبة قاسية ، خشية الملاحظة ، ونهى ونقد لطفسي ثلاثة قروش ، وخرج مدندا بأغنية أم كلثوم " رن الحبيب " .

وفي طريقه الى الزقاق ، تلكأ قليلا ، (وكل اعماقه ترتقى نشوة وانتصارا) ، وتلفت حواله مخافة ان تراه احدى الجارات ، ولما أطمأن ، رفع يده ليقرع الباب ، لكنها توقفت في الهواء ، عندما سمع صوت فتحية من وراء الباب يقول بهمس افقده صوابه .
- " جفيلان ... جفيلان " .

وفتحت الباب ، وقالت له باضطراب ياد ؟

... " أدخل بسرعة ... "

وتعثر بالعتبة الا انه تدارك نفسه ، واقلت فتحية الباب بهدوء ، ودخلا الغرفة على رؤوس الاصابع ، ليس هناك سوى غير سرير سفري صغير وبعض الادوات الضرورية ، وملابس معلقة على مسامير مفروزة في الحائط ، وصورة لزوجها بيد وفيها نحيفا اكثر مما يعرفه .
(ربما كان هكذا عندما اخذت له الصورة ، وربما لان باقة القميص الذي يرتديه تتسع لمنسق آخر مثل عنقه) ، واجتاحته موجة الاشمزاز ما لبثت ان زالت عندما عانقته بحرارة ولهفة ، وأهس في باطنه دفئا كبخار الماء الساخن ، وانصهر حتى النخاع ، انصهر تماما ، فتذكر نفسه عندما كان صغيرا يلعب بالتراب ، ويبني بيوتا من الطين ، ويعجب كيف ينبت الشمر فسي

ذقن والده باستمرار ، رغم انه كان يحلقه في معظم ايام الاسبوع ، ليس يدري لماذا يتذكر مثل هذه التفاهات ، فغمغم بأي كلام ، وفتحت له الباب الخارجي ، ولما داس على تراب الزقاني ، تنفس بارتياح وحل صدره ، وحسد نفسه ، لكنه خشي الفضيحة والاتهام بالهيب .

رجل وامرأة

للكاتب محمود شكري

كان يهبط في الشارع - وشمة ربح مسائية باردة ، تجعل الناس يفقدون السير دون انتباه ، وكان يشعر بالامتناع كلما وقف عيناها على الشجيرات الموشاة بالكهارب الصغيرة الملونة في واجهات المحلات التجارية .

توقف بين جماعت من الناس في انتظار تغير الاشارة الضوئية الحمراء وتشاغل بالسيارات التي تشباري فوق صفحة الشارع ، ثم كانت منه التفاتة الى امرأة تقف في جواره ، وادرك انها كانت ترمقه دون ان ينتبه ، وانما لاحظ عينيها تنسحبان عن وجهه بارتياك اطال التفرس فيها بنظرة مشجعة ، فابتسم لها فأخذت تتشكل على شفيتها ظلال ابتسامة مديدة دون تكلف وكأنه يعرفها منذ زمن طويل ، واحتضن يدها الصغيرة ، قالت وهي تضحك بجنون :
- يدك مثلجة -

- الجوبارد ، ألا تلاحظين ؟

قطعا الشارع مع جمهور الناس ، وكانت تتمايل الى جواره في حركات دافئة ، فأحس بشيء من الانبعاث يسرى في داخله لأول مرة منذ ان ولأت قدماء المدينة .

كانا يستعدان عن الشوارع المزدهمة في صمت ، ويبدو انهما انشغلا في النظر الى الشرفات المضاءة التي يلوح عبرها الناس يتحركون في هنا ، ودغدغت الاضواء الملونة الناعسة ، وقال في هدوء حزين :-

- انهم يحتلمون .

قالت في نبرة مشابهة :

- هنيئا لهم

امضيا عبر الاحياء الراقية الى منزله تحيطه اشجار السرو ، توقفا قرب شجيرات متشابكة ، حقق فيها واستشارته قسما وجهها .

مد يده في محاولة لمداعتها ولكنها استبعدته بسرعة لم يكن يتوقعها ، فانطرحت على الارض فوق الاعشاب المبللة ، وتراقى جسدها ، فأحس انه امام جثة ، اقشعر بدنه وصاح في برود قائل :

- انهضي - اقول انهضي :

نهضت ، وكانت تغرق في الذل والاسى ، صفعها بقسوة وصاح في وجهها :

- انخدعت فيك .

اندفعت هاربة ، وكان هذا ما ينقر وجه الشارع مخلفا فرقعات حادة ، اما الرجل فقد عاد . كل أهل المخيم يقولون انها امرأة مشؤومة ، ويحلوا لبعض النساء ان يقلن ان وجهها منحوس ، فأينما ذهبت حل النحس يا لطيف ! ويبني الناس رأيهم فيها على العديد من الحوادث التي مرت في حياتها ، فعين كانت طفلة ، كانت امها تغادر البيت وتنساها وحيدة يوم كان الاعداء يتقدمون صوب القرية لا متلاكها ، كما ينسب الناس مقتل ابيها في الحرب الى خالها السبي ، ويمتقدون ان وجهها المشؤوم كان سببا في العاصفة التي اقتلعت الواح الزينكو من فوق ساحة الاكواخ في المخيم وادت الى مقتل احد اخوتها .

وما زال الناس يتذكرون مصير خليليها الاول ، ان حينما كبرت وتفتحت انوثتها توارد الخطاب يطلبون يدها ، وفاز بها واحد من شباب المخيم كانت معجبة بقامته الفارعه وتقاعب وجهه السمر ، ولما اندلعت حرب اخرى في المنطقة تطوع خليليها للدفاع عن أرضه بقطعة سلاح قديمة ، وقتل في الساعات الاولى من المعركة .

وحينما انتهت الحرب ، كانت البيت قد قطعت مع امها واخوتها والكثير من أهل المخيم جبالا وسهولا ، ومرت فوق جسر يتهدى من تحته نهر ، واستقر بها المقام في مخيم يقع قرب مد ينة كبيرة ، وهناك جاءها ابن الحلال ، وكانت قد نسيت خليليها الاول ، فتزوجته ، وقيل ان تمتد حلاوة العيش معه كان قد قتل ، انه سير اهل المخيم وقالوا :

كم هي مشؤومة هذه المرأة .

عاد الرجل يزيح الشوارع الباردة ، وهو يمتليء بالحمق والنفور ، وكانت عينه تدور في حركات متفاقية وكان يبحث عن شيء لا يستطيع تحديده كان يشعر بالتقزز كلما استنحت بالشجيرات المزدانة بالكهرب الطونة وانتبه الى تناقض الناس في الشوارع كانوا يمضون في عجلة واذا توقفوا امام الاشارات الضوئية ظلوا يتعلمون وقتهم كان شيئا غامضا يضعك في نفوسهم ويبعث القلق في ملامحهم .

فوقف مذهولا قرب احدى الواجحات الزجاجية المضاءة ، كانت امرأة تصفر مثل القطة والدموع تحفر قنوات صغيرة فوق خديها ، ثم ملتبهة تحت وهج الاضواء المترسبة من كل جانب ، حدث طويلا وكأنه لا يصدن نفسه : كانت نفس المرأة التي صادفها في المساء وهربت منه

بعد ان صفعها ، سيطر عليه الوجوم فيما هو يتابعها وهي تبكي وداخله احساس بأنه اخطأ في الحكم عليها ، والا ما معني ان تجلس هنا وهي تبكي . . . وداخله احساس بأنه اخطأ في الحكم عليها ، والا ما معني ان تجلس هنا ايها وتنخرط في البكاء ، وانصوب غير بعيد عنها لا يدري كيف يمكن ان يكفر عن تصرفه الخاطي . منهيما لمشاعر الحزن والشفقة .

أبصرته يحدث بها ولكنها تجاهلته في بادئ الامر وحيثما كان يفضي كانت تسترد اليه بمسح النظرات ، فتراه حائرا متأثرا ، ولما تطاول الوقت بدأت تشعر بالانجذاب نحوه من جديد وقال في صوت متمثر :

- أسأت الظن بك .

شهقت عدة مرات ، ثم جففت دموعها وما لبث ان مد يده التلقائية التي فعل فيها أول مرة ، قهر على يدها وسارا معها بصبران الشوارع المقفرة تحت لسع التيارات الهوائية الباردة وقال :

- انهم يختلفون داخل البيوت . . وازدادت بعد صمت قصير :

ما اصل الدفء والنور والضحك ،

قالت بصوت كئيب :

هربت الليلة من المخيم بعيد ان زهقت البرد والظلام .

كانا يقتربان في المنتزه وكان يحس بالدفء يعبق من جسدها كلما لامسها بعفوية افلتت يدها ، وانقضت بكتنا يده على طرف ثوبها ومزقه بحركات متوترة ، فانكشف فخذها ، وحاول تطويقها بذراعيه ولكنها فرت منه .

اعلان براءة (١)
للكاتب خليل السواحري

كان بهلول يتمتع بامتيازات عريضة تتمدى في كثير من الاحيان امتيازات المختار، وقليلون جدا هم الذين يعرفون على وجه اليقين متى وكيف أصبح هذا الرجل شيخا لهذه القرية، فكسل ما يعرفه الناس ان بهلول قد أصبح جزءا لا يتجزأ من قريتهم شأنه في ذلك شأن الاشجار والازقة او شواهد القبور التي كان عادة يجلس عندها يقرأ القرآن في شهر رمضان او الاعياد .
أما أجيال الأولد المتتالية فكلها تمر بلا استثناء في مرحلة تقليد حركات وعبارات بهلول التي يظل يردد ها في الموالد النبوية والمواسم الدينية وحتى ان منظر الأولد وهم يتحلقون فيسي حارات القرية يتمايلون وهم يصيحون : " الله حي . . . الله حي . . . قد أصبح جزءا هاما من الالعاب التي يمارسها الأولد جيل بعد جيل .

وقد كان المختار يرتاح لوجود الشيخ بهلول الى جانبه ان لا يعدم الشيخ ان يتلو آية من القرآن او حديثا يدعم به حجج المختار اذا لاحظ انها بحاجة الى مثل ذلك ، واحيانا كان الشيخ يختم احدى خطب المختار بسيت من الشعر حتى انه اصبح يوما بعد يوم جزءا اساسيا من حاشية المختار وظلاله او كما قال عنه محمد الازعر : انه الذاكرة المتنقلة للمختار والمعين الذي لا ينضب من الآيات والحديث والاقوال في كل مسألة .
وقد كان ذلك يغيب محمد الازعر الى حد جعله يقول كلما رأى المختار والشيخ قادمين الى مجلس :-

- جاء المختار وظلله !!

وكان الشيخ يرد عليه :

- ايوه ظلله ، وانت انفلت

ويكاد الازعر ان ينفلت حقيقة ولكنه يكتم غيظه ويظل يترصد للشيخ لعله يوقعه في مطب ما ، وما من احد يجهل الاحقاد الكامنه بين المختار ومحمد الازعر بسبب تنافسهما القديم على المخترة ، وما أصاب محمد الازعر بسبب ذلك من نكسات متتالية جعلته يصاب اخيرا باليأس من الوصول الى هذا المنصب ، ويكتفي بالنيل من المختار والطعن به كلما سنحت له الفرصة ،

وكان يزداد غيظه كلما لاحظ الشيخ بهلول يسمف المختار في كثير من الاحيان باحاد يث وأمثال لا تخطر على بال أحد ولم يسبق للأزعر ان سمع مثلها على الاطلاق ، ومن ذلك ان المختار كان يتحدث ذات يوم عن ضرورة إقامة وليمة لكل ميت حتى ولو كان أهل الميت " على الحديد " ويشهدون اللقمة ، وحين أحس المختار بأن ذلك غير معقول وبأنه وقع في ورطة فظيمة ، التفت الى الشيخ بهلول وهو ينتظر أن يخلصه من هذا المأزق ، فقال بهلول على الفور :

- اي والله ، صدقت يا أبا ألفهد ، ما من أحد يموت له ميت ولم يولم له الا ظلت روحه تحوم فوق النار . (١)

وعندها أصاب محمد الأزعر ذهول طويل عقد لسانه ، فمن أين أتى بهلول بهذا الحديث ، ولكنه قال :

- يا شيخ بهلول ، هل أمر الدين بتشريح الميت كفته ؟

- أعوذ بالله ، من قال هذا ؟

- أنت تقول فاذا كان أهل الميت ينامون على الحصير فمن أين لهم حتى يولموا لك ولمعالي المختار وليمة ؟

- ليس لنا وإنما للفقراء ، وحتى تجرأ روح الميت ، ثم أنهم يستطيعون ان يستدبنوا ؟

- أفرغ ان أحدا لم يعطهم ؟

- لا حول ولا قوة الا بالله ! !

- يا شيخ بهلول ! لا يكف الله نفسا الا وسعها ! حرام عليك ان تكذب في أمور الدين !

وانكسف الشيخ بهلول ولكنه تخلص من ورطته بأن قال :

- لا أستطيع أن أحضر لك الكتاب الذي ورد فيه هذا الكلام ، وذلك استطاع الشيخ بهلول أن يحسم الموقف لصالحه .

لاحظ أهل القرية منذ مدة وجيزة ، ان تغيرا مفاجئا وغريبا طرأ على مجريات أمور الشيخ بهلول ، ان الناس يستهجنون بعض الاقاييل والبعض الآخر كان يلون بالصمت ، وقد حدث ان تهكم محمد الأزعر على الشيخ بهلول ذات يوم قائلا :

- ألا ليت الشباب يعود يوما .

الا أن بهلول ظل في صمته فأضاف الأزعر قائلا :

- ما رأيك يا شيخ بهلول لو أحضرت لك كتاب "عودة الشيخ الى صباه"؟

فانتفضى الشيخ بهلول وقال :

- أعوذ بالله . . . ما هذا الكلام يا رجل؟

- لا داعي للحياء ! إذا كان هذا الشيء في خاطرك يا شيخ بهلول فأنا على استعداد لأن

أزوجك أحلى بنات القرية !

فرد عليه الشيخ بهلول :

- معاذ الله ! لم يبق من العمر مقدار ما مضى ، والله ما نريد الا الستر وحسن الختام .

فرد عليه الأزعر وهو غير مقتنع بما قاله الشيخ :

- كم من لفة تحتها شيطان !

قال الشيخ وهو ينفخ صدر جبينه :

- الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات .

وفي ذات يوم كان الشيخ بهلول والمختار جالسين في زاوية البيت وعندها همّ الشيخ بهلول

ان يخطف نفسه خارج الزاوية لولا يد المختار التي امتدت بسرعة لتمسك به وصاح المختار :

- الى أين يا شيخ بهلول ؟

- المختار !!

- نعم المختار ؟ ومن كنت تظن ؟

- الحمد لله . . .

- ماذا تفعل ؟

- أنا ذا هب الى الجامع وأرجو أن أراك هناك .

وحين وصل الشيخ بهلول الى الجامع كان الجامع ما يزال مضاء ، فخلع جيبته ولفقته وتسا

بهدهو .

وفي صباح اليوم التالي دعا المختار الى اجتماع عام في الجامع لكافة رجال القرية حذرهم فيه

من مغبة القيل والقال وزعم ان بعض الألسنة الدنيئة قد حاولت مؤخرا ان توسع سمعة الشيخ

بهلول الرفيعة ، بينما كان المختار يواصل القاء خطبته الهلينة وعلان البراءة التامة للشيخ

بهلول كان محمد الأزعر يغادر الاجتماع وقد تأكد له ان كلا من المختار والشيخ ينقر طمس

دف واحد ، ومضى وهو يحدث نفسه : غذا سوف أكشف هذه اللعبة القذرة ، ولسوف اثيرها

فضيحة شعواء تأكل الاخضر واليابس ، وواصل مسيرته باتجاه المقبرة .

حين وجد نفسه وحيدا في الطريق ، غمزه احساس مفاجي* بالخوف فتوقف وبدأ يلتفت حوله
ويحدث في اطراف الصحراء ، كانت الصحراء تعانق الآفاق في كل الاتجاهات . . . وكانت كتل
السراب المتسارعة فوق الرمال ، تغريه بمزيد من الجري المعاكس . . . قال : لو ان السراب
حقيقة لركض خلفه - رفع رأسه الى السماء ، كانت السماء زرقاء ، شديدة الزرقة ، ولا أشرف فيها
لسحابة تسأل : لماذا لا يتغير السماء ؟ .

لماذا لا تصبح حمراء ، أو خضراء ، أو سوداء ، ظل فترة يحدث في السماء ، فادرك عقم
تساؤلاته ، أحس في وقتها بوطأة الشمس فوق رأسه وجسده العاري الا من بقايا قميص ، فعاد
يركز عينيه على الطريق . . . كانت الطريق - ما تزال تحت أقدامه ، طويلة . . . طويلة ، يبدو
كخط طويل يرتسم فوق الصحراء . . . ويلمع تحت وهج الشمس خطر له ان يتوقف نهائيا عن
الجري ، فلربما يقدر على ترويض الصحراء ذات يوم ويستطيع العيش فوقها بسلام راحت عيناه
تجول الرمال ، خيل اليه في لحظة انه سمع صوت صرخة جادة في اعماقه " لا تتوقف أمضي في
الطريق - الصحراء لا تنهت الثمر - ليس فيها غير الشوك والافاعي والسراب" شعر بجرح بالسبع
أمام نفسه وظل لحظة ملرقا ، ثم عادت خطواته تدب فوق الطريق فجأة ، اقتحمت الفضاء فوق
رأسه ، اسراب كثير من الغريان ، حجبت دائرة الشمس وصيغت زرقة السماء بقمامات سوداء
ثم راحت تحلق فوق رأسه ، في الهداية تولاه خوف شديد ، اضطربت خطواته ، ترنح - كساد
يسقط ثم همم بالهرب عبر الصحراء .

لكنها ابدا في أثره ، لا تنفك تلاحقه ، تظل تجرى فوق رأسه وحتى تتجمع ، فتهم وتتهشم
اشلاء من جسده ، فكر في الجري ، حتى لو استيقظت في جسده الواهف قوة جامحة ، ملعونة
انها لا تفنى كل يوم تلد أسرابا جديدة بعد كل معركة يخوضها معها ، يعتقد انه انتصر
عليها ، وتخلص منها الى الأبد ، لكنها تعاود الظهور له بشكل مفاجي* ومن مواقع كثيرة قبي
الطريق - شعر باحباط مهيت وهو يحدث في الاسراب الهائجة ، الحائمة فوق رأسه ، وأيقن
انه لا بد انها ستتحول الي وليمة دسمة ، تتقاسمها مغالب الغريان ، فخطر له ان يستسلم
بهذو ، غير ان الصرخة الجادة ، خرجت من اعماقه قوية ، وأخذ الضجيج في اعماقه يشتد
" قاتلها ، قاتلها " وفجأة كانت الغريان تنقض عليه بشراسة ، تلطمه بأجنحتها ، وتفترز
أظفارها في وجهه وكان نحيبها الوحشي ، يختلط بصرخاته ، فيتمزق حجاب الصمت الجاثم
فوق رمال الصحراء . . . حينما تراجعت عنه بعد معركة طويلة كانت الجرافه ترشح بنزيف
حاد ، ولكنه مع ذلك كان يحس بفرح عظيم ، فماتت خطواته ترب فوق الطريق .

منذ سنين طويلة ، وهو ما زال يسافر ، منذ جاء الى هذا العالم وهو يجري فوق هذه الطريق

والطريق طويلة ، لا تهدؤ لها نهاية ، والغريان في السماء كثيرة ، لا تنفك تهاجمه ، وتنهبش
أشلاء من جسده ، لقد حاول ان يبحث عن طريق أخرى يسلكها طريق سهلة ، شمسها لا
تتحرك المسافر ولا تعرفها الغريان لكنه عشا ، حاول ان يبحث فليس في الصحراء ثمة طريق
أخرى ، ثم أنه لا يكاد يعرف في حياته غير هذه الطريق هي قدرة الذي لا يستطيع رده
أو تغييره وليس أمامه خيار ، عليه ان يظل ماشيا فيها حتى يصل أو تمزقه الغريان .

الطريق تمتد أمامه ، ويبدو فيها كنقطة صغيرة ضائعة تتحرك في صحراء واسعة ، الشمس
تصب سهامها من الجحيم فوق رأسه ، وترسم بقعا حمراء في جسده العاري الا من بقايا قميص
الشوك والحصى الكثيف يمشران خطواته ، ويدميان قدميه يود لو يستريح قليلا لكن " ليس
في الصحراء غير الشوك والافاعي والسراب " .

الختام

الخاتمة :

لقد أعددت بحثي عن الحركة الأدبية في الأردن ، متاولا حياة الأدب الأردني مدة ربع قرن ، مبينا مساهمة هذا الأدب في الآداب الانسانية محمدا نشوء الحركة الأدبية في الأردن وأشهر رواد هذه الحركة وعلى رأسهم الطك عبد الله الذي كان أديبا في نفسه يشجع الأدب ، ويكرم الأدياء .

أخذت هذه الحركة في النمو والازدهار حتى وصلت الى مرحلة النضوج في عهد الطك الشاب ، حيث ورث عن جده المحبة للأدياء والأدب ، فقرب أهل الفكر منه وأعدى عليهم الاموال ، ويسر لهم كافة السبل وذلك كافة الصعوبات التي تقف في طريقهم .

ففي مجال النشر ساهم النشر الأردني مساهمة كبيرة في النشر العربي حيث وجدت طائفة كبيرة من الكتاب يعتبرون من كتاب القصة في العالم العربي .

فناهر الكاتب القصصي الكبير محمود سيف الدين اليراني ، حيث يعتبر من أشهر كتاب القصة في العالم العربي ، ثم ناهر الكاتب القصصي عيسى الناعوري ، ومحمد أديب العامري وخليل الساحوري وجمال ابو حمدان .

أما في مجال الشعر فوجدت طبقة من الشعراء ، سار قسم منهم على منهاج عمود الشعر القديم ، ومن «ؤلاء الشعراء» مصطفى وهبي التل وحسني فريز ، عيسى الناعوري .

وأما الطبقة الثانية من الشعراء فسارت على منهاج الشعر الحديث محبرة بأشعارها عن نكبة فلسطين حيث صبغ شعرهم بهموم النكبة وأحزانها . ومن «ؤلاء الشعراء» : محمد القيسي ، أمين شنار ، خليل زقطان ، عبد الرحيم عمر . ولقد بينت في رسالتي كيف تفاعل الادب مع الآداب الانسانية كي يرفع من قيمة الانسان اينما كان بعيدا عن كل تمييزهما كان نوعه .

لقد جعلت بحثي هذا مكونا من مقدمة وأربعة أبواب ومخصصين وخاتمة . ففي المقدمة وضحت دوافع أختياري لهذا الموضوع وفي المقدمة كشفت الصلة بين البحث وبينني ، ما سبب اختياري له ! .

وما المصاعب التي واجهتني في الدراسة ، وما منهاج الذي سرت عليه أثناء البحث ! !

الباب الأول :-

جعلته تمهيدا عن تاريخ المملكة ، من العهد العثماني الى العهد الفيصلي ، فتأسيس الامارة الاردنية حتى عهد الاستقلال .

الباب الثاني :-

تكلت عن بواعث النهضة الأدبية في الأردن والتي ساهمت في احياء الادب وهي التربية والتعليم والاذاعة ، التلفزيون ، الصحافة ، المكتبات ، دائرة المطبوعات والنشر .

الباب الثالث :-

خصصته للفنون الشعرية فجعلته مكونا من ثلاثة فصول :

الفصل الاول : جعلته تمهيدا للحركة الادبية قبل عام ١٩٥٠ .

الفصل الثاني : تكلمت عن خصائص هذه المدرسة وعن أغراضها الشعرية وعن أشهر شعرائها .
ثم تكلمت عن المدارس الأدبية للشعر الأردني وهي مدرسة الشعراء المحافظين التقليديين ،
ومن أشهر أعلام هذه المدرسة :- عيسى الناعوري ، حسني فريز ، حسني الكيلاني ، كمال
عبد الرحيم رشيد . .

الفصل الثالث : مدرسة الشعراء المجددين :-

تكلمت عن خصائص هذه المدرسة ، وعن فنونها الشعرية ، الشعر الوطني والغنائي ، والمسرحي ،
والقصصي .

أشهر أعلام هذه المدرسة :-

عبد الرحيم عمر ، أمين شلار ، فهدوى طوقان ، عبد الله الشحام ، نزيه قسوس ، خالد الساكت ،
عبد الله منصور ، محمد حمزة ، وليد سيف ، علي فودة ، محمد القيسي ، تيسير سبول .
لقد ترجمت لحياة هؤلاء الشعراء وأوردت نماذج من شعرهم وحللت هذه النماذج ، ثم
وضعت خصائص كل شاعر .

الباب الرابع : بدأت بتمهيد للفنون النثرية ، ثم بينت أقسامها ومذاهبها وخصائصها ثم
تكلمت عن عناصر المعطى الأدبي ، وعن المذاهب الأدبية للادب الأردني وهي :-

المذهب الرومانسي والواقعي الاشتراكي والقصة الرمزية والقصة النفسية .

الفصل الاول : مراحل تطور القصة في الأردن .

مرحلة الخمسينات : تبدأ من عام ١٩٥٠ - ١٩٦٠ م :

تكلمت عن خصائص هذه المرحلة ، وعن مذاهبها الأدبية ، ثم ذكرت أشهر أعلامها : الأيراني ،
الناعوري ، العامري .

ولقد ترجمت لحياة هؤلاء الأندباء ، ثم ذكرت نماذج من أدبهم .

الفصل الثاني :-

المرحلة الثانية من تطور القصة وتبدأ من عام ١٩٦٠ - ١٩٧٥ م .

تكلمت عن خصائص هذه المدرسة وعن مذاهبها الأدبية ومن أشهر أعلامها هم : خليل
الساحوري ، بدر عبد الحق ، فخرى قعوار ، جمال ابو حمدان ، عدنان خالد ، روكس
العزيزي ، عمر عدس ، ابراهيم العبسي ، ابراهيم الخطيب ، محمود شقيرات ، مفيد نحلقة ،
مصطفى صالح ، احمد عودة . ثم وضعت طحقين للرسالة :

الطحق الاول : التعرف بالادباء المحليين الذين وردت لهم نصوص في هذه الرسالة .

المطوق الثاني : مختارات شعرية ونثرية لاشهر الأدباء الأردنيين الذين وردت لهم نصوص في هذه الرسالة .

ان ثقافتنا في ربيع قرن ، كانت نتاج تفاعل مستمر بين انساننا وترابنا الذي نعيش عليه . ومثل هذا التفاعل ، لم يتم في محزل عن التيارات الخارجية التي دلت على أرض هذا الوطن ، وجواره من اجزاء وطننا العربي الكبير .

كما أن انسان هذا الوطن لم يكن في منأى بعيد لتعرضه للأحداث التي تعرضت لها الاجزاء الاخرى من الوطن العربي .

وهكذا جاءت قصائد الشعراء ، وقصص القصاصين ، وأهازيج المفاين ، وحداءات الصافريين ، وكأنها سجلات ملأى بجوامع النفس العربية واماومها لافي شرفي الاردن وحدها بل في كل مكان من هذه البقعة من الشرق العربي .

ومن هذا الموقع الثقافي التاريخي ، يتأكد مفهومنا للثقافة الوطنية ، انها الفن الفكري الصعلي الذي يشكل أسهما صالحا وفعالا في البناء الفكري القومي كله . وما يلفت الى الذات ويحدق في الاعناق بنفس القدر الذي يتحسس به أشواق الاخوة ويشارك في الوصول اليها عاملا وداعيا . وبهذا المفهوم الذي يتجاوز حدود الزمان والمكان ، فيضرب في أعناق التاريخ ويتقصى مهاب الريح حين تهب . جمعت مجموعة بحوثي التي اشتطت عليها رسالتي وتناولت حياة الأدب الأردني في ربيع قرن من الزمن ، حيث تناولت حياة الأدباء كل في اختصاصه ليكون بحثي هذا بحثا شاملا لحياة الأدب الأردني ، لمن يريد ان يتوسع في دراسة ثقافتنا وأدبنا الحديث .

مصادر ومراجع الرسالة

الدواوين الشعرية :

- ٠١ . البتيري علي : لوحات تحت المطر . عمان ، المطبعة الاردنية ١٩٧٣ .
- ٠٢ . التل مصطفى : عشبات وادي اليابس : عمان ، شركة المطبعة الحديثة ١٩٥٤ .
- ٠٣ . حسنين حسين : ضرب الخناجر ولا : عمان ،
- ٠٤ . رشيد كمال : شدو الفرباء : عمان ، مطابع الجمعية الطكية .
- ٠٥ . زقطان غسان : عرض حال الوطن : عمان ، منشورات رابطة الكتاب .
- ٠٦ . الساكت خالد : لمظن الحزن : عمان ، مطابع الجمعية الطكية .
- ٠٧ . السيد سهيل : نداء : عمان ، دار فيلادلفيا للطباعة والنشر .
- ٠٨ . السيد سهيل : تشريعات : عمان ، دار فيلادلفيا للطباعة والنشر .
- ٠٩ . شقيرات أحمد : الرقص على جثث الجياع : عمان ، المطبعة التعاونية .
- ٠١٠ . الشحام عبدالله : تهليل للمجيء الثاني : عمان ، جمعية عمال المطابع الاردنية

٠١٩٧٦

- ٠١١ . ضمرة محمد : قافلة الليل المحروق : عمان
- ٠١٢ . الظاهر محمد : عرض حال الوطن : عمان ، منشورات رابطة الكتاب .
- ٠١٣ . العتيلي مؤيد : أينما يعقد المقصلة : عمان ١٩٧٦ .
- ٠١٤ . عمر عبد الرحيم : أغنيات للصمت : بيروت ، دار الكتاب العربي ١٩٦٣ .
- ٠١٥ . عمر عبد الرحيم : من قبل ومن بعد ، عمان ، منشورات مكتبة عمان .
- ٠١٦ . العرقوب احمد : توقعات على قيثاره الارض : عمان ، دار فيلادلفيا للنشر .
- ٠١٧ . فودة علي : فلسطين كحد السيف : بيروت ١٩٧٣ .
- ٠١٨ . فودة علي : قصائد من عيون المرأة : بيروت ١٩٧٥ .
- ٠١٩ . فريز حسني : هياكل الحب : عمان ، ١٩٥٤ .
- ٠٢٠ . فريز حسني : بلادي : عمان ، ١٩٥٦ .
- ٠٢١ . القيسي محمد : راية في الريح : دمشق ، المسرح العربي الفلسطيني ١٩٦٩ .
- ٠٢٢ . القيسي محمد : خطابه الموت والحياة : بيروت ، دار العودة ١٩٧٠ .
- ٠٢٣ . القيسي محمد : الحداد يلبق بحيفا : بيروت ، دار الاداب ١٩٧٥ .
- ٠٢٤ . القيسي محمد : رياح عز الدين القسام : بغداد : وزارة الاعلام ١٩٧٤ .
- ٠٢٥ . القسوس نزيه : يوميات حزيان : عمان ، ١٩٧٢ .
- ٠٢٦ . لافي محمد : الانحدار من كهف الرقيم : عمان ، ١٩٧٥ .

- ٠٢٧ . لافي محمد : مواويل عن الفرية : عمان ١٩٧٣ .
- ٠٢٨ . المشيني سليمان ; صبا من الأردن : منشورات مكتبة عمان ١٩٧٠ .
- ٠٢٩ . الخاصرة عز الدين ; باجر ابو عطوان : بيروت ١٩٧٥ .
- ٠٣٠ . منصور محمد : زنين القوافي : عمان ١٩٧٣ .
- ٠٣١ . الناعوري عيسى ; أناشيدي : حماه : دار الرائد العربي ١٩٥٥ .
- ٠٣٢ . الناعوري عيسى : أخي الانسان : حلب : دار الرائد العربي ١٩٦٢ .

- ٠١ . الأيراني محمود : أول الشوط : مطبعة الفجر ، يافا .
- ٠٢ . الأيراني محمود : مع الناس : منشورات دار النشر والتوزيع ، عمان .
- ٠٣ . الأيراني محمود : ما أقل الثمن : منشورات دار النشر والتوزيع ، عمان .
- ٠٤ . الأيراني محمود : حتى ينتهي الليل : منشورات دار الكاتب المصري .
- ٠٥ . الأيراني محمود : أقاصيص من الغرب والشرق : عمان ، المطبعة الوطنية .
- ٠٦ . الأيراني محمود : أصابع في الظلام : عمان ، وكالة التوزيع الأردنية .
- ٠٧ . حمدان جمال : أفراح كثيرة وثلاثة غزلان : بيروت ١٩٧٠ .
- ٠٨ . خالد عدنان : الذاكرة والزمن : عمان ١٩٧٣ .
- ٠٩ . خالد عدنان : أوراق الربيع : عمان ١٩٧١ .
- ٠١٠ . السواحري خليل : مقهى الباشورة : عمان ١٩٧٢ .
- ٠١١ . السواحري خليل : ثلاثة أصوات : عمان ١٩٧٥ .
- ٠١٢ . شقير محمود : خبز الآخرين : عمان ١٩٧٥ .
- ٠١٣ . عباس أديب : عودة لقمان : عمان ١٩٥٧ .
- ٠١٤ . عباس عبد الحلیم : أبطال العقيدة : عمان ، ١٩٦٩ .
- ٠١٥ . عودة أحمد : حيث لا ينفج البكاء : عمان ١٩٧٣ .
- ٠١٦ . العبسي إبراهيم : المطر الرمادي : عمان ١٩٧٥ .
- ٠١٧ . قموار فخري : لماذا بكت سوزى كثيرا : عمان ١٩٧١ .
- ٠١٨ . محمود فايز : العبور بدون جدوى : عمان ١٩٧٠ .
- ٠١٩ . موسى عصام : حكاية الفارس المدحور : عمان ١٩٧٢ .
- ٠٢٠ . الناعوري عيسى : طريق الشوك : عمان ، مكتبة الاستقلال ١٩٥٥ .
- ٠٢١ . الناعوري عيسى : خلي السيف يقول : حلب ، دار الرائد العربي ١٩٥٥ .
- ٠٢٢ . الناعوري عيسى : بيت وراء الحدود : بيروت ، منشورات عويدات ١٩٥٥ .
- ٠٢٣ . الناعوري عيسى : فارس يحرق محذاته : القاهرة : دار المعارف ١٩٥٥ .
- ٠٢٤ . الناعوري عيسى : أطفال وعجائز : عمان ١٩٦٠ .
- ٠٢٥ . النحاس سالم : أوراق عاقر : عمان ١٩٦٨ .
- ٠٢٦ . نحلة مفيد : حكاية الأسوار القديمة : عمان ١٩٧٣ .

قائمة المصادر والمراجع

١. الأسد ناصر الدين : الشعر في الأردن وفلسطين : القاهرة ١٩٦٠ .

٢. الأسد ناصر الدين : الأتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن : القاهرة

١٩٦٣ .

٣. البحيري صلاح الدين : جغرافية الأردن : عمان ١٩٧٣ .

٤. سلطة السياحة الأردنية : الأردن حقائق ومعلومات : عمان ١٩٦٢ .

٥. طبيان تيسير : الملك عبد الله كما عرفته : عمان ١٩٦٠ .

٦. العابد محمود : من تاريخنا : عمان ١٩٦٣ .

٧. العابد محمود : ثقافتنا في خمسين عاما : عمان ١٩٧٢ .

٨. العزيزي روكس : صفحات من التاريخ الأردني في حياة البادية : عمان ١٩٦٥ .

٩. العمودات يعقوب : أعلام الفكر في فلسطين : عمان ١٩٧٦ .

١٠. كتاب الأردن السنوي : وزارة الاعلام : دائرة المطبوعات والنشر : عمان ١٩٧٥ .

١١. الطاضي منيب : تاريخ الأردن في القرن العشرين : عمان ١٩٧٥ .

١٢. محافظلة علي : الأردن في عهد الإمارة : عمان ١٩٧٣ .

١٣. ياغي عبد الرحمن : حياة الأدب الفلسطيني الحديث : بيروت : المكتب التجاري

١٩٦٨ .

١٤. ياغي هاشم : القصة القصيرة في فلسطين والأردن : عمان ١٩٦٦ .